

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

شعبة الأدب



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٦٦٦٠

# شعر الشكوى عند المتنبي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالب / أحمد عبد الرحمن حسين العرفج

إشراف الأستاذ الدكتور / عبد الله أحمد باقازي

نموذج رقم ( ٨ )

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الإسم (رباعي) : **أحمد عبد الرحمن حسن الهرمجي** ، كلية : اللغة العربية ، قسم : **الأدب**  
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : **الماجستير** ، في تخصص : **الأدب**  
عنوان الأطروحة : **شعر الشكوى عند المتنبي**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد :  
فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمنافسة الأطروحة المذكورة أعلاه ، والتي تمت مناقشتها بتاريخ  
١٤٢٠ / ٧ / ١٤ هـ ، بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي  
بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...  
والله الموفق ،،،،

أعضاء اللجنة

المناقش الخارجي

المناقش الداخلي

المشرف

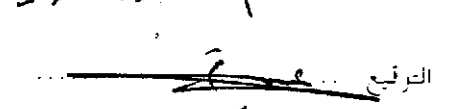
الإسم : **د. عبد الله أحمد العطاس**

الإسم : **د. محمد بن إبراهيم**

الإسم : **د. عبد الله أحمد باقازي**

التوقيع : 

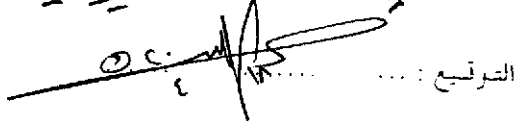
التوقيع : 

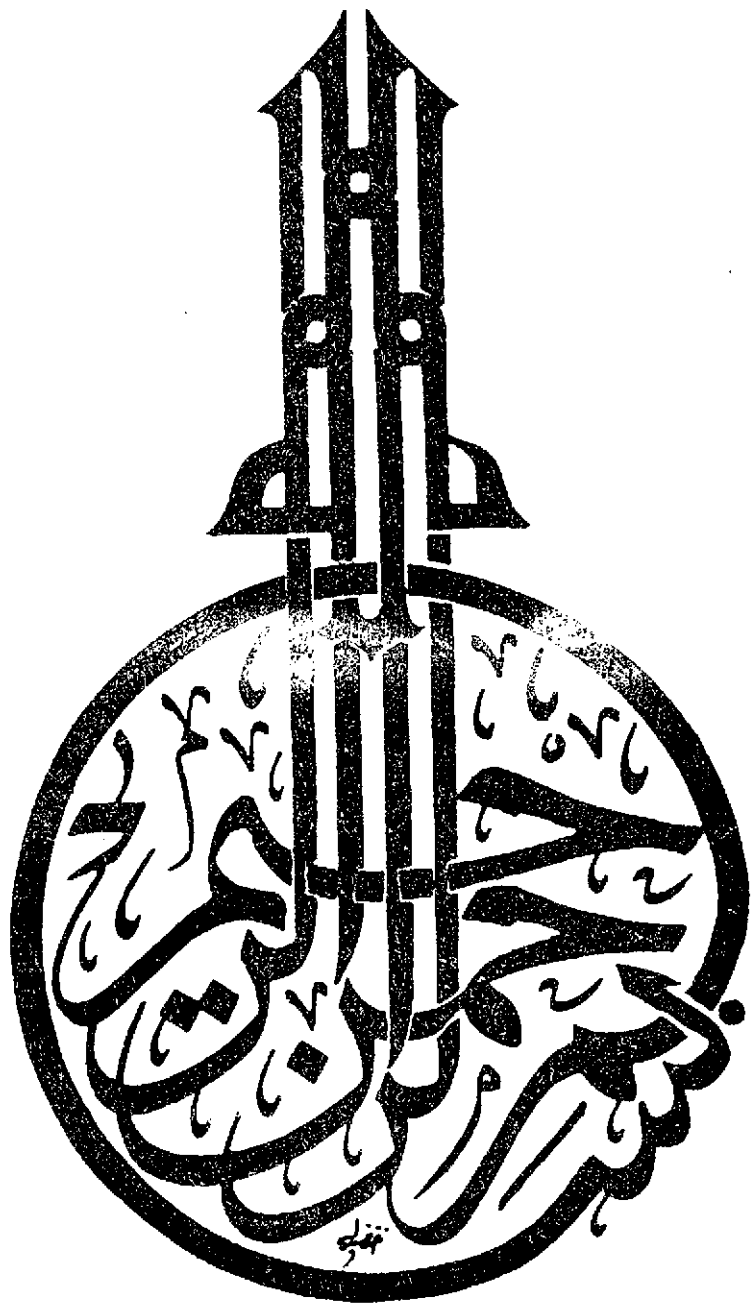
التوقيع : 

يعتمد

رئيس قسم الدراسات العليا

الإسم : **د. محمد بن العمري**

التوقيع : 



## ملخص البحث

لحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
بعد :

قد جاء هذا البحث مكون من ثلاثة فصول تسبقهم مقدمة وتمهيد . وقد ضم التمهيد ، الشكوى بمفهومها اللغوي الاصطلاحي ، وتنامي الشكوى من خلال الزمان ، وقد أشار إلى ذلك تتبع البحث بلمحة عجلية إلى الشكوى في العصر الجاهلي ، والعصر الأموي والعصر العباسي ، ثم تناول البحث بشكل أكثر تفصيلاً الشكوى في القرن الرابع الهجري (عصر المتنبي) . ثم تناول التمهيد في طرفه الأخير حياة الشاعر ، اسماً ، ومولداً ، وحياتاً ، وشخصية وفقراً ، وثقافة حتى وفاته ، وتبدو أهمية هذه الإمامة لما لها من صلة قوية ورابطة متينة بشعر الشكوى . ودخل البحث في رصد حالات لشكوى مستفتحة بحالات الشكوى العامة ، فتناول شكوى الزمان والفقر والناس والشعراء والأصدقاء ، من خلال فصل لبحث الأول . وجاء الفصل الثاني ، راصداً لحالات الشكوى الخاصة من خلال الشكوى من الموت والمرض والليل ، والهجر والشيب والغربة والسجن ، وانتهى بما يُوحى بالشكوى من خلال أبيات ومقطوعات تناثرت في أرجاء الديوان . وجاء الفصل الثالث كدراسة تطبيقية لما تم جمعه في البحث من خلال فصوله السابقة ، فتناول الشكوى وبناء القصيدة ، عبر بوابة اللغة الشعرية حيث جاء لغة الشكوى لغة في مجملها يسيرة سهلة لتأثر الشاعر بعمق الشكوى ، وجماعته دراسة التراكيب والأسلوب والمعجم شاهداً على هذا الاتجاه . أما الشق الثاني من الفصل الثالث فامتد ليصل الصورة لفظية ، التي اصطبغت بلون الحزن ، وتدنّرت بلباس الألم ، كما كانت الإيقاعات الشعرية متنوعة وثرية بثناء الشكوى واتجاهاتها . أما الوحدة الموضوعية فلم تكن بارزة بروز الوحدة النفسية حيث لم تنفرد الشكوى بقصائد خاصة بها بل جماعت متوغلة في أغلب قصائد الديوان . والعمل الأدبي صورة صادقة لحالة مبدعه فرحاً وترحاً ، حياً وكرهاً ، لما يحمله من شحنات نفسية ، وحمولات دلالية ، تعطي الصورة الواضحة لخفايا حالت الإنسان الشعورية ، التي يحاول أحياناً سترها بصور أخرى ، لا تزيد الأيام إلا زوالاً !! لذا كانت دراسة الشكوى عند المتنبي من الأمور ، التي شغلت ذهني منذ زمن ، والسبب يرجع إلى ما تنادى به المتذوقون لشعر المتنبي من أن الرجل مثلاً للفخر ، والقوة والشجاعة ، حين لم يستقر في أذهانهم إلا قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني \*\*\*\*  
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وأخذ هذا (التنادي) يستقر في الأذهان ، وينتشر بين طلاب الأدب ، فضلاً عن المتخصصين فيه .

غير أن الدارس لشعر المتنبي يقف على اتجاهات كثيرة ، تصب في ميدان الشكوى !! وهنا نعرف مقدار الخلل الذي وقع فيه متذوقو شعر المتنبي والشكوى في الشعر العربي غرض قائم بذاته ، وفن مهم من فنون الشعر العربي قديماً وحديثاً ، لأنه يرتبط بالنفس البشرية ، يعكس انكساراتها وانحناءاتها على مر العصور ، وزيادة على ذلك هو "هم" إنساني مستقر في داخل كل مستخلف في الأرض . لذا لم يكن هذا الفن الأصيل ، والهم الثقيل غريباً على شاعر بحجم إحساس المتنبي ، وشعوره وشفافيته . لعل هذه الدراسة وقفت على جوانب مخفية وزوايا منزوية ، في حياة المتنبي حين نعتبر أن الشكوى أوضح صورة لحياة الإنسان بما يكتنفها من مكابدة ومصارعة . وقد خرج البحث بمجموعة نتائج ، لعل من أبرزها .

\* بروز الشكوى بشكل جلي ، يلمسه كل من يقرأ ديوان المتنبي وقد أدرك المتنبي ذلك حتى أنه تمنى على نفسه أن ينجز قصيدة خالية من هذا (الغرض) حين صرخ :

ألا ليت شعري ، هل أقول قصيدة \*\*\* فلا أشتكى فيها ، ولا أتعذبُ !!؟

\* أن الشاعر يكشف في شعره عن شخصية يملؤها الاعتزاز بالذات وهذا ما توحى به قصائد المتنبي ، ولكن الشكوى و ما تعبر عنه من شعور بالضعف والإنكسار تتناقض مع ذلك ، وهذه إحدى مفارقات البحث التي تدعو للتوقف أمامها !!  
\* إن الشكوى لم تكن موضوعاً مستقلاً ، بحيث تأتي من خلال قصيدة كاملة ، ولكن إذ تجاوزنا قصيدة أو قصيدتين فإن الشكوى منتشرة هنا وهناك بشكل يشي بسيطرتها على عطاءات الشاعر ، وتوغلها في نفسه ، مما يؤكد تفاعل الشكوى مع كل أغراض الشعر عند المتنبي .

\* تفاعل المتنبي مع قصائد العصر ، وأحوال الزمان ، فكان في شكواه ملحاحاً على إبراز الهم العام ، والهم الخاص ، من خلال حالات الشكوى التي رصدها البحث .

\* ومن خلال مطالع القصائد التي كتبها المتنبي ، أخذت الشكوى والصراخ حيزاً كبيراً من مطالع القصائد ، وقد رصد البحث كثيراً من هذه المطالع !!  
والله ولي التوفيق ،،،،

المشرف : أ.د . عبد الله أحمد باقازي

الطالب : أحمد عبد الرحمن حسين العرفج

عبد الله أحمد باقازي

أحمد عبد الرحمن حسين العرفج

ميدانية اللغة العربية

د . صالح جمال بدرى

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم وعلى آله أجمعين .

ويعد ..

اتسم الشعر العربي عبر عصوره المختلفة ، بتعدد أغراضه المتنوعة ، وتباين

اتجاهاته مما عكس على هذا الأدب روح الحيوية والامتداد حتى يوم الناس هذا .

لذا ظل الأدب العربي القديم قبلة الباحثين ووجهة الدارسين ، ومن هنا كانت هذه الدراسة

التي أرجو أن تكون بمستوى التطلعات .

وقد دأبت الدراسات الأدبية ، والأطروحات النقدية على استقصاء أغراض شعرية ،

وموضوعات أدبية ، أصبحت في واجهة الحركة الشعرية ، حين حظيت بكثير عناية وكثير

اهتمام من حصة الدارسين .

ولكن تبقى في باحة الأدب زوايا مجهولة ، وأغراض مختفية ، على الرغم من ظهور

آثارها في النص الأدبي .

ومن هنا كانت هذه الدراسة بعد الاتفاق مع المشرف ، واتفقنا على أن تكون

{ شعر الشكوى عند المتنبي } .

ودراسة من هذه الفئة تتجه مباشرة إلى ( النص ) ، لأنه منبثق الضوء ، الذي ينير طريق

الدراسة ، ويرشد الدارس إلى شعاع السبيل .

يضاف إلى هذا أن الشاعر المتنبي يُعتبر من أبرز الأسماء الشعرية، ليس في القرن الرابع

فقط، بل في ديوان الشعر العربي بكل عصوره.

ويمكن أن نقول إن الشكوى عند المتنبي ليست بذلك الوضوح بحيث تشكل هما وغرضاً

يحفر في عطاءات المتنبي الشعرية.

ويضاف إلي هذا كله أن الدراسات [الكثيرة] التي أنجزت عن المتنبي ليس فيها ما يشير إلى ظاهرة الشكوى عند المتنبي كظاهرة ملحّة وبارزة بحيث تُفرد بدراسة مستقلة. هذا وغيره دفعني إلى الشروع في هذا الموضوع متمنياً من الله التوفيق والسداد.

وقد جاء البحث في ثلاثة فصول قبلها مقدمة وتمهيد ...

وضم التمهيد الشكوى مفهوماً ودلالة ، ومكانتها في الشعر العربي قبل المتنبي وظهورها كغرض من أغراض الشعر القليلة التي تبرز هنا وهناك عند كل شاعر بمقدار قلّ أو كثير.

ثم تعرض التمهيد إلى المتنبي مولداً وحياة وموتاً وشعراً .

وجاء الفصل الأول رصداً لحالات الشكوى العامة ، مشتملاً على الشكوى من الواقع المحيط، ومن الزمان والفقر والناس والشعراء .. وغير ذلك من اتجاهاتها .

أما الفصل الثاني فتناول حالات الشكوى الخاصة ضاماً الشكوى من الموت والمرض والليل والهجر والشيب والمكان وغير ذلك من اتجاهات الشكوى الخاصة .

وفي الفصل الثالث جاءت الشكوى وأثرها في بناء القصيدة من خلال اللغة الشعرية، وبروز

المعجم الشعري وشكل التراكيب ، وتكوين الصور ، وحجم الإيقاع ، و وضوح الوحدة

الموضوعية واختفائها . وبعد : هذا لابد لي في مقام الشكر من إرجاع الفضل لأهله مزجياً

الشكر لجامعة أم القرى ممثلة بمديرتها معالي الدكتور / سهيل قاضي ، هذه الجامعة التي

صقلت أدواتي المعرفية ، وأذكت فيّ روح العلم .

كما أشكر عمادة الدراسات العليا بالجامعة ممثلة بسعادة الدكتور / أحمد الحمد

ومادمت في مقام الشكر ، كان لزاماً عليّ أن أشكر كلية اللغة العربية بالجامعة ممثلة

بعميدها السابق سعادة الدكتور / حسن باجودة ،

وعميدها الحالي سعادة الدكتور / صالح بدوي ، كما أشكر قسم الدراسات العليا بالجامعة

ممثلاً برئيسه سعادة الدكتور / محسن العميري وإذا كان هذا البحث حليفاً للتوفيق ورفيقاً

للنجاح، فما ذاك - بعد فضل الله - إلا بفضل سعادة الاستاذ المشرف الدكتور/عبدالله أحمد باقاري ،  
الذي كان كريماً في صبره ، وسخياً في وقته ، وصادقاً في توجهه .. فجزاه الله عنى خير الجزاء.  
بقي في النهاية أن أعترف أن هذا البحث يضل - ككل عمل إنساني - قابلاً للزيادة ، معرضاً  
للنقصان ، ولم يكن هدف هذا البحث الاستقصاء والجمع وإغلاق الطرق أمام الآخرين ، بل هو  
إضاءة متواضعة في طريق الأدب العربي عامة ، وشعر المتنبي خاصة .. والله الموفق إلى  
سواء السبيل .

التمهيد



## التمهيد :

أ- الشكوى في الشعر العربي .

١- مفهوم الشكوى.

٢- الشكوى قبل القرن الرابع .

أ- العصر الجاهلي.

ب- العصر الأموي.

ج- العصر العباسي.

٣- الشكوى في القرن الرابع .  
( عصر المتنبي )

ب- المتنبي شاعراً .

١- اسمه ومولده .

٢- شخصيته .

٣- فقره .

٤- ثقافته .

٥- شاعريته .

٦- وفاته .

مدخل :

الشكوى حالة شعورية ، تقوم على وجع داخلي يلُم بالمرء خلال موقف يستوجب التعب والصراخ ،

والضعف و أحياناً البكاء .

والشكوى تصدر من متوجع يجد نفسه أمام أتعاب أو عذابات أو جراح ، أو ظلم ، أو أسقام لا يملك لها

رداً إلا اللغة فيذهب إلى ألفاظها معبراً عن دواخل نفسه ، وأتین شكواه .

قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام<sup>(١)</sup> قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

فالحزن والشكوى والبهتُ حالات من حالات الإنسان تتكون بتأثيرات داخلية أو خارجية لترسم الضعف

والإتكسار ، الذي يعترى المرء طالما أنه يحيا على هذه الأرض .

---

(١) الآية ٨٦ سورة يوسف.

## أ - مفهوم الشكوى :

الإنسان خلق في كبد ، وهو ليس في حالة واحدة مستقرة ، بل ينتابه الألم والمرض

والظلم ، لذا كانت الشكوى هي الثوب الذي يضم أوجاع المرء وأحزانه .

لذا صارت الشكوى عاطفة ، قوامها الإحساس بالظلم أو الحرمان ، عاكسة لروح المرء الحزينة والمتألّمة

والمحبطة ، التي ينتابها الضعف والإنكسار .

إن الحرمان والتعب والظلم كلما عصفت بالمرء زادته حسرة وشكوى ، " ونتيجة لما أحدثته الأيام ، فما عاد

للسعادة طعم عند الناس حتى وإن عرفوا الاستقرار في يوم من الأيام " (١)

ولعل الشكوى من أصدق الفنون الشعرية التي تعبر عن حالة الإنسان الضعيفة والمتعبة ، لذا تعكس

- صراحة - واقع المرء ومعاشه ، وتفصح عن أشجانه وآلامه كمعطى للتناقض أو الحزن أو الإنكسار

الذي يواجهه خلال سيره في مناكب الأرض .

وهو بطريقة أخرى صدى لضعف الإنسان وعجزه أمام طاقة قوية لا يقدر على الصبر عليها فضلاً عن ردها .

وباعتث الشكوى إضافة لما سبق ، ربما يكون إحساس الإنسان بالعجز عن الوصول ، أو تحقيق ما يطمح

إليه ، أو ما يستحقه على أحسن الأحوال . لذا تصبح الشكوى متنفسه الوحيد ، ونافذته إلى البوح الخارجي

العاكس للألم الداخلي " فالشكوى تخفف الهم وتزيل الألم " (٢)

وغني عن القول أن الشكوى تختلف عن المدح والفخر ، وبأقي أغراض الشعر العربي ، لأنها خالية من

الافتعال ، وتأتي مجردة من التصنع ، والتكلف ، بل إنها فوق ذلك تأتي ضاجة بالمعاناة وممزوجة بالحزن

وممتلئة بالصدق والتعبير الحقيقي عن العواطف المشحونة بالتعب .

ونادراً ما تأتي الشكوى باردة فاترة مكلفة ، بل إنه " لا بد أن يتوافر في التجربة صدق الوجدان فيعبر

الشاعر فيها عما يجده في نفسه ويؤمن به " (٣)

(١) م "الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين" د/عبد الله بن علي ثقفان/مكتبة لتوبة / الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ص. ٦.

(٢) م "محاضرات الأدباء" الراغب الأصبهاني، المجلد الأول ص. ٢/٤٣٨.

(٣) م "النقد الأدبي الحديث" د/محمد غنيمي هلال، ص. ٣٦٦.

ويتميز شعر الشكوى أنه يمتلك خاصية " الصدق"، يشاركه في ذلك شعر الرثاء، " لأنه يصدر عن مؤثر داخلي عميق باللوعة والفقد ، فليس هناك حوافز خارجية تدعمه مثل شعر - المديح مثلاً - " (١) يضاف إلى ذلك أن الشكوى تنفجر في الشاعر نفسه لقربها من محيطه و وجدانه لتأتي محملة بالمعاناة ، التي يشعر بها ، ويلمسها ، وأحياناً ينصهر في أتونها ويقدر المعاناة يكون الصدق شامخاً في التجربة وبارزاً في الألم ، لذا كان " أقدر الناس تعبيراً عن الشقاء ،من كان الشقاء في نفسه ، وأقدرهم تعبيراً عن الغضب من استطاع أن يملأ بالغضب قلبه " (٢) والشكوى مفردة تمثل الألم والحزن والتوجع ، كما يشير إلى ذلك جذر المادة " شكا " وذكر اللسان أن " الاشتكاء : إظهار ما بك من مكروهٍ أو مرضٍ ونحوه " ، وقال :

" الشكاية والشكية إظهارُ ما يصفُك به غيرُك من المكروه " ، و " أشكيتُ فلاناً إذا فعلتُ به فعلاً أحوجه إلى أن يشكوك " و " يُشاكِي الرجلُ أميره هو فاعلت من الشكوى ، وهو أن تخبر من مكروه أصابك " و " قال الفراء أشكى إذا صادفَ حبيبه يشكو، وروى بعضهم قولَ ذي الرُّمة يصف الربع و وقوفه عليه :

وأشكيه ، حتى كاد مما أبته  
تكلمني أحجاره وملاعبه

قالوا معنى أشكيه أي أبته شكواي وما أكابذه من الشوق إلى الظاعنين عن الربع" (٣)

ومن تقليب كل الدلالات اللغوية للكلمة يتضح أنها تُصاحب معنى التوجع والألم والتعب والمرض وتصب في دائرة الحرمان والشقاء والإحباط والضعف .

ومن غير الشعر يجسد هذه المعاناة الدائمة بين الإنسان وأهدافه ، فالشعر مجال فسيح للتعبير عن الرغبات والإنكسارات والأمانى لأنه " فيض تلقائي لمشاعر قوية " (٤)

والشكوى في أعماق تجربته يبتغي الوسيلة النبيلة ، والهدف الأسمى ، بأثواب شفافة تلمح وتصرح وتوضح ولا تفصح ، لأن يشع بضيائه على المناطق المظلمة في مساحة المد الاجتماعي ، مركزاً على اضطراب

(١) م "رثاء النفس في الشعر العربي" د/ عبد الله أحمد باقازي/ دار الفيصلية ص. ٣٧٣.

(٢) م "فن الشعر" لأرسطو / ترجمة وشرح وتحقيق عبد الرحمن بدوي ص. ٤٨.

(٣) م "لسان العرب" لابن منظور - مادة شكا - ص. ١٣٩/١٤ / دار الفكر/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - بيروت.

(٤) م "نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية" د/ عبد المنعم إسماعيل/ مكتبة الفلاح/ الكويت/ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ، ص. ٢١٨

الثوابت ، لأن الأدب رحب " كرحابة الحياة الإنسانية بما تحفل به من صراع وتضارب، من تناقضات تنشأ عن الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسئولية وما يستقر في أعماق هذه الذات من دروب والتواء وتعقيد" (١)

ومن هنا تكون الشكوى إضاءة في اتجاهين ، أحدهما تعبير عن أنين داخلي متأجج في ذات معذبة منثورة على حروف ظمأى ، والآخر انعكاس لواقع مرير ، ومجتمع مُحيط ، وأحداث ومواقف ، تثير الألم ، وتذكي الوجع ، فالشاكى هنا يتجرد من وجعه ليصور وجع الآخرين في عملية كبرى هي الواقع المحيط الذي يموج بالتناقضات المختلفة ، وحينها يصبح الشاعر الشاكى ، مفرداً يصوغه الجمع، وما شكواه إلا أصوات فردية من أجل المجموع الغائب صوته الحاضر في ألمه .

---

(١) م " حول الأديب والواقع" د/ عبد المحسن طه بدر/ دار المعارف/ الطبعة الثانية، ص. ١٨.

## ب - الشكوى قبل القرن الرابع الهجري:

مدخل :

ينطلق الشعر العربي من حقول مختلفة، وتتجاوزه فنون شتى، ليصب في قوالب منها المدح، ومنها الفخر، ومنها الغزل، ومنها الرثاء، ومنها الشكوى .  
والشكوى مصاحبة للإنسان منذ وجد وسار على الأرض منتثراً في مشارقها ومغاربها، ضارباً في مناكبها لذا يمكن أن يكون فن الشكوى من فنون الشعر العربي، التي ظهرت والإنسان في وقت واحد .  
وقد ارتبط بالشعراء خاصة، وصور انفعالاتهم، وعواطفهم وجراحهم ومواقفهم إزاء كل خلل يصيب الحياة السياسية أو الاجتماعية، أو يصيب الذات الشاكية .  
إن الوجد والسخط والألم إفرزات دائمة، لذا كان ظهورها في كل عصر أمر من البروز بمكان وإن كانت تختلف باختلاف معطيات العصر السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، مما يصاحبه اختلاف كذلك في المعنى والمبنى .

### ١- العصر الجاهلي :

لم يكن شعر الشكوى في هذا العصر يبرز كاتجاه منفرد، بمعزل عن الفنون الأخرى، ولم يكن يحمل دلالة تمثل ظاهرة منفصلة عن باقي مجالات المعنى في القصيدة، بل كان يأتي مصاحباً لغيره، من رثاء وفخر ومديح، وتكاد الشكوى تظهر بشكل يسير، وإن كانت متصلة في فن قول الشعر " وقد ذكر امرؤ القيس سلفاً له في الشكوى والبكاء على الأطلال، يدعى : ابن جذام " (١) حيث قال امرؤ القيس:  
عوجا على الطلل المحيل لأننا  
نبكي الديار كما بكى ابنُ جذام

ولو حاولنا التماس سبب لوجود الشكوى في القصيدة على هذا النحو من القلة، لأرجعناه إلى طبيعة الإنسان العربي الذي يحنّ الصبر، ويميل إلى ستر ضعفه، وكان الشكوى تمثل له شيئاً من مظاهر الخنوع والضعف والإتكسار .

وكل ما وُجد من شعر يدل على الشكوى في صفحات الأدب الجاهلي مرده إلى ساعة ضعف تمر على المرء يجد نفسه أمامها مضطراً للبوخ ولو على سبيل التخفيف والمواساة .  
إن الإحساس العميق بالألم أو الضعف أو الظلم يخرج الإنسان عن صمته، وهذا ما حدث مع الشاعر

(١) م " تاريخ الأدب العربي " كارل بروكلمان، ترجمة د/عبد الحلیم النجار / دار المعارف / الطبعة الخامسة القاهرة ص ١/٦٠ .

الجاهلي الذي وجد نفسه إزاء حياة لا يملك معها إلا البوح والبثّ، فهو مثملاً مدح وافتخر ووصف واستعلى " فإنه قد تظلم حينما شعر بالظلم ، وشكا حينما أحسّ بالحيف " (١).

والشاعر الجاهلي في شكواه ، بل في كل أشعاره ينطلق من صدق التجربة ، والإخلاص لفنه ، وذلك " لإبتعاد الجاهلي عن المبالغات المفرطة التي يلفظها الحسّ الصادق والابتعاد عن التكلف الثقيل على النفس والتصنع المنقر للحسّ والمبعد عن الطبع " (٢)

وهو حين يشكو لا يتجاوز واقع المعاش ، مرتكزاً على مواصفات يدركها وتجارب عاشها، وما كان الشعر الجاهلي بكل ما يحفل به من قيم فنية ، ومعايير اجتماعية ، ومظاهر سلبية إلا " تصويراً مخلصاً وفيها لبيئة الجاهليين وحياتهم ونفسياتهم بكل ما كان فيها من محاسن ومساوئ وكل ما حددها من حدود مادية فكرية واجتماعية " (٣)

أما موضوعات الشكوى في الشعر الجاهلي فيأتي في مقدمتها شكوى الزمان " فما من أديب ولا عالم قال الشعر إلا وشكا من سوء حظه وعتب على الزمان وأنحى على الدهر بالذم " (٤)

كما يأتي شكوى القريب وسوء الحال والشيب والحبيبة بدرجات متفاوتة ، وكمثال على الشكوى من القريب يقول طرفة بن العبد :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة  
على المرء من وقع الحسام المهند (٥)

كما أن شكوى الدهر ، أخذت حيزاً كبيراً من صفحات الأدب الجاهلي ، وما ذلك إلا لأن الشاعر الجاهلي وجد نفسه أمام سر الحياة والموت ، دون أن يعرف المغزى منهما ، نظراً للعقيدة الفاسدة التي يعتنقها ،

(١) م " الشكوى في الشعر الجاهلي " د/قحطان رشيد التميمي / مجلة كلية الآداب / بغداد العدد ١٣ / ١٩٧٠م ص ١٤٠ .

(٢) م " الجانب الخلفي في الشعر الجاهلي " د/زهدي صبري الخواججا / دار الناصر / الرياض / الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ص ٣٧ .

(٣) م " الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه " د/ محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص. ٣٧.

(٤) م " مجلة المنار " الشعر في شكوى الزمان / العدد رقم ٤١ تاريخ ١٣١٦ / ص ٨١٦ .

(٥) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق سيف الدين الكاتب، ص. ٢٥، دار مكتبة الحياة — بيروت — " بدون تاريخ".

والتي وصفها القرآن الكريم بقوله عز وجل « وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١٢٤﴾ » (١)

فالشاعر الجاهلي يعتمد في شكوى الزمن على النظرة التي تؤدي إلى تفسير خاطئ للموت والحياة ، فالجاهليون " رسموا الزمن في أذهانهم قوة قادرة على الإهلاك " (٢)

ولعل أبرز صورة لما يصدر معاناة الشاعر الجاهلي من الدهر ، ومن الأيام ، بل وحتى أهل الزمان ، وأقارب الشاعر الذي تحولوا عنه ، لعل أبرز هذه الصورة ما قاله عنتر بن شداد :

أَعَاتِبُ دَهْرًا لَا يَلِينُ لِعَاتِبٍ  
وَأَطْلُبُ أَمْنًا مِنْ صُرُوفِ النَّوَابِ  
وَتُوْعِدُنِي الْأَيَّامُ وَعَدَا تُغْرِي  
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ وَعْدُ كَاذِبٍ  
خَدَمْتُ أَنَسَا ، اتَّخَذْتُ أَقْرَابًا  
لِعَوْنِي ، وَلَكِنْ أَصْبَحُوا كَالْعَقَارِبِ (٣)

والشعر الجاهلي كان وثيقة، عن حياة أهله ، وحالتهم النفسية ، والاجتماعية ، لذا أنحوا باللائمة على الزمان في كل ما يعترهم من أحداث ومواقف " فالشعر الجاهلي في مجمله هو تعبير عن عواطف صادقة " (٤)

(١) الآية ٢٤ سورة الجاثية.

(٢) م "الزمن عند شعراء العرب قبل الإسلام" عبد الإله الصانع/ وزارة الثقافة والإعلام، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م ص. ١٣٠.

(٣) م "شرح ديوان عنتر بن شداد" تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمادي/ دار الشرق العربي/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ص. ١٣٠.

(٤) م "الجانب الخلفي في الشعر الجاهلي" د/ زهدي صبري الخوجا، ص. ٣٧.



٢- عصر صدر الإسلام ، والعصر الأموي :

جاء الإسلام ، وجاءت معه معالم الإصلاح ، وترتيب حياة البشر ،

ولم يهتم الإسلام بالعقيدة فحسب، ولم يخاطب القرآن الكريم المسلمين بإخلاص الدين والخلوص من الشرك فقط ، " بل رسم لهم أيضاً طريق الفضيلة وما ينبغي أن يتحلوا به في سلوكهم وأخلاقهم ، حتى ينالوا رضا ربهم ومحبه " (١)

وبمجيء الإسلام نهض العرب لإعتناق الدين ، ليرتفعوا إلى الحياة السعيدة ، التي كفلها لهم الإسلام ، الذي

" يرفع من شأن المسلم اجتماعياً وعقلياً وروحياً ، وهو ارتفاع من شأنه أن يسمو بإنسانيته " (٢)

إنه مثال ناضج ، رسمه الإسلام لسمو البشرية ، إذ أقر مبدأ العدالة الاجتماعية ، حين " أخذ الإسلام يُرسي

القواعد الاجتماعية لهذه الأمة ، بحيث تكون أمة مثالية يتعاون أفرادها على الخير أمرين بالمعروف وناهين

عن المنكر ، يسودهم البر والتعاطف ، حتى لكأنهم أسرة واحدة مُحيت بين أفرادها كل الفوارق القبلية

والجنسية " (٣)

لم يسع الشعر إلا أن ينساح في الإسلام وتعاليمه ، ونبله ، وعدالته ، لذا جاءت قصائد الشعراء واضحة

بأثرها بالقرآن الكريم ، ومستجيبة لبلاغة الحديث النبوي الشريف .

غير أنه أصاب الشعر في هذه الفترة بعض الركود والفتور ، لإشغال الناس ببلاغة القرآن الكريم وفصاحة

السنة المطهرة ، ولقد حدد القرآن الكريم موقفه من الشعراء ، وكأنه يوجه الشعر و الشعراء إلى توظيف

هذا المعطى الفكري في سبيل مناصرة الدعوة ومعاضدتها ،

قال تعالى " أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ " (٤)

(١) م " تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي " د/شوقي ضيف / دار المعارف / مصر / الطبعة السابعة بدون تاريخ ص ١٤ .

(٢) م المصدر السابق، ص. ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص. ١٩ .

(٤) آية ٢٢٥ - ٢٢٧ من سورة الشعراء.

وببزوغ فجر الإسلام ، الذي جاء بنظم إنسانية ، وتعاليم سماوية ، ونهضة فكرية، تصدت لجاهلية الفكر،  
وعبئية الحياة ، وتخلف المجتمع ، كانت النقلة في المجتمع بمقدار ما كان يعاني من أعباء ومصاعب،  
فغير المجتمع ، ونهض بأفكاره وتعامله ، وسلوكه ، بل حتى بألفاظه ، ومعانيه ، وكان الشعر أكثر الفنون  
الأدبية استجابة " ولا غرابة في ذلك لأن الشعر هو التعبير عن مشاعر الناس والتجسيد لأفكارهم ، وقد  
تمثل تأثير الإسلام في كل الفنون الشعرية التي كانت تسود عصر صدر الإسلام والدولة الأموية وفي  
خصائص الشعر الفنية من حيث الألفاظ والمعاني والأفكار والصور والأخيلة " (١) وتمثلت إستجابة الشعراء  
من خلال ألفاظ الشعر ومعانيه، حين استعاضوا عن الألفاظ الجافة والمعاني اليبوسة ، التي حفل بها العصر  
الجاهلي، والتي أملت عليهم الصحراء وقسوة الحياة الصحراوية ، بألفاظ رقيقة ، وكلام واضح وأسلوب  
سهل ، كل ذلك كان لما " ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ونزعت  
البوادي إلى القرى وفشا التأذب والتظرف واختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي  
أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً " (٢)

ونظرة إلى شعر الشكوى في هذه المرحلة تعطينا مقدار التأثير الذي أحدثه الدين في المعاني والألفاظ ، حين  
نهى الإسلام عن الفواحش وزور القول ، ولحنه ، والبعد عن السباب والإلحاد والكذب والدجل ، نلمح ذلك  
من أشعار تلك الفترة ، فنجد التأثير جلياً واضحاً .. يقول الشاعر

عمرو بن أحمـر الباهلي-حين مرضه :

إليك إله الحق أرفع رغبتي  
عياذاً وخوفاً أن تُطيل ضمانيا (٣)  
فإن كان بُرءاً ، فأجعلُ البرءَ نعمةً  
وإن كان فيضاً ، فاقضُ ما أنت قاضيا (٤)

(١) م " الإسلام والشعر " د/سامي مكي العاني /المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / الكويت / مطابع الرسالة / الكويت ١٩٨٣ ص ٥ .

(٢) م " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي ، منشورات  
المكتبة العصرية / صيدا بيروت - بدون تاريخ ص ١٨ .

(٣) الضمان: ما يصيب الإنسان في جسده من مرض أو زمانه راجع اللسان/ مادة ضمن ص. ١٣/٢٦٠ .

(٤) م " تاريخ الأدب العربي " / العصر الإسلامي / د/شوقي ضيف، ص. ٧٥ .

وتحول مسار الشكوى في هذا العصر إلى مجالات هي أقرب إلى الدين الإسلامي ، والإيمان به حين اتجه بعض الشعراء إلى الله عز وجل في شكواهم ، لأن الدين علمهم أن الشكوى لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى وحتى إذا كان الشاعر بصدد الشكوى من حبيبته، فهو لا ينسى أن الشكوى لله وحده ، يقول جميل بثينة:

إلى الله أشكو ، لا إلى الناس حبها  
ولابد من شكوى حبيب يروّع  
ألا تتقين الله فيمن قتلته  
فأمسى إليكم خاشعاً يتضرع<sup>(١)</sup>

وامتد الدين الإسلامي ليصبغ بتصوره للحياة والموت معاني الشعراء، حين أزاح عنها المعتقدات الجاهلية وقلب المفهوم الخاطئ الذي كان يسيطر عليهم ، وإن الدهر يملك قوة خارقة، وهو الذي يهلك ويفني ، رسم الإسلام صورة نقية واضحة، ترتقي بالفرد المسلم فيما يخص الحياة والموت ومن بعدهما البعث والحساب والجنة والنار .

واتضح ذلك من خلال شعر الرثاء ، فهذا أحد الشعراء يرثي فقيدته ، بعد أن أيقن أن الله هو الذي يصرف الأمر ، ويبيده المحيي والممات يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناس فقده  
ولوعة حزن أوجع القلب داخله<sup>(٢)</sup>

" إن الشعر بصوره العديدة الجوانب يكون تعبيراً صادق الإحساس ، عميق الدلالة على كل ما يجري في المجتمع ، ومن ثم يتأثر الشعر نشاطاً وكسلاً واندفاعاً وتراخياً ورقة وخشونة ورفقة وضعة بما يجري في مجتمعه"<sup>(٣)</sup> من هنا برزت شكوى جديدة في هذا العصر تمثلت في الحنين إلى الوطن والأهل، الشكوى من الغربية ، وابتعاد المسلمين ، الذين ذهبوا للجهاد، وقاموا بالفتوحات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ،

<sup>(١)</sup> م "شرح ديوان جميل بثينة" شرح وتقديم/ مهدي محمد ناصر الدين/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط ١/ ١٤٠٧هـ.

<sup>(٢)</sup> هو المشمردل ابن الشريك البربوعي من شعراء العصر الأموي/ م/ ترجمته في الأغاني تحقيق إبراهيم الأبياري ١٣/٤٨٦٣ وشعره في المصدر نفسه ص. ١٢/٤٨٦٥.

<sup>(٣)</sup> م "رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية" د/ مصطفى الشكعة، عالم الكتب/ بيروت ١٩٧٩ ص. ٢٣.

وذلك تلبية واستجابة لدعوة الجهاد ، ونشر الدين الإسلامي ، يقول مالك ابن الريب التميمي حين حانت وفاته ، مشفقاً على أهله :

وبالرمل منا نسوة لو شهد نني  
بكين ، وفدين الطبيب المداويا  
فمنهن أمي وابنتاها وخالتي  
وبياكية أخرى تهيج البواكيا (١)

كما كان هناك شكوى أخرى تتمثل بالشكوى من والولة،والعمال القائمين على الأمصار حين أخذ الشعراء يرفعون شكواهم إلى الخلفاء ، عندما لحقتهم الإساءة والظلم و الجور من بعض الولة،وما يصاحب ذلك من الحيف ، وأخذ أموال الآخرين ، والشعراء في شكواهم من هذا الظلم إنما يتكئون على " روح الإسلام وتعاليمه التي تؤكد الأمانة ، وتحث على النزاهة وعفة اليد واللسان " (٢) ولعل خير من يجسد هذه الشكوى ، ويعبر عنها " الراعي النميري " (٣) حين رفع شكواه إلى

الخليفة/عبد الملك بن مروان ، موضحاً فيها إجحاف الضرائب ، وقسوة الجبابة ، وظلم السعاة ،مما زاد من فقر قومه ، قال :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة  
شكوى إليك مظلة وعويلا  
من نازح كثرت إليك همومه  
لو يستطيع إلى اللقاء سبيلا (٤)

١- م " رثاء النفس في الشعر العربي " د/ عبد الله باقازي / المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة ص٨٦ / وهو مالك بن الريب التميمي / شاعر إسلامي - أديب ظريف ، نشأ في بادية تميم بالبصرة - كان لصاً ثم تنسك واشترك في جيش سعيد بن عثمان بن عفان ، يقال أنه لدغته أفعى ، فلما أحس بالموت / انظر " رثاء النفس في الشعر العربي " د/ عبد الله باقازي / ص٨٣ ، وكتاب " الإختيارين " ضعة الأخفش الأصغر / تحقيق د/فخرالدين قيادة / الطبعة الثانية / مؤسسة الرسالة / ١٤٠٤/١٤٠٠ - ٦٢٠ .

٢- م " الإسلام والشعر " د/سامي مكّي ص١٠٥ .

٣- هو محمد بن عبدالله بن ثمر بن خرشفة الثقفي النميري ، من شعراء العصر الأموي مات في نحو ٩٠هـ ، انظر سيرته في الأعلام للزركلي / الطبعة الثالثة / بدون تاريخ ص٧/٨٩ .

٤- م " شعر الراعي النميري " تحقيق د/نوري هودي القيسي ، وهلال ناجي ، مطبعة المجمع العراقي سنة ١٤٠٠ ص٥٤ .

ثم يحدد الشكوى بقوله :

- إن السعاة عصوك حين بعثتهم  
وأتوا دواعي لو علمت وغولا (١)  
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا  
لم يفعلوا مما أمرت فتिला (٢)

ويظهر أثر الإسلام ، حين يواصل شكواه ، طالباً من الخليفة رفع الظلم ، يقول :

- أولَيَ أمر الله إنا معشر  
حنفاء نسجد بكرة وأصيلا  
عرب نرى الله في أموالنا  
حق الزكاة منزلاً تنزيلا  
فادفع مظالم عيكت أبنائنا  
عنا ، وانقذ شلونا المأكولا (٣)

من هنا نلاحظ أن الشعر جاء موافقاً ، للمستجدات والمتغيرات التي تلون العصر بها، بعد أن جدّد الإسلام  
دماء الناس ، وظهر نفوسهم ، وهذب أخلاقهم ، فاتجه الشعر لطريق الاستقامة و الخير والمعروف .  
كما جاءت قصائد الشعراء نابضة بحياة الناس، ومنبثقة من همومهم، وكان قصائد الشعراء هموم ومعاناة  
الناس ، وأتعب العصر الذي يعيشون فيه حين أخذوا " يعرضون فيها على مسامع أولى الأمر ما يشكو  
الناس منه ، لعلهم يعملون على إصلاحه " (٤) كل ذلك كان استجابة سريعة من الشعراء "على نحو ما تصوّر  
ذلك شكوى الراعي التي وجّه بها إلى عبد الملك بن مروان" (٥)

١- الفول / المشقة والحياة / راجع " لسان العرب لابن منظور " / مادة (غول) ص ٥٠٩ / ١١ .

٢- م " شعر الراعي الميمري " ص ٦١ .

٣- المصدر السابق ص ٥٧ .

٤- م " حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة " د/يوسف خليف، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر/ القاهرة/ ١٣٨٨ هـ - ٤٩٣ .

٥- م " تاريخ الأدب العربي / العصر الإسلامي " د/ شوقي ضيف ص ٢٠٩ .

### ٣- العصر العباسي :

حفل هذا العصر بمتغيرات كثيرة ، على صعدٍ مختلفة مما أضفى على الحياة عامة ،

الأدب خاصة لوناً من التنوع ، نتيجة للفتوحات وامتزاج الثقافات، وحركة الترجمة غير أن الجانب ، الذي

يتعلق بالثورات ، كان من أبرز ما يمكن أن يميز العصر العباسي ، ومن قبله الأموي فالرافضون للواقع

المعاش يضح بهم المكان ، لكن القائمين على الأمر استطاعوا " أن يكبحوا جماح الثائرين ، خائضين إلى

ذلك بحاراً من الدماء ، متخذين من القضاء على كل ثائر وأنصاره نكالاً من يحاول الثورة على نظمهم

السياسية والاجتماعية " (١) ولم يسع هذه الاضطرابات ، التي شملت مناحي الحياة بعامة إلا أن تلقي

بظلالها على الشعر إن في جانب الثورات أو في جانب الانفتاح والتطور الفكري ، والتشرب من حضارات

الأمم الأخرى ، على نحو ما حصل من حركة للترجمة في الفلسفة والفلك والرياضيات والآداب التي تنتجها

الشعوب الأخرى .

لذا كان واضحاً ، مقدار تأثر الشعر والشعراء بالثقافات المجاورة، ويكفي على ذلك أن المستقرئ هذا العصر

" يقطع بأنه لا يوجد شاعر في العصر إلا وقد أذعن للثقافات المتنوعة، واتخذ منها غذاءً لعقله وقلبه وكأن

شاعراً لا يستطيع منها فكاً ولا خلاصاً " (٢)

بدأت الشكوى تأخذ بالاتساع كاستجابة لمعطيات العصر، واتسعت معانيها وتجددت ألفاظها، وأخذت مقطوعات

الشكوى وقصائدها تستقل بمفردها لتأتي قصيدة شكوى، لا تضم معها غرضاً آخر .

بل حتى موضوعات الشكوى ، ضمت إلى جانب موضوعاتها القديمة ، موضوعات أخرى جديدة أملتتها

الحياة المعاصرة ، ومعاناتها ، حين وجدت في العصر مناطق وآفاقاً جديدة لنشوء شكوى مغايرة ولكن

بقيت شكوى الزمان ، وأهله ، وسوء الحال ، وسخط الإنسان وفقره هي الطابع العام ، لتدخل عليها شكوى

١- م " تاريخ الأدب العربي / العصر العباسي الأول " د/شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثامنة ص- ٩ .

٢- م " تاريخ الأدب العربي / العصر العباسي الثاني " د/شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة ١٩٨٦ / الطبعة السادسة ص- ١٩٥ .

الطبيعة ، والمكان، والتشاكي مع الأخوان موضوعات جاءت مع هذا العصر ،ولعل أبا تمام والبحتري وابن المعتز وابن الرومي خير من يمثل هذه الموضوعات .

وانبثق مع هذا العصر استخدام الصنعة اللفظية ، والإسراف في استعمال البديع ، وارتكز على الجمع بين التأمل والعمق والاستنتاج والتكلف ، وقد يميل في بعض نواحيه إلى الرمز والفلسفة وهذه تتفاوت من شاعر لآخر ، وهذا كله من أثر الانفتاح الذي حصل والحضارة الجديدة التي مازجت شعر هذا العصر ،وقد ظهرت جليلة في شعر الشكوى ،ولعل قول دعبيل الخزاعي،حين اشتكى من قلة الناس وكثرتهم تمثل الاتكاء على النظرة الفلسفية والتلاعب اللفظي ، يقول :

ما أكثر الناس ، لا بل ما أقلهم  
والله يعلم أنني لم أقل فندا  
إني لأفتح عيني حين أفتحها  
على كثير ، ولكن لا أرى أحدا (١)

إن الشاعر هنا حين يفتح عينه لا يرى أحداً ، رغم وجود الناس أمامه ، وعن يمينه وشماله ، ولكن نظراً لأن ظن الشاعر خاب فيهم ، فهم كثر وقليل !!

ومثل هذه الشكوى تعطي صورة واضحة عن الثقافة الجديدة ، وتلاقح جلي من الحضارات الأخرى .  
وتبعاً لمستجدات العصر،أخذ تيار الشكوى يتنامى بشكل تدريجي مستجيباً والحالة العامة لوضع الشعراء ومجتمعهم .

وبحلول العصر العباسي الثاني ، - أي العصر الذي عاش فيه المتنبي - وهو ما يوافق القرن الرابع ، تطورت الشكوى ، وتعددت ، وتوسعت ، لذا يقول شوقي ضيف " وشاعت مع الفخر الشكوى من الدهر ومن الناس ،وهي شكوى قديمة ،غير أنها اتسعت في هذا العصر سعة شديدة،لما شاع فيه من كثرة البؤس والضنك في حياة الشعب،فضلاً عن الشعراء" (٢)وقد شعر الكثير من الشعراء بالظلم ، خاصة أولئك الذين نالوا حظاً كبيراً من العلم ، في مجتمع لم يقدر مثل هذه المواهب ، وقد ظهرت هذه الشكوى بشكل

١-م " ديوان دعبيل الخزاعي " تحقيق وجمع د/ محمد يوسف نجم ، نشر دار الثقافة / بيروت / ١٩٦٢ ص-٥٧ .و الفتد : الكذب  
٢-م " تاريخ الأدب العربي / عصر الدول والإمارات " د/شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثانية ص-٥٩٦ / ٥٩٧ .

كبير في هذا العصر ، " يصور ذلك من بعض الوجوه عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وهما أروع ما صُنّف في البيان العربي وكان مقصد الطلاب في عصره من كل فجّ ، ومع ذلك يرى عشرات من دونه يعلنونه في نعيم الحياة مخلفين له البؤس والشظف ، مما جعله يهتف بمثل قوله:

هذا زمان ليس في — له سوى النذالة والجهالة  
لم يرقّ فيه صاعدٌ إلا وسأله النذالة (١)

وكان لانتشار الفقر الشديد ، والبؤس المدقع ، إفرزاته حيث وجد اللصوص بشكل ظاهر ، وأضحى قطاع الطرق ينتشرون في أماكن متعددة ، طلباً للقمّة العيش ، ومحاربة للفقر ، وكان الأمر بعيداً عن حالة الفقر الظاهرة ، وسوء الحالة الاقتصادية .

"وقد تتحول الشكوى من الزمان وأهله إلى ضرب من التشاؤم الشديد فالزمان كله بؤس وتعاسة والناس ليس فيهم فاضل ولا كريم، بل كلهم أخساء أنذال، حتى ليقول الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني :

ما في زمانك ماجدٌ  
لو قد تأملت الشواهد  
فأشهد بصدق مقالتي  
أولا فكذبني بواحد (٢)

وقد تخلل هذا العصر انقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات هنا وهناك ، مما زاد الكوارث والفقر والتسلط والظلم ، وقد ارتفع صوت الشكوى معبراً عن مظاهر الفساد والفقر وسوء المعيشة والشعراء - بطبيعة الحال - كانوا " أسرع الناس تعبيراً عما يعمل في نفوسهم ، وفي نفوس الآخرين من الألم والشعور المحض " (٣)

١- م " تاريخ الأدب العربي / عصر الدول والإمارات " د/شوقي ضيف ص ٥٩٧ .

٢- نفسه ص ٥٩٧ .

٣- م " اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري " قحطان رشيد التميمي / دار المسيرة / بيروت (بدون تاريخ) ص ١٥٦ .



المتنبي شاعراً :

أولاً : اسمه ومولده :

"هو أحمد ابن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي ولد بالكوفة سنة

ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعف القبيلة

- بضم الجيم وسكون العين - وهي جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج - واسمه مالك - بن أدد بن

زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان ، نشأ بالكوفة " (١) غير أن الغموض يكتنف قبيلة المتنبي ،

وقد قال " أنا رجل أخطب القبائل ، وأطوى البوادي وحدي ، ومتى انتسيت لم آمن أن يأخذني بعض العرب

بطائلة بينه وبين القبائل التي انتسبت إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم من جميعهم ويخافون

لساني " (٢) ويؤكد المتنبي نفسه - شعراً - ذلك بقوله :

لا بقومي شرفت بل شرفوا

بي وبنفسي فخرت لا بجوددي (٣)

ويؤكد عن طريق آخر ، بقوله :

ولست بقانع من كل فضل

بأن أعزى إلى جدّ همام (٤)

أما والد أبي الطيب المتنبي ، فقد كان سقاءً بالكوفة ، " وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي

حيث قال :

أي فضل لشاعر يطلب الفضل

من الناس بكرة وعشياً

عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء (٥)

وحيناً يبيع ماء الموحيا (٥)

١-م " ديوان المتنبي " وضعه عبد الرحمن البرقوقي / دار الكتاب العربي / بيروت ١٤٠٧هـ - ص ١/٣ .

٢-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوحي / عالم الكتب / ١٤١٣هـ / الطبعة الثانية ص ١٧ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص ٤٦ / ٢ .

٤-المصدر السابق ص ٢٧٥ / ٤ .

٥-شرح ديوان المتنبي ص ١/٣ .

و ولادة المتنبي كانت في عصر ، عمت فيه القوضى ، والاضطرابات السياسية ، ويكفي هنا أن طه حسين يقول : "ولد المتنبي في بيئة كان الدم يصبغها من حين إلى حين. كان الدم يصبغها ثم لا يكاد يجف حتى يسفك دم آخر . ولم يكن الدم وحده يصبغها، وإنما كان يصبغها صبغ آخر ليس أقل نكراً من سفك الدم ، هو النهب والسلب ، واستباحة الأعراس وانتهاك الحرمات ، ولاستخفاف بقوانين الخلق والدين " (١)

أما كنيته، فهي " أبو الطيب " ، و "تقف حائرين أمام كنيته . لماذا كُني " بأبي الطيب " ؟ ومن هو " الطيب" هذا ؟ لم يكن اسم أبيه ولا جده طبعاً ، أكان صفة لأحدهما ؟ ولماذا لم يكن باسم ابنه " المحسّد " ؟ . ربما كان " الطيب " أخوا المحسّد الأكبر ، وربما صفة أطلقت على الشاعر" (٢)

ثانياً : شخصيته :

يعطي الديوان الشعري لأي شاعر صورة مشرقة ، لمكونات هذه الشخصية ، ومستوياتها وآمالها ، وطموحها ، وآسها ، وكان الديوان سيرة شعرية لصاحبه ، بحيث يضم معالم شخصية صاحبه "وهذه الشخصية ظاهرة في شعر المتنبي كله في حكمته وتشاؤمه ونعني بها شخصية الطامع المغامر المعتد بنفسه : فهو يتغزل كما يفخر ويصف ويشكو أو يتهمك " (٣) والمتنبي في أطوار حياته ملازمٌ للطموح ، فهو الذي عايشَ وعاصرَ وعايَنَ الأحداث والأزمات " فشخصيته المتفردة كان القلق ميزة من ميزاتها . فقد نشأ وهو يحمل أزمات عصره وأحداثه ، وظل القلق لديه يكبر كلما كبر، ويتسع كلما اتسعت حياته ، ولازمه وكأنه جزءاً من طبيعته حتى آخر أيامه " (٤)

هذا القلق جعله في حل وارتحال ، ولعل ديوانه يحفل بالشواهد التي تعضد هذا الحزن ، وذاك القلق ، اللذان يصرآن على التنقل والرحيل ، وتحثان الشاعر على تجاوز ما يسكنه من إخفاق وإحباط (٥)

١-م " مع المتنبي " د/ طه حسين / دار المعارف / الطبعة الثانية عشر ص ١/٣٢ .

٢-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التونجي ص ١٨ .

٣-م " مجلة الهلال " المجلد العاشر / جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ / مقال بقلم / عباس محمود العقاد ص ١١٢٤ .

٤-راجع " أبو الطيب المتنبي وظواهر التمرد في شعره " د/زهدي غازي زاهد / عالم الكتب / بيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ص ٣٦ .

٥-الإحباط " إحبط فلان عمل فلان أبطله ، وجعله يحقق ، ويذهب سدى ، ويرادفه الحية والإخفاق ويقوم الإحباط على حرمان المرء التمتع بنتائج عمله ، أو على صده عما يؤمل الحصول عليه ، أو يتوقعه " راجع " المعجم الفلسفي " د/جميل صليبا / دار الكتاب اللبناني/بيروت/١٩٨٢ ص ١/٤١

كان الحزن مشغوف بقلبي  
فساعة هجرها يجد الوصالا  
كذا الدنيا على من كان قبلي  
صروف لم يدمن عليه حالا  
أشد الغم عندي في سرور  
تيقن عنه صاحبه انتقالا  
ألفت ترحلي، وجعلت أرضي  
قتودي والغريبيّ الجلالا  
فما حاولت في أرض مقاما  
ولا أزمعت عن أرض زوالا  
على قلق، كأن الريح تحتي  
أوجهها جنوباً أو شمالاً (١)

إن الهم الذي سيطر على شخصية المتنبي " وكان من همومه المبكرة همّ العيش ، ولعل هذا الهم وهو شيء أساسي في حياة شاعر مرهف يحب الحياة ، أن يكون مصدراً ذا شأن للهجة الشكوى وذم الزمان التي طبعت بها أوائل أشعاره " (٢) ، وقد نص المتنبي على أهمية المال بقوله:

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله  
ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده (٣)

إن المال والمجد قواما حياة المتنبي ، لهما يناضل ، وحولهما يدور ، في سبيلهما تحولت حياته إلى صراع طويل مع الزمان والمكان، لذا أصبحت الحياة لديه جزء من معركة حفلت بها أشعاره " وبعض القطرات من خضمّ حياته المضطربة الهائجة التي لم تهدأ إلا بالموت " (٤)

١- م " ديوان المتنبي " ص ٣٤٠ - ٣٤١ / ٣ .

٢- م " موجز ديوان المتنبي " شرح اليازجي ، اختصره سليمان العيسى / دار طلاس / دمشق / بدون تاريخ ص ٢٠ / ٢١ .

٣- م " ديوان المتنبي " ص ٢ / ١٢٣ .

٤- م " قصة المتنبي " أحمد الجندي / دار طلاس / دمشق ١٩٨٣ / ص ١١ .

وجدير بالملاحظة أن الناس اختلفوا " في أمر أخلاق المتنبي قديماً وحديثاً ، فمنهم من يعتبره قوال فضائل

فعال رذائل ، ومنهم من يراه قوولاً لما قال الكرام فعولاً " (١)

وشعره ، حافل بالمطامح البعيدة ، وحماسه المتقد ، ورغبته القوية في الوجاهة وجمع المال ، قال في

صباه-معبراً - عن آماله وطموحه :

أين فضلي إذا قنعت من الدهـ  
ر بعيش معجل التنكيد  
ضاق صدري وطال في طلب الرزق  
" م "  
قيامي ، وقل عنه قعودي  
أبدأ أقطع البلاد ، ونجمي  
في نحوس ، وهمتي في سعود  
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم  
بين طعن القنا وخفق البنود  
لا كما قد حييت غير حميد  
وإذا مت مت غير فقيد (٢)

وشخصية المتنبي ، قد لا تكون واضحة مثلما هي جليلة في شعره ، وهذا قد يكون أصح الطرق للباحث،

حين يتلمس شخصية الشاعر من خلال نصوصه، لذا تبدو شخصية المتنبي مليئة بالأمل - في صباه

وشبابه - يقول مندداً بمن لا يعرفون قيمته الحقيقية :

ويجهل أني مالك الأرض معسر  
وأنني على ظهر السماكين راجل  
تحقر عند همتي كل مطلب  
ويقصر في عيني المدى المتطاوّل  
ومن يبيع ما أبغي من المجد والعلی  
تساوى المحايي عنده والمقاتل (٣)

ثم يواصل ترفعه عن الآمال ، التي لا تقترن بالفعل ، والإقلال وعيشة الكفاف ، معانداً ومكابراً  
على كل من

١-م " الحصول الفكري للمتنبي " تأليف سهيل عثمان ، منير كنعان / دار الإرشاد / بيروت / الطبعة الأولى ١٣٨٩ ص-١٧٩ .

٢-م "ديوان المتنبي" ٤٤-٤٥ .

٣- "ديوان المتنبي" ص-٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣.

يقف في طريقه ، يقول :

ليس التعلل بالأمال من أربي  
ولا القناعة بالإقلال من شيمي  
ولا أظن بنات الدهر تتركني  
حتى تسد عليها طرفها هممي  
سيصحب النصل في مثل مضربه  
وينجلي خبري عن صمة الصمم  
ردي حياض الردى ، يانفس واتركي  
حياض خوف الردى للشاء والنعم (١)

ثم يدلل على بعد مرماه ، وسمو مبتغاه ، يقول :

واقفاً تحت أخصمي قدر نفسي  
واقفاً تحت أخصمي الأتام  
أقراراً ألد فوق شرار  
ومراماً أبغي ، وظلمي يرام  
دون أن يشرق الحجاز ونجد  
والعرقان ، بالقنا والشأم (٢)

ويؤكد علو همته ، في طلبه ، إذ يقول :

فسرت إليك في طلب المعالي  
وسار سواي في طلب المعاش (٣)

ويكاد هذا الهاجس - هاجس الرقعة - يسيطر على طموحه وأماله ، لذلك لا يكاد يفارق قصائده ، يقول

أيضاً :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه  
ومركبه رجلاه والثوب جلده  
ولكن قلباً بين جنبي ماله  
مدى ينتهي بي في مراد أمده (٤)

م\* ديوان المتبي " ص ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠/٤

٢- نفسه ص ٢١٨/٤

٣- نفسه ص ٣٢٥/٢ .

٤- "ديوان المتبي" ص ١٢٣ / ٢ .

ثالثاً: فقره :

نشأ المتنبي فقيراً معدماً ، وذاق طعم الفاقة ، وعرف أن المجد مقترن بالمال ، فلا مجد

في الدنيا لمن قل ماله، لذا سعى ، منذ صباه معللاً ركضه خلف المال والرفعة، يقول :

لم الليالي التي أخذت على جدتي

برقة الحال ، واعذرتني ، ولا تلم (١)

وقد وصل الفقر به حداً ، بحيث لم يملك ثمناً لجوادٍ يركبه ، ولا جمل يقطع به الصحاري ، يقول :

لا ناقتي تقبل الرديفَ ، ولا

بالسوط يوم الرهان أجهدها (٢)

كانت هذه النشأة مسوغاً لطلب المال ، حيث " مدح ورجى الممدوحين صراحةً أن يغدقوا عليه عطاياهم ،

واعترف بأنه أسير فضلهم ومطوق بمعروفهم كل عمره ، حتى إنه كان يصل إلى ما ينقص من كبريائه

الشديدة إمتياعاً للفضل ، وبعد أن يكون في قمة الفخر يهوي إلى السؤال " (٣)

وقد يصرح المتنبي بالفقر ، مثل قوله :

فسرت ، نحوك لا ألوي على أحد

أحتُّ راحلتي الفقر والأدبا

أذاقتي زمني بلوى شرفتُ بها

لو ذاقها لبكى من عاش وانتحبا (٤)

وقد كان يلقي كل عنت وتعب ومشقة في رحلة طلب المال، بعد أن ألفَ الترحل والسفر، يقول:

أواناً في بيوت البذو رَحَلي

وأونةً على قَد البعير

أعرّض للرماح الصمّ نحري

وأنصب حُرّاً وجهي للهجير

وأسري في ظلام الليل وحدي

كأني منه في قمر منير (٥)

١- ديوان المتنبي " ص ١٥٦ / ٤ .

٢- نفسه ص ٢٦ / ٢ .

٣- م " انحصول الفكري للمتنبي " سهيل عثمان و منير كنعان ص ١٨٧ .

٤- م " ديوان المتنبي " ص ٢٤٨ / ١ .

٥- ديوان المتنبي ص ٢٤٦ / ٢ .

ونتيجة ذلك صار التجوال ديوان المتنبي ، متنقلاً من بلد لآخر ، سائلاً هذا وطالباً ذاك ، قال :

غنيٌ عن الأوطان ، لا يستفزني  
إلى بلدٍ سافرتُ عنه ، إياباً (١)

ويرسم صورة للضياع الحاصل من تجواله ، وترحاله ، يقول :

بم التعلل ، لا أهل ولا وطن  
ولا نديم ولا كأس ولا سكن ؟ (٢)

ولكن يقول أحد الباحثين عن شخصية المتنبي "هذه الشخصية الطموحة، والتي ساقطنا آمالها معها ولو إلى حين ، نلمس فيها نقطة ضعف حساسة، بل لعلها النقطة الأَسَ التي ينهدم بها كل ما بناه، ويسعى إلى بنائه ، فالذي نعجب له هذه الأزدواجية في شخصيته ، فنرى واحدة هي الفخورة الطمّاحة التي ترفع بصاحبها إلى أعلى عليين ، في حين نرى الثانية، وهي الراجية في التكسب والاستجداء - أو العكس - لتتنزل بهذا الطموح إلى أسفل سافلين " (٣)

ولعل الشواهد الشعرية ، تؤيد مثل هذا التذلل، والترخص ، يقول في باب مديح بعضهم، متحولاً هو إلى مستكين وخانع :

وأسمع من ألفاظه اللغة التي  
يلذُّ بها سمعي ، ولو ضُمنّت شتمي (٤)

١-ديوان المتنبي ص ٣١٦ / ١ .

٣-نفس المصدر ص ٣٦٣ / ٤ .

٤-راجع " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونجي ص ٥٢ .

٥-راجع " ديوان المتنبي " ص ١٧٢ / ٤ .

بل إنه يعطي حكمة سائرة ، وكأنه يبرر ترخصه ، وتذليله ، وقيامه بأفعال لا يفتنح بها ، يقول :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى  
عدواً له ما من صداقته بُدُّ (١)

" فالمتنبي الذي عرف نفسه بأنه صاحب العزة والإباء ، وصاحب الجد العلاء ، يتنازل فجأة عن كل شموخه  
ويقبل صداقة العدو !! " (٢)

وقد اتهم المتنبي بالبخل ، " وطبيعي لمن يطلب عطاء الممدوحين أن يُرمى بهذه التهمة ، وأن يعامله  
الناس على أنه اعتاد الأخذ لا العطاء " (٣) ولكن يبدو أن الرجل أدرك قيمة المال ، ومكانته بين الناس ،  
لذا كان حريصاً على الحفاظ عليه ، معتنياً بأمر إنفاقه ، لأن هذه الثروة ، التي جمعها تعب معنوياً ومادياً  
في تحصيلها .

أما بخله الذي شاع وانتشر ، وتحدثت عنه بعض كتب الأدب ، فيمكن أن يُبرر ، بأن الرجل كان مقبلاً على  
الحياة ، " وقد جرب تحقيق الأمانى بالقوة ففشل ، ورأى ما للمال من هيمنة وقدرة على تحويل مجرى  
الأمور ، فغدا طموحه الأميري دافعاً لطلب المال " (٤) ويؤكد هذا قوله :

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله  
ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده (٥)

وقد ناقش المازني هذا البخل ، واستبعده (٦) ، وناقشه غيره (٧) " وقد توهم أحد الباحثين (٨) ، فاعتبر قول  
المتنبي :

الجود يفر والإقدام قتال

- ١- م " ديوان المتنبي " ص ٩٣ / ٢ .
- ٢- م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التوحي ص ٥٣ .
- ٣- م " اغصول الفكري للمتنبي " سهيل عثمان ومنير كنعان ص ١٨٨ .
- ٤- م / المصدر السابق ص ١٨٧ .
- ٥- م " ديوان المتنبي " ص ١٢٣ / ٢ .
- ٦- م " حصاد المشيم " لإبراهيم المازني / المطبعة العصرية / القاهرة / الطبعة الخامسة سنة ١٩٥٧ / ص ١٢٦-١٥٤ / وخلاصة رأيه (أنه رجل  
له غاية معينة ، يريد أن يوفر لها الوسائل ، وأن يحشد لها المال ، في غير كرازة ، إذا كان المال أقوى أداة وأمتن ) .
- ٧- م " ذكرى أبو الطيب بعد ألف عام / عبد الوهاب عزام / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٩٥٦ ص ٢١٤-٢٢٨ .
- ٨- م " أبو الطيب المتنبي ، حياته وخلقته وشعره وأسلوبه " محمد كمال حلمي / مطبعة الشباب / القاهرة / ١٩٢١ ص ٨٨-١٢٦ .



دليلاً كبيراً على البخل والجبن ، ولكن البيت كاملاً ينفي هذا الوهم ، يقول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم  
الجود يفقر والإقدام قتال (١)

فالبيت هنا يتحدث عن المفاضلة بين الناس ، فالفضيلة تحتاج إلى بذل المشقة ، والسعي والطموح ، وعلى من يريد أن يبذل لها النفس والنفيس . فالبيت دعوة عميقة إلى الشجاعة والكرم والبذل .

وصورة الشحيح قريبة من ذهن المتنبي ، لذا ذكرها في إحدى قصائده الغزلية ، مما يؤكد علاقة الرجل

بالبخل ، يقول : بليتُ بلى الأطلال إن لم أقف بها  
وقوفاً شحيح ضاع في الثرب خاتمه (٢)

من هنا تكون علاقة المتنبي بالبخل علاقة غامضة فلا يمكن أن ننفي صفة البخل عنه ، "ولكن المبالغة شئ آخر ، وهذا ما جعلنا نفكر تفكيراً ثانياً في هذه القضية " (٣) .

رابعاً: ثقافته :

من تتبع شعر أبي الطيب وجد آثاراً شتى تدل على ثقافة الرجل ، إذ تشع بين قصائده ألوان

متفرقة من العلوم اللغوية والأدبية والتاريخية والدينية والجغرافيا والطبية ، وغيرها من المعارف المتاحة في ذلك العصر .

ولعل المتنبي يعطينا مفهوماً خاصاً للحياة حين يجعل قطبها القوة و الثقافة أو القراءة ، لأن العلم يمكن

أخذه بالمشافهة ، لذا قرن بينهما في بيت بقوله:

أعزُّ مكان في الدنى سرج سابح  
وخير جليس في الزمان كتاب (٤)

والكتب التي تعرضت للمتنبي ذكرت شيئاً كثيراً عن ثقافته (٥) ، وقيل " أن أباه سافر به إلى بلاد الشام ،

فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها حتى توفي أبوه " (٦)

١-م " ديوان المتنبي " ص-٤٠٦ / ٣ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص-٤٤٦ .

٣-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونسي ص-٢٨ .

٤-م " ديوان المتنبي " ص-١٣١٩ .

٥-للاستزادة / م " شرح ديوان المتنبي " لأبي العلاء المعري - تحقيق د/عبد المجيد ذياب / دار المعارف / القاهرة / المقدمة .

٦-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونسي ص-٥٥ .

## أ - الناحية اللغوية :

عُرف المتنبي بمعرفته اللغوية ، وكان من المكثرين من نقل اللغة ، والعارفين بحواشيتها

وغريبها " لا يُسأل عن شيءٍ إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل إن الشيخ أبا علي

الفراسي صاحب الإيضاح والتكملة قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن " فَعَلَى " ؟ فقال المتنبي

في الحال : حجلى وظربنى . قال الشيخ أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليالٍ علي أجد لهذين الجمعين

ثالثاً فلم أجد " (٤)

وقد بلغ وعي المتنبي باللغة بأن حفظ جسم الإنسان ودقائقه والحيوان وغرائبه ، والنبات وعجائبه .

## ب - الناحية الأدبية :

وهي لا تقل أهمية عن النواحي الأخرى ، بل تكاد تكون أهم النواحي لعلاقتها القوية

بالعمل الشعري ، وكثيراً ما يدخل في شعر المتنبي معنى آية كريمة ، أو حديث شريف أو مثل سائر ، مما

يتطلب من قارئ شعر المتنبي الوعي ، والثقافة والعمق " وكثيراً ما يواجهه الإرهاق والدوار قبل أن

يهتدي إلى معرفة فكرة البيت والمعنى الذي قصد إليه الشاعر ، وقد لا يهتدي إلى مراد الشاعر أبداً ما لم

يستعين بالمصادر القديمة التي توفرت على دراسة شعر المتنبي ومتابعته ، الأمر الذي اصطاح عليه دارسو

المتنبي باسم " المشكل في شعر المتنبي " (٢)

ومن أمثلة تعمقه بالقرآن الكريم قوله :

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ  
كَقُلُوبِهِمْ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ (٣)

وهذا مقتبس من قوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا أَسْتَلْزَمَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا

كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ " (٤)

١- م " المتنبى مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التوحي ٥٥ - ٥٦ .

٢- م " مجلة المورد " العدد الثالث / المجلد الخامس / دار الحرية / بغداد / ١٩٧٧ - ٢٩ .

٣- راجع " ديوان المتنبى " ص ٣١٦ / ٤ .

٤- سورة آل عمران الآية ١٥٥ .

وتظهر ثقافته الأدبية في قوله :

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم  
وأين من المشتاق عنقاء مغرب (١)

ج - الناحية الدينية :

حفل القرن الرابع بتعدد الإتجاهات المذهبية ، وتضارب الديانات المختلفة لذا كان

المتنبي ضليعاً في الثقافة الدينية بكل أشكالها ومناحيها ، ومن ذلك قول المتنبي :

كأن كل سؤالٍ في مسامعه  
قميصُ يوسفَ في أجفان يعقوب (٢)

حيث يشير إلى قصة يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام ، التي ذكرها القرآن الكريم .

كما أنه على دراية ببعض الأديان غير السماوية المدعاة ، مثل قوله :

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ  
تخبرُ أن المانوية تكذب (٣)

فالممدوح يعطي في الظلام ، وهذا يبين أن المانوية تكذب (٤)

د - الناحية التاريخية :

حفل ديوان المتنبي بصور تاريخية كثيرة ، عدا عن أنه صورة حية للحروب التي

شهدها وعاصرها ، ويهمننا ما يشير إلى التاريخ القديم ، وهو واضح وبارز في شعره، من ذلك قوله :

أجارَ على الأيام حتى ظننتُ  
يطالبة بالردّ عادٌ وجرهمُ (٥)

فقد أورد المتنبي خبر قومي عاد وجرهم اللذين هلكا في غابر الأزمان .

١-م " ديوان المتنبي " ص-٣٠٧ / ١ .

جاء في معاني العنقاء (إنها طائر عظيم لا ترى في الدهور) راجع لسان العرب لابن منظور ص-٢٧٦ / ١٠ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص-٢٩٥ / ١ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص-٣٠٢ / ١ .

٤-المانوية : (أصحاب ماني - القائل بالنور والظلمة، وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة ) م "شرح ديوان المتنبي" للبرقوقي ص-٣٠٢ / ١ .

٥-م " المصدر السابق ص-٤/٧٣ .

## هـ - الناحية الجغرافية :

انعكست رحلات المتنبي وتنقلاته على شعره ، بحيث عرف الأماكن وخبر النواحي،

ويزيد على ذلك بمعرفته طرق الصحراء، وأدغال البادية، بل إنه أدرك طرفاً من علم الأنواء وتحرك النجوم.

وقد صرح بمعرفته بالأرض ، حين قال :

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها

كأني بنى الإسكندر السدّ من عزمي (١)

وقد قدم أحد الباحثين موضوعاً واسعاً حول الأماكن والأودية والمياه ، التي ذكرها المتنبي . (٢)

وقد تمتع المتنبي بثقافة غريزة ، ووعي تام بمواقع الكلام ، وهو عندما يدخل المعلومة ، إنما يدخلها في

مكانها المناسب فهو " إنما جاء - ويجئ - بهذه المعلومات بما يناسب المقام الذي ينشد فيه " (٣)

والقارئ لشعر المتنبي يدرك بوضوح تلك الخلفية الواسعة ، والثقافة العريضة التي اكتسبها المتنبي من

الزمان والمكان والمطالعة والنظرة الواعية في فنون المعرفة

وقد تصل ثقافته إلى الفنون ، من ذلك ما ورد من إشارات فنية ، في مثل قوله :

بضرب هاج أطراب المنايا

سوى ضرب المثلث (٤) والمثاني (٥)

أما الثقافة الحربية ، فقد حفلت سبقيات المتنبي بالكم الهائل من الوعي الحربي والثقافة التي تُسقى من

أرض المعركة . وتنبع من الكر والفر " ولعلنا لا نبتعد عن وجه الحقيقة إذا وصفناه بأنه الشاعر الفارس

المثقف " (٦) ، ويؤكد ذلك المتنبي نفسه حين قال :

الخيال والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم (٧)

١-م " ديوان المتنبي " ص١٧١/٤ ، والاسكندر هو /ذو القرنين الذي بنى السد بين أاجوج وبين سائر البلاد .

٢-م " المورد / العدد الثاني / دار الحرية / بغداد / ١٩٧٧ ص١٣ - ٢٢ .

٣-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوفحي ص٦١ .

٤-المثلث والمثاني / من أوتار العود .

٥-م " ديوان المتنبي " ص٣٩٣/٤ .

٦-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوفحي ص٦٥ .

٧-م " ديوان المتنبي " ص٨٥ / ٤ .

خامساً: شاعريته :

شاعرية المتنبي ملأت الدنيا وشغلت الناس ، حيث أصبح مدراراً لدارسي التاريخ والأدب

ويشير إلى ذلك الثعالبي بقوله " مجالس الدرس غزيت بشعره ، ومجالس الأنس تغنت بقوله . وجرى على لسان الخطباء والمتكلمين أبرز أقواله . واشتغل به المؤلفون ، وانشغل معهم الناقدون ، وكثرت التأليف في تفسير قصائده ، وحل مشكله وعويصه ، ففترقوا فرقا بين محباً هائم ، أو معتدل ، وبين قاذح جانر ، أو ناقد صادق . ولا يهتم النقاد عادة إلا بالمشهور وبمن طبق الآفاق خبره " (١)

ولو رحنا نتابع شاعريته وأهمية شعره وتأثيره وما أثاره من مناقشات ، لأخذ ذلك منا الكثير من الورق ، ولكن هذا ليس موضع هذه المناقشات ، بل يهمني ، ما جلبته هذه الشاعرية ، وتلك النفس من حسد وغبطة وغيره في نفوس الآخرين الذين سعوا للإيقاع به ، مما أذكى نار الشكوى ، وزاد وقود المعاناة .

والشواهد الشعرية التي بين أيدينا ، تنضح بالألم الذي كان يعانيه المتنبي من هؤلاء ، الحساد ، غير أن الجدير بالملاحظة أن المتنبي أسهم بشكل ، أو بآخر في جلب العداوات ، واستعداء الآخرين له ، حين يقول في بلاط سيف الدولة :

سيعلم القوم مما ضمّ مجلسنا  
بأنني خير من تسعى به قدم (٢)

ومثل قوله :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي  
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً (٣)

ومثل قوله :

ودع كل صوت غير صوتي فإنني  
أنا الطائر المحكي ، والآخر الصدى (٤)

١-م " ييمة الدهر في محاسن أهل العصر " لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، دار الفكر / بيروت ١٣٩٣هـ - ١ / ١١١ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص ٢٥٠ مختصر شرح اليازجي دار طلاس - دمشق والملاحظ بأن البيت لم يرد في شرح البرقوق .

٣-المرجع السابق ص ٢ / ١٤ .

٤-نفسه ص ٢ / ١٥ .

بل إنه يترفع - أحياناً - حتى على الشعر والشاعرية ، حين يقول :

وفؤادي من الملوك ، وإن كا  
ن لساني يرى من الشعراء (١)

" فهو يكاد يضيق بلقب شاعر ... بالمفهوم والإعتبار القديمين للشاعر الذي كان ينظر إليه على أنه إنسان  
متكسب ، متسلق " (٢)

بل إنه يتعالى على الآخرين ، مازجاً ذلك بشيء من التوبيخ ، مثل قوله :

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت  
وإذا نطقت ، فإنني الجوزاء  
و إذا خفيت على الغبي فعاذر  
ألا تراني مقلّة عمياء (٣)

ويهمنا هنا أن ندرك أن المتنبي كان يركز على الثناء على نفسه ، والتعرض للآخرين ، مثل قوله :

أراكضُ مَغوَصاتِ الشعرِ قسراً  
فأقتلها ، وغيري في الطراد (٤)

هذا التفوق الذي يشعر به المتنبي ، أعطى الآخرين الفرصة ، لحسده ، والكيد له " وشعر المتنبي مملوء

بذكر هؤلاء الكائدين الذين تعقبوه في كل مكان ، وطاردوه في كل بلد ذهب إليه " (٥)

هذا الإحساس (٦) ، الذي يكنه الآخرون للمتنبي ، ضايق الشاعر ، وجعله ، لا يستقر في وطن ، ولا يبقى

على حال ، يقول : لا تُنكرن رحيلي عنك في عجل  
فإنني لرحيلي غيرُ مختار  
وربما فارقَ الإنسان مهجته  
يوم الوغى غير قالٍ خشية العار  
وقد منيتُ بحساد أحرابهم  
فاجعلُ نذاك عليهم بعض أنصاري (٧)

١-م " ديوان المتنبي " ص-١٥٩ / ١ .

٢-م " المتنبي / خليل شرف الدين / دار الهلال / بيروت ١٩٨٧ ص-٩٦ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص-١٤٤ / ١ .

٤-م " ديوان المتنبي " ص-١١٨ / ٢ .

٥-م " المتنبي والقرامطة " د/ محمد محمد حسين / دار الرفاعي / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤٠١هـ - ص-٤٤ .

٦-الإحساس : (ظاهرة نفسية متولدة من تأثر إحدى الحواس بمؤثر ما ) راجع " المعجم الفلسفي ص-٤٣ .

٧-م " ديوان المتنبي " ص-٢٤٥ / ٢ .

وقد يدرك المتنبي أن أفعاله ومكانته ، جالبة للحسد والكيد ، مثل قوله :

وللحساد عذر أن يشحو  
على نظري إليه ، وأن يذوبوا  
فإني قد وصلت إلى مكان  
عليه تحسّد الحدق القلوب (١)

بل إنه قد يلتمس له العذر ، ويحتمل له التبرير ، حين يجد نفسه متفوقاً عليهم ، فهم لا يفهمون ، وكأنهم  
من دواب الأرض ، يقول :

حولي بكلّ مكان منهم خلق  
تخطى إذا جئت في استفهامها بمن  
إني لأعذرهم ممّا أعنفهم  
حتى أعتف نفسي فيهم وأني  
فقرّ الجهول بلا قلب إلى أدب  
فقر الحمار بلا رأس إلى رسن (٢)

ويجيب عن السؤال بشكل آخر ، فالحسد يشكل هاجساً (٣) في ذهن المتنبي ، يقول على سؤال الحسد :

وكيف لا يحسد امرؤ علّم  
له على كل هامة قدم (٤)

والشعر، الذي ينظمه المتنبي من أكبر دواعي الحسد، لذا كان من يسمع شعر المتنبي يغار ويحسد، يقول:

إن هذا الشعر في الشعر ملك  
سار فهو الشمس والدنيا ملك  
فإن مرّ بأذني حاسد  
صار ممّن كان حياً فهلك (٥)

١-م " ديوان المتنبي " ص ٢٠٤ / ١ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص ٣٤١ - ٣٤٢ / ٤ .

٣-الهاجس : استجابة عصابية تتميز بالاهتمام البالغ والمستمر بالحالة الصحية أو ببعض الأغراض الجسمية الوهمية أو الخفية ، التي لا تثير مثل هذا الاهتمام البالغ أو القلق لدى الرجل السوي " راجع المعجم الفلسفي ص ٥١٧ / ٢ .

٤-م " ديوان المتنبي " ص ١٨٠ / ٤ .

٥-م " ديوان المتنبي " ص ١١٣ - ١١٤ / ٣ .

ويقول في موضع آخر :

أرى المتشاعرين غرّوا بذي  
ومن ذا يحمّد الداءَ العضالاً  
ومن يكّ ذا فم مرّ مريض  
يجد مرّاً به الماءَ الزلالاً (١)

ويقول أيضاً :

قليل عاندي سقم فوادي  
كثير حاسدي صعب مرامي (٢)

والحساد ، الذين اشتكى منهم المتنبي أكثر ، منهم الشعراء ، ومنهم اللغويون ، ومنهم الوزراء ، ومنهم  
الأمرء ، وقد أوضح المتنبي ذلك بقوله :

ورائي وقدامي عداة كثيرة  
أحاذر من لغىّ ومنك ومنهم

ونجده أحياناً يستنجد بالآخرين ، لإزالة هذا العدد الهائل من العداة والحساد ، يقول :

أزلّ حسدَ الحساد عني بكبتهم  
فأنت الذي صيرتهم لي حسداً (٣)

هذا ما كان بين المتنبي وحساده ، ومن هنا نجد تفسيراً صحيحاً لمعاناة الشاعر من طائفة الحاسدين

" ولعله لم يخطئ إذ عبر عن نفسه بتسمية ابنه " المحسد " وتكنيته به " (٤)

سادساً: وفساته :

كان للعداوات التي استجلبها المتنبي لنفسه آثار عدة ، بدأت بمضايقة المتنبي ، وانتهت  
بقتله .

" وإذا رجعنا إلى شعر المتنبي وجدنا فيه قصائد هجائية، كان من الممكن أن تسبب له هدر دمه فعلاً " (٥)

١-م " ديوان المتنبي " ص-٣٤٤ / ٣ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص-٢٧٦ / ٤ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص-١٣ / ٢ .

٤-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونجي ص-٢٦٧ .

٥-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونجي .



ومن أشعاره التي هجا بها ، وتجاوز فيها الحد ، قوله :

وارفق بنفسك إن خلقك ناقصٌ  
واستر أباك فإن أصلك مظلمٌ (١)

وهجاؤه لكافور (٢)

والحقيقة أن محاولات قتل المتنبي ، ظهرت إرهاصات مبكرة ، منذ كان في مقتبل العمر ، و " منها أنه لما

أنشد الأمير سيف الدولة :

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم  
ويكره الله ما تآتون والكرم

اضطرب المجلس ، وقال أبو الفرج السامر (٣) ، وقال " دعني أسع في دمه " فرخص له في ذلك ، وفيه

يقول أبو الطيب المتنبي :

أ سامريُّ ضحكة كل راءٍ  
فطنت ، وكنت أعبي الأغباء (٤)

وقد كانت نهاية المتنبي على يد فاتك بن أبي جهل الأسدي (٥) حيث اعترضه في الطريق إلى بغداد

" وقرب دير العاقول في مكان يُعرف بالصافية ، عرض له فاتك في عدة من أصحابه ، ولم يكن مع المتنبي

غير ابنه وبعض الغلمان فقاتلوهم ، حتى قتل المتنبي وابنه المحسد وغلماه المقرب مفلح " (٦)

وقد كان ذلك قبل ذلك في شهر رمضان من عام ثلاثمائة وأربع وخمسين للهجرة المحمدية (٧) . وبوفاته

طويت صفحة مهمة من صفحات الأدب العربي ، إن لم تكن من أهم صفحاته ، وقد كان بوسع المتنبي

الفرار ، لكن الإلتزام بمضمون القول ، قد حرمه من الهروب ، فقد قال صاحب العمدة :

١- م " ديوان المتنبي " ص ٢٥٤ / ٤ .

٢- سوف نتحدث بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من هذا البحث عن هذا الموضوع .

٣- هو أبو الفرج السامري نبطي من كبار كتاب سيف الدولة راجع شرح ديوان المتنبي ص ١٦٩ / ١ .

٤- م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونسي ص ١٥٦ .

٥- هو فاتك بن أبي جهل الأسدي لص كان يترصد لأبي الطيب إنتقاماً لابن أخته ضبة بن يزيد الذي هجاه أبو الطيب م/ شرح ديوان المتنبي

ص ٦٥ / ١ .

٦- م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونسي ص ١٥٣ .

٧- م " في مقتله " مع المتنبي " د/طه حسين ص ٣٧٤ وما بعدها .

أن أبا الطيب " لما فر ورأى الغلبة قال غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً ، وأنت القائل :

الخيـل و اللـيل و البـيـداء تعرفـني

والطعن والضرب والقرطاس والقلم (١)

فكر راجعاً فقتل ، كان سبب ذلك هذا البيت " (٢)

---

١- يروي عجز هذا البيت هكذا : ( والسيف والرمح والقرطاس والقلم ).

٢- م " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " لابن رشيق محمد محي الدين عبد الحميد/ دار الجيل / بيروت / بدون تاريخ ص ١/٧٥ وقد قام المحقق بذكر رواية البيت هكذا ( والسيف والرمح والقرطاس والقلم ) .

عاش شعراء القرن الرابع الهجري أوضاعهم المعاصرة لهم ، سياسياً ، واجتماعياً ، وتفاعلوا مع واقعهم بكل متناقضاته واضطراباتة .

وعاشوا في تضاعيف زمانهم بكل الأبعاد وعكسوا معاناتهم ومأساة مجتمعهم وعبروا عن ذلك بالشكوى الحزينة ، فالشعراء في كل زمان ومكان هم مرآة عصرهم في عكس نبض الناس ، وحزنهم ، وفرحهم وهمهم .

ولقد تنوعت الشكوى في هذا القرن بالقدر الذي تسمح به ثقافة الشاعر ، ومقدرته الشعرية في تناول شكواه ومعاناته .

ولعل -الواقع المعاش - في القرن الرابع أول ما يبرز في مجموع شعر هذا القرن ، ولعل المتنبي من أصدق الشعراء في وصف هذا الواقع المضطرب والمرتبك .

ولعل هذا الواقع نجده ماثلاً في كل شعراء هذا القرن ، وقبل أن نتناول المتنبي نذكر شاهداً على وصف الأمور ، والأحوال في ذلك العصر الذي قال عنه المعري متبرماً ، ومتشائماً من الدنيا ومن الزمان :

يسوسون الأمور بغير عقل  
فينفذ أمرهم فيقال ساسه  
فأف من الحياة ، وأف مني  
ومن زمن رئاسته خساسه (١)

وللمعري نصوص كثيرة في هذا المجال ، تعطي دلالة على معطيات العصر الذي كان هو أحد نزلامه ، وحتى تتضح صورة هذا القرن أكثر نذكر مثلاً آخر يصف فيه المعري وضع الأمة شاكياً من الجور وغمط الرعية حقها بقوله :

ملّ المقام ، فكم أعاشر أمة  
أمرت بغير صلاحها أمراؤها  
ظلموا الرعية ، واستجازوا كيدها  
فعدوا مصالحها ، وهم أجراؤها (٢)

١- اللزوميات / لأبي العلاء المعري تحقيق أمين الحانجي منشورات مكتبة الهلال بيروت ١٣٤٢هـ - ص ٣١ / ٢ .

٢- المصدر السابق ص ١٤٤ / ١ .

وإذا قلبنا شعر المتنبي نجد فيه صوراً شتى لمثل هذه الحالة الشاكية البائسة، وشكوى المتنبي تجنح إلى الجرأة والكلمة عنده تأخذ بعدها الكامل ، وتميل - أحياناً - إلى السخرية والإستهانة بمن حوله من خاص وعامة ، يقول:

فؤاد ما تسليه المدام  
وعمر مثل ماتهب اللثام  
ودهر ناسه ناس صغار  
وإن كانت لهم جثث ضخام  
وما أنا منهم بالعيش فيهم  
ولكن معدن الذهب الرغام  
أرانب غير أنهم ملوك  
مفتحة عيونهم نيام  
بأجسام يحرق القتل فيها  
وما أقرانها إلا الطعام (١)

فالمتنبي رسم صورة ساخرة لحكام زمانه بحيث تميل إلى الحكمة علاوة على اصطباغها بالسخرية ، ولعل تلك الأعباء الثقيلة التي ألقت بوزرها على الشعراء ، فذاقوا مرارة العيش مع عامة الناس في ذلك العصر ، قد انطقتهم بالحكمة التي اطلوا منها على الحياة وتعقداتها ، والمتنبي يُعد من أبرز الشعراء الذين استطاعوا أن يضمّنوا حكمهم حصيلة وأفرة من شكوى الواقع السياسي ، فالمتنبي يأتي بالحكمة الساخطة حيناً ، والواقعة الحزينة حيناً آخر وهو بين النعمة والحزن " (٢)

وانمتنبي في صدارة شعراء القرن الرابع الهجري في استيعاب الحكمة ، ولم يُعرف شاعر في هذا القرن يوازيه إلا ما كان من أبي العلاء المعري " (٣)

١- ديوان المتنبي ص ٤/١٩٠/١٩١ . شرح عبد الرحمن البرقوقي طبعة ١٤٠٧ هـ

٢- م/ ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام لعبد الوهاب عزام ص ٢٠٠

٣- م/ الفن ومذاهبه في الشعر العربي . د/ شوقي ضيف ص ٢٤٣

وقد تناول أحد الدارسين الحكمة بين المتنبي والمعري " (١)

يقول المتنبي في بيت مفرد ناقماً:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله  
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم (٢)

ومما يزيد في شكوى المتنبي وألمه وحزنه ما كان يملكه من ضعف مجتمعه، وتقاعس الناس عن القتال وهجرهم للنزال، في حين أن الأسياف تشكو الظماً، والطير جائعة، يؤنب شجاعة القوم، ويحثهم على العزيمة والعزة القعساء والمجد المؤثّل:

أيمك الملك، والأسياف ظائمة  
والطير جائعة لحم على وضم (٣)

ويواصل خطابه إلى نفسه مرة، وإلى قومه أخرى حتى وهو في شكواه الخاصة يدخل في مجموع الهم العام، تلمس ذلك من نداءاته إلى نفسه بقوله:

إلى كم ذا التخلف والتواني  
وكم هذا التماذي في التماذي؟!  
وشغل النفس عن طلب المعالي  
يبيع الشعر في سوق الكساد!! (٤)

والمتنبي في أكثر شكواه، يطمح لعيش أرغد وحياة أنعم لأمته وقومه محاولاً في ذلك تجاوز الإنكسارات والإنهزام يقول مثلاً:

حتّام نحن نساري النجم في الظلم  
وما سراه على خف ولا قدم (٥)

ولا ينسى المتنبي في شكواه من الواقع المحيط أن يشير إلى الدخلاء، الذين لا يصيب لهم من المعرفة

١-راجع في هذا البحث كتاب "موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري" د/زهدي صبري الخواججا

٢-م ديوان المتنبي ص٤/٢٥١

٣-م ديوان المتنبي ص٤/١٦١

٤-م ديوان المتنبي ص٢/٧٧

٥-م ديوان المتنبي ص٤/٢٨٥

ولا مقدار لديهم من الأدب ، فيقول :

أفعال من تلد الكرام كريمة  
وفعال من تلد الأعاجم أعجم! (١)

والشواهد في هذا المضمار واسعة ، والمادة وافرة غير أنها يتداخل حابل العام بنابل الخاص ، بحيث يكون النص مفتوحاً ينطبق عليه أية قراءة ، فهو شكوى ذاتية إن قلت ذاتية ، وهو شكوى عامة إن قلت شكوى عامة ، ويمكن أن يدخل في هذا المجال قول المتنبي :

أظمتني الدنيا فلما جئتها  
مستسقىً، مطرت عليّ مصائباً (٢)

وهكذا يسجل المتنبي الواقع الذي عاصره ، ويرصده رصداً دقيقاً، مضمناً شكواه بالحكمة ، ومصمماً ألمه بروح الكبرياء ، راسماً لنفسه واقعاً فوق الواقع المزري الذي كان يدور حوله .

---

١- ديوان المتنبي ص٤٠/٢٦١ .

٢- ديوان المتنبي ص١/٢٥٢ .

## الفصل الأول

### حالات الشكوى العامة

- ١- شكوى الزمان.
- ٢- شكوى الفقر وقلة ذات اليد.
- ٣- الشكوى من الناس.
- ٤- الشكوى من الشعراء.
- ٥- الشكوى من الأصدقاء.

كتب الأدب العربية ملأى من شكوى الزمان ،فما من أديب ، ولا عالم قال شعراً إلاوشكى من سوء حظه وعتب على الزمان ، وأنحى على الأيام باللانمة . وعاتب الزمن على رفع الجهلاء ، وإهمال حق الفضلاء والقرن الرابع حفل بشكوى الزمان ،وجدد في تناولها ولا تجد شاعراً من شعراء هذا القرن إلاوأخذ نصيبه من معاتبة الزمن ، وشكوى الأيام .

ويعد هذا النوع من الشكوى إفرزاً طبيعياً لنقسوة الحياة ، وإرتباك الأوضاع العامة بداية من الواقع العام وانتهاءً بالواقع الخاص .

ومواجهة الشعراء لشكوى الزمان تحمل إنعكاساً لما ولدته المعطيات المترديه للحياة في القرن الرابع الهجري فلما رغبوا في بث الألم وذم الواقع المعاش ، والتعبير عن السخط على إفرزاته "لم يستطيعوا أن يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين بظلمهم خوفاًمن البطش والتتكيل لهذا تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكتوا عنه بالزمان أو الدنيا " (١)

ولعل أحد شعراء هذا الزمان يعطينا صورة صادقة لما يحمل ذلك القرن من أتعاب وهموم لذا يقول الشاعر الخبزأرزي : (٢)

وكان الصديق يزور الصديق  
لشرب المدام ،وعزف القيان  
فصار الصديق يزور الصديق  
لبث الهموم ،وشكوى الزمان

فهذه صورة صادقة عن واقع القرن الرابع الذي امتلأ بالظلم والمآسي ، وتغير الزمان بحيث أن الناس انصرفوا عن لذاتهم إلى شكوى الزمان .

والمتنبي استوعب شكوى الزمان من شعره مساحة عريضة ،حتى لقد أصبح الزمان رمزاً لمحنة المتنبي ، وحقلاً لأستنبات أوجاعه ، ومكاناً لبث مواجعه ، وتطبيب آلامه .

١-الأدب في ظل بني بوية ص٢٤٣

٢-هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر البصري من شعراء البيتة ت٣١٧. انظر ترجمة في وفيات الأعيان ص٣٧٦/٥



وتنوع الخطاب عند المتنبي للزمان بحيث يأخذ أشكالاً شتى، منها الزمن ومنها الأيام ومنها الدنيا، ومنها الليالي - وقد أفردت فرعاً خاصاً بالليالي- لكون الليل يعطي الشكوى بُعداً آخر، سأوضحه في موضعه . والزمان عند المتنبي رمز للتعبير عن تطلعاته، وآماله، يطل منه متخذاً إياه دلالة على رفض الواقع العام، حين يصف الدنيا بأخذ ما تعطي، يصف ذلك من خلال أسلوب يمتلئ بالحكمة والدراية :

أبدأ تسترد ما تهب الدنيا

"م"

(١) فياليت جودها ، كان بخلا

وتتحول هذه النظرة إلى نظرة فيها الطموح ، المشوب بالتعب والمصاعب :

لحي الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ

(٢) فكل بعيد الهم فيها معذب

وتنتقل النظرة لماهية العلاقة بين المتنبي وبين الدنيا حين كان حظ الشاعر منها الحرمان واليأس ، وكل ما أراد منها الاقبال عليه منحتة المصائب والمشقة والتعب :

أظمتني الدنيا ، فلما جئتها

(٣) مستسقياً ، مطرت عليّ مصائباً

وتأخذ الدنيا بزمام المتنبي بمعطياتها . لتجعله يدرك أن الدنيا هكذا ، حتى على الذين من قبله ، لا تدوم على حال لذا سايرها المتنبي ، وترك الاستقرار وإنما أصبح على قلق مستقر ، من مكان لآخر : (٤)

كذا الدنيا على من كان قبلي

صر وف ، لم يدمن عليه حالا

فما حاولت في أرض مقاما

ولا أزمعت عن أرض زوالا

على قلق كأن الريح تحتي

أوجهها جنوباً أو شمالا

١- م ديوان المتنبي ص ٢٥٠/٣

٢- م ديوان المتنبي ص ٣٠٤/١

٣- م ديوان المتنبي ص ٢٥٢/٢

٤- م ديوان المتنبي ص ٣٤١/٣

ويؤكد هذا المعنى بقصيدة أخرى، من خلال معنى آخر ،فالدنيا لاتديم الحبيب الحاضر ،فكيف ترد الحبيب الغائب :

أبى خلق الدنيا حبيباً تديمه  
فما طلبني منها حبيباً تردّه (١)

ثم تأخذ صورة الدنيا طبع القمع ،فهي لا تنجب إلا النجلاء والثناء ،تساوى فيها الشريف و الوضيع :  
أما في هذه الدنيا كريم  
تزول به عن القلب الهموم  
أما في هذه الدنيا مكان  
يسر بأهله الجار المقيم  
تشابهت البهائم والعبدى  
علينا والموالي والصميم

ويدخل في هذا الألم دائرة سؤال رغم كل ما يلقي و لقي - والعجب أنه محسود على ما يبكي هو عليه:

ماذا لقيت من الدنيا ،وأعجبه  
أني بما أنابك منه محسود (٢)

ويأخذ الزمان مسمى آخر عند المتنبي بحيث يعطي دلالة جديدة للإطار الوقتي الذي يعيش فيه ،لذلك تجد كلمة "الدهر" حاضرة في شعره الشاكي ،حين تمتزج هموم القلب بمعطيات الدهر ورجاله ،الذين يحملون عقول صغيرة في جثث كبيرة في مشهد ساخر :

فؤاد ما تسليه المدام  
وعمر مثل ماتهب اللثام  
ودهر ناسه ناس صغار  
وإن كانت لهم جثث ضخام (٣)

والدهر في سيره -عند المتنبي -لايستحق كل هذا العناء ،واللهات خلف الأمل،بأن ترجى منه حياة كريمة، بل لايتحمس فيه الإنسان للاستخلاف في الأرض ،بأن ينجب الولد ،لأن غاية فيه التعب والحسرة :

وما الدهرأهل أن تؤمل عنده  
حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل (٤)

١- ديوان المتنبي ص-١١٩/٢

٢- ديوان المتنبي ص-١٤٢/٢

٣- ديوان المتنبي ص-١٩٠/٤

٤- ديوان المتنبي ص-١٧٩/٣

وفي صورة أخاذة ممزوجة بالتعب واليأس من كثرة ما يرمى الدهر على الشاعر اجتمعت المصائب في  
وفي صورة أخاذة ممزوجة بالتعب واليأس من كثرة ما يرمى الدهر على الشاعر اجتمعت المصائب في  
فؤاده فأصبحت الأرزاء تتكسر فوق بعضها :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى  
فؤادي في غشاء من نبال  
فصيرت إذا أصابتني سهام  
تكسرت النصال على النصال ! (١)

ويتساوى المتنبي بأن يكون خصماً لنبات الدهر في محاولة منه لإبعاد هذه الشدائد عن طريقه بهمه  
العالية ونفسه الطموحه.

ولا أظن نبات الدهر تتركني  
حتى تسد عليها طرقها هممي

وتصل الأمور عند المتنبي ، وتستمر الشكوى ومصادقة الأيام حتى يعجب الدهر من بأس الشاعر ، وقوة  
جسمه ، وشدّة تحمله :

الدهر يعجب من حملي نوائبه  
وصير جسمي على أحداثه الحطم (٢)

والأيام إحدى مسميات الزمان عند المتنبي ، وفي هذا الأسم تأخذ الشكوى بعداً آخر يتمثل في إحدى جوانبه  
في مخاطبة الأيام والشكوى إليها ، وما ذاك إلا من ابتعاد الأحباب ، لذا يرجو من الزمان الانصاف بحيث  
يجمعه مع أحبائه ، وهذا مالا تريد الأيام ، فهي جند للفراق :

أودّ من الأيام مالاتوده  
وأشكو إليها بيننا وهي جنده (٣)

وهذه الأيام التي تمر على المتنبي حملت الحلو والمر ، والمتناقضات من سهولة وصعوبة ، ورفاهية وتعب ،  
لكن لإنقضائهما ، وسرعة حدوثهما ، كأن الشاعر لم يذق شيئاً منهما:

قد ذقت شدة أيامي ولذتها  
فما حصلت على صاب ولا غسل (٤)

١- ديوان المتنبي ص ١٤١/٣ . ٢- الديوان نفسه ص ٢٩٥/٤ . ٣- الديوان نفسه ص ١١٩/٢ .

٤- الديوان نفسه ص ٢٠١/٣ .

وتحمل الشكوى من الأيام ، الحقن على أهل الزمان ، فهم أحد معطياته ، فهم أبناء الأيام إذا ظفروا به  
لم يرحمونه وإن تركهم طال عليهم وماتوا حتف أنوفهم ، فلا مناص من قتلهم بلا رحمة :

ومن عرف الأيام معرفتي بها  
وبالناس روى رمحه غير راحم  
فليس بمرحوم إذا ظفروا به  
ولا في الردى الجاري عليهم بآثم (١)

وتكون الأيام بمواجهة الشاعر ، وتصادمه في رغباته ، وتعكس أمنيته ، فهي تقرب البغيض ، وتبعد الحبيب  
عندها يتمنى أن تغلط الأيام ، وتأخذ الإتجاه المرغوب :

أما تغلط الأيام فيّ بأن أرى  
بغيباً تنائي أو حبيباً تقرب

والزمان أو الزمن (٢) أبرز المسميات عند المتنبي لمخاطبة الوقت ، لذا يكون ضدّاً له ، بل أن المتنبي  
تحدى الزمن نفسه أن يتحمل ما ذاقه المتنبي منه من الغربة والفقر والبلوى ، ولو ذاق ذلك لبكى وتضجر:

أذاقني زمني بلوى شرقت بها  
لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا (٣)

وفي صورة أخرى يجمع المتنبي الأزمان والأيام والدهر في لوحة تفيض بالتصادم والتكبر ، والتكبر لا يكون  
إلا لمواجهة الأمور الكبيرة ، فالزمن ضيق ، والأيام أصغر من أن تكبت ما يمليه الشاعر ، فضلاً عن أن تدركه  
وتعلمه ، والدهر لا يرتجى منه حياة كريمة ، واشتياقاً للإيجاب .

وما تسع الأزمان علمي بأمرها  
ولا تحسن الأيام تكتب ما أمني  
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده  
حياة ، وأن يشتاق فيه إلى النسل (٤)

ويلح المتنبي على فكرة الزوال السريع للأمور ، وبخاصة ساعات اللهو ، وأوقات السعادة ، ليأتي مرة أخرى

١- م "ديوان المتنبي" ص ٢٣٨/٤ .

٢- جاء في لسان العرب (الزمن والزمان : اسم لقليل الوقت و كثيره ، وفي المحكم : الزمن والزمان العصر) لسان العرب لابن منظور ص ١٩٩ ج ١٣ .

٣- م ديوان المتنبي ص ٢٤٨/١ .

٤- م ديوان المتنبي ص ١٧٩/٣ .

مؤكداً هذه الفكرة، فلا سرور دائم، ولا سعادة كاملة للإنسان فالزمن جامع :

للهو آونة تمر كأنها

قبل يزودها حبيب راحل

جمح الزمان فما لذيذ خالص

(١) مما يشوب، ولا سرور كامل

والزمن بكل أعنائه، وشجاعته، ومعطيائه، لا يرهب المتنبى، ولا يخيفه وتظهر صورة التحدي. بإعلان الحرب عليه - لو أمكن ذلك - :

ولو برز الزمان إليّ شخصاً

(٢) لخضب شعر مفرقه حسامي

والزمن - عند المتنبى - رمز لمعاداة الكبار، أصحاب الهمم العالية، وأرباب الفضائل، والمتنبى واحد منهم - :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

واشكالية الزمن مع المتنبى بأنه يريد أن يبلغ فوق ما يبلغه الزمن نفسه وإن لاقى في ذلك كل ما لاقى - فلا يكثر ولا يهتم، فلا سرور يدوم، ولا يرد الحزن ما راح من السعادة :

أريد من زمني ذا أن يبلغني

ماليس يبلغه من نفسه الزمن

لا تلق دهرك إلا غير مكثر

ما دام يصحب فيه روحك البدن

فما يدوم سرور ماسرت به

(٣) ولا يرد عليك الفائق الحزن

وكان الشاعر يستأنس بقدوم التعب والشكوى من الزمن، فهو هكذا طبعه، وقد ذهب الأوائل - وهم مهتمون به - وعناهم التعب والشأن الذي نحن فيه، وقد تحسن الأيام إلى البعض، ولكن سرعان ما تنقلب :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا

وعناهم من شأنه ما عنانا

وتولوا بغصة كلهم منه

"م"

وإن سر بعضهم أحياناً

ربما تحسن الصنيع لئاليه

"م"

(٤) ولكن تكدر الإحسانا

١- م ديوان المتنبى ص ٣٧٠/٣ .

٢- م ديوان المتنبى ص ١٦٣/٤ .

٣- م ديوان المتنبى ص ٣٦٤/٤ .

٤- م "ديوان المتنبى" ص ٣٧٠/٤

"ولكن أبا الطيب تناول فكرة الزمن تناولاً أقرب إلى تناول المحدثين لها، ولنتأمل تلك المقطوعة التي يمكن أن نسميها " لوحة الزمن " : لأن الشاعر صور فيها دبيب الزمن على نفسه كما صور عاديات الأيام، وتخيل الزمن كيانه مستقلاً، وراح يحل فيه ويصحبه، ويذوق من خلاله الغصص والآلام التي يسببها للناس، ويدرك - في لحظات خاطفة - الإشراق الذي يلم بالناس، ثم الظلام الذي يلم بهم بعد ذلك " (١)

ويعلل المتنبي " جفاف الزمان " ، وعدم منحه اللذات ، لأن المتنبي وأمثاله الطامحين ، قد جاعوا الزمان وهو في شبابه المفرح ، أما نحن نحن فقد جننا ، وهو قد كبر وخرف :

أتى الزمان بنوه في شبابه  
فسرهم ، وأتيناها على الهرم (٢)

هكذا يرسم المتنبي محنته ، ليأخذ الزمن بعداً تأملياً ، فمرور الأيام عنده من أسباب شكواه وتعبه ، لذا يرى الزمن يمضي دون أن يحقق آماله ، حتى وإن عبر بروح الطامح بقوله :

أريد من زمني ذا يبلغني  
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن (٣)

مع كل هذا فهو يحس بالشكوى والإتكسار ، "وتزئله فكرة الزمن ، وزحف الأيام ، وصراع الحياة " (٤)

١- " في عالم المتنبي " د/عبد العزيز الدسوقي صـ ٨٤

٢- راجع ديوان المتنبي صـ ٢٩٦/٤ .

٣- راجع الديوان صـ ٢٦٤/٤ .

٤- " في عالم المتنبي " د/عبد العزيز الدسوقي صـ ٨٣ .

توطئة :

شهد القرن الرابع موجة من الفقر ، نتيجة للتناقض الطبقي الحاد بين أفراد المجتمع ، وقد أسهم الوضع السياسي العام الذي لا يقوم على مرتكز قويم وأساس اجتماعي عادل ، بحيث أنتج الجشع والطمع ومصادرة أملاك الغير ، أنتج أنتشار الفقر ، وظهور الفاقة ، وبروز الطبقة الفقيرة أو المعدمة ، التي كانت تمثل شريحة كبيرة من المجتمع ، وهكذا فقد ظهر الجوع والفقر .

وشعر الشكوى من الفقر في القرن الرابع الهجري أخذ بعداً كبيراً ، ومساحة واسعة من متون الأدب في ذلك القرن ، ولعل أقرب صورة من صور هذا الحال ، ما يعكسه ابن الحجاج (١) ، من حال سيئة حين فرّ من موطنه - طلباً للنفوس - وعاتبه القوم في فراره ، مرتكزاً على فرار نبي الهدى صلى الله عليه وسلم لغار حراء يقول :

هربتُ من موطني إلى بلدٍ  
قد صقر الجوع فيه منقاري  
يقول قومٌ فرّ الخسيس ولو  
كان فتىً كان غير فرّار  
لا عيب ، لا عيب في الفرار فقد  
فرّ نبيُّ الهدى إلى الغار

وهذا بن سكرة (٢) ، يعطي صورة أخرى لحالة القرن الرابع ، تحمل في ثناياها روحه المرحة ، فيمتزج فيها الحزن بالسخرية ، والشكوى بالضحك ، والجد بالهزل ، حين مر على باب ورأى الكلاب التي أعدت للصيد تلتهم لحوم الحملان الطرية اللذيذة قال :

مررت على كلاب الصيد يوماً  
وقد طرح الأجير لها سخالا (٣)  
فلو أني ومن تحويه داري  
كلابك لم نخف أبداً هزالا  
فقل ما شئت في شيخ شريف  
يكون الكلب أحسن منه حالا (٤)

١- ابن الحجاج هو : أبو عبد الله الحسن بن أحمد الحجاج ، شاعر كبير من شعراء القرن الرابع ، راجع البيّمة ج ٣ ص ٣٥ / و ص ٥٧  
٢- ابن سكرة هو : أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد ابن سكرة الهاشمي ، من شعراء القرن الرابع الكبار ، شاعر متسع الباع ، راجع البيّمة ص ٣/٣ ج  
٣- السخال : جمع سخلة : [ولد الشاة من المعز والضأن] راجع لسان العرب / ١١ ص ٣٣٢ .  
٤- م " الحماسة الشجرية " ص ٢ / ٩٣٨

وهذان الشاهدان إتخذاً مدلولاً أحادياً ، إلا أنهما يصلحان للشمولية ، والتعبير عن المجموع ، لأن المآسي والأحزان والفقر والمحن التي خيمت على ذلك العصر ، وألقت بظلالها على أهله ، كانت باعثاً لشكوى العديد من شعراء ذلك العصر ، ويمكن اسقاطها على فئة عريضة من المجتمع .

ويبدو أن العصر الذي عاش فيه المتنبي ، غلبت على أهله الفاقة ، والجوع والألم ، والمآسي ، لئذ أصبح تفضيل الموت على الحياة في ذلك المجتمع - القرن الرابع - تياراً يشكل ظاهرة انتشرت بين شعرائه ، بعد أن ضاقت بهم السبل ، وسدت طرق العيش في وجوههم فهذا الوزير المهلبى (١) يقول قبل أن يصبح وزيراً وقد بلغ حالة من البؤس ، بحيث يشتهي الطعام فلا مالاً ليبتاع به ، لذا يتمنى الموت الذي يخلصه من العيش الكريه :

ألا موت يباع فأشتريه  
فهذا العيش مالا خير فيه  
ألا موت لذيق الطعم يأتي  
يخلصني من العيش الكريه  
إذا أبصرت قبراً من بعيد  
وددت لو أنني ممّا يليه  
ألا رحم المهيمن نفس حرّ  
تصدّق بالوفاة على أخيه (٢)

وفي مجتمع مثل مجتمع القرن الرابع ، كان لزاماً أن يشيع شعر الشكوى من الفقر ، وتتعالى أنات الفقراء والمعدمين ، نظراً لما ضم هذا القرن من تمزق في جسد الأمة العربية الإسلامية ، وتسلبت الدخل عليها . والمتنبي كان شاعراً ذا طموح ، ونفس كبيرة ، وقد قال في إحدى قصائده :

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله  
ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده (٣)

وحياة المتنبي في صباه ، تعكس أموره المالية " ومن جملة ما عرفوه ، أن والده كان سقّاء يبيع الماء ، وإلى هذا يشير أحد منتقدي الشاعر بقوله يعيره أصله ، وتعاطيه فن المديح : أي فضل لشاعر ، يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً عاش حيناً في الكوفة يبيع الماء ، وحيناً يبيع ماء المحياً " . (٤)

١- الوزير المهلبى هو : أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى ، أديب وشاعر كان وزير معز الدولة توفي ٣٥٢هـ انظر ترجمته في "وفيات الأعيان" ص ١٢٤/٢ .

٢- "شعر الوزير المهلبى" جمع جابر عبد الحميد الخاقاني ص ١٦٢ .

٣- م ديوان المتنبي ص ١٢٣/٢ .

٤- م " المتنبي ، دراسة عامة " لجورج غريب ص ٤٣



والمتنبي إلى جانب فقره ، وحرفة أبيه ، وضعة نسبه ، أدرك أهمية المال ، فحرص عليه ، وقد أجاب عن ذلك بقوله :

إن للبخل سبباً ، وروى حادثته مع بائع البطيخ ، الذي أبى أن يبيعه الخمسة بطاطيخ بخمسة دراهم، لأنها ليست من أكله ، مع أنه باعها لأحد التجار بدرهمين وحملها إلى داره بنفسه ، وليس لذلك سبب إلا لكون هذا التاجر يملك مائة ألف دينار ، نرى أن أبا الطيب لم يتبع الحزم إلا ليرى الناس يقولون . أنه قد ملك مائة ألف دينار " (١)

وظفولة المتنبي طفولة صبي معدم ، فقد " نشأ فقيراً معدماً " (٢)

استمر حاله ، " وظل يشكو ألم العدم طيلة بقائه في الكوفة ، وتجوله في البادية " (٣)

ثم أخذ يطرق أبواب الرزق ، بحثاً عن لقمة العيش ، وسد الحاجة " محترفاً صنعة الأدب ، مصراً على العيش منها .

وكان كثيراً ما يكرر في سفره أنه يتوق إلى قوت يومه... وهو القائل :

لم الليالي التي أختت على جدتي  
برقة الحال ، واعذرني ولا تلمّ (٤)

وكان يقبض هممه ، مسافراً في شرق البلاد وغربها ، " وينتقل من حومة إلى حومة ، بحثاً عن اللقمة ، حتى ضاق ذرعاً ، ومل التجوال فقال في صباحه :

ضاق صدري وطال في طلب الرزق  
" م "  
قيامي ، وقلّ عنه فعودي  
أبدأ أقطع البلاد ، ونجمي  
في نحوس ، وهمتي في سعود (٥)

واستمر وضع المتنبي على هذه الحالة ، يسير شرقاً وغرباً حتى " وصل إلى إنطاكية . دخلها وهو يبحث الخطأ بحثاً عما يسدّ به الرمق ، إلى أن وقف على باب المغيث بن علي العجلي ، فقال له :

١- م " المتنبي ، دراسة عامة " لجورج غريب ص ٢٨ .

٢- م " المتنبي مالى الدنيا و شاغل الناس " د/محمد التونجي ص ٣٤ .

٣- م " المتنبي مالى الدنيا و شاغل الناس " د/محمد التونجي ص ٣٥ .

٤- م " المتنبي مالى الدنيا و شاغل الناس " د/محمد التونجي ص ٣٤ .

٥- المصدر السابق ص ٣٤ .

لما أقمت بانطاكية اختلفت  
إلي بالخبر الركبانُ في حلبا  
فسرت نحوك ، لا ألوي على أحدٍ  
أحث راحلتي : الفقر والأدباً (١)

ثم يشتكي المتنبي من قلة ذات اليد ، ومن ضيقة الفقر ، وقد أراد أن يجازي بمدوحه بالمال ، ولكن دون ذلك العدم والفقر ، يقول مخاطباً نفسه :

لا خيل عندك تهديها ولا مال  
فليسعد النطق ، إن لم تسعد الحال (٢)

ويبث شكواه إلى بدر ابن عمار ، في محاولة لطرد الفقر وتحسين الحال يقول :

رجاء جودك يطرد الفقر  
وبأن تُعادي ينفذُ العمر  
ما يرتجى أحد لمكرمةٍ  
إلا الإله ، وأنت يا بدر (٣)

ثم يخاطب محمد ابن زريق ، شاكياً له بعد المسافة ، وإن الزاد نفذ والدار بعيدة :

وقد قصدتك والترحال مقرب  
والدار شاسعة والزاد قد نفدا (٤)

والمتنبي لا يطلب المال فقط ، بل له مطلب آخر يتمثل في ولاية أو ضيعة ، وقد قالها صراحة لكافور :

أبا الملك ، هل في الكأس فضلٌ أناله  
فإني أغني منذ حين وتشرب  
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية  
فجودك يكسوني وشغلك يسلبُ (٥)

ثم صدم في كافور ، فقلب ظهر القصيد ، عليه ، وهجاه هجاءً مرأ ، في محاولة لإظهار بأسه وتذمره ، وشكواه :

أمسيت أروح مثر خازناً ويدا  
أنا الغني ، وأمالي المواعيد  
إني نزلت بكذا بين ضيفهم  
عن القرى ، وعن الترحال محدود (٦)

١- م "المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس" / محمد التوحي، ص ٣٥ .

٢- م ديوان المتنبي ص ٣٩٤/٣ .

٣- م ديوان المتنبي ص ٢٤٤/٢ .

٤- م ديوان المتنبي ص ٦٩/٢ .

٥- المصدر السابق ص ٣٠٦/١ .

٦- م ديوان المتنبي ص ١٤٢/٢ .

وقد استمر المتنبي - في تسوله - من الأمراء والوزراء ، والخلفاء ، وهو كثير ، في ديوانه منها قوله مخاطباً سعيد ابن الحسين الكلابي :

حتى وصلت بنفس مات أكثرها  
وليتني عشت منها بالذي فضلا  
أرجو نذاك ، ولا أخشى المطال به  
يامن إذا وهب الدنيا فقد بخلا (١)

والمتنبي مع ذلك عُرِفَ عنه البخل والشح "ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه إلا بخله وشهره على المال" (٢) والقرن الرابع الذي عاش فيه المتنبي ، عصر يعج بالشكوى من الفقر ، لذا لا نعجب من تنقل المتنبي من أجل المال ، فقد كان للعامل الاقتصادي أثره الكبير في حياة المتنبي وشكواه ، ولقد أصبحت الشكوى من قلة ذات اليد ظاهرة أفرزت جماعة من المكدين الطوافين في ذلك العصر

" مما هو عظيم الدلالة أننا لا نجد في الشعر العربي مكاناً للمكدين الطوافين قبل القرن الرابع " (٣)

ويهذا يكون المتنبي أمضى حياته ، طارقاً الأبواب ، سائلاً الأمراء عطاياهم

" والظاهر أن حالة المتنبي المالية لم تتحسن إلا يعد أن استقر به المقام في أرض الشام ، لأنه حتى في

أول عهده بالشام يشكو الفقر وسوء الحال " (٤)

ويؤكد هذا الرأي ما قال المتنبي - مخاطباً - سيف الدولة ، متباهياً بأن ترك الرحيل لطلب المال ، وأنه من الإثراء بحيث ينتعل الذهب هو وفرسه :

تركتُ السرى خلفي لمن قل ماله  
وأنعلت أفراسي بنعمائك عسجدا (٥)

١- ديوان المتنبي ص ١٧١/٣

٢- م " المتنبي ، دراسة عامة " لجورج غريب ص ٢٨ .

٣- م " الحضارة الإسلامية في القرن الرابع " آدم متر ص ٤٩٤ .

٤- م المتنبي بين ناقديه في القدم والحديث " د/عبد الرحمن شعيب ص ٢٢ .

٥- م ديوان المتنبي ص ١٥/٢ .

توطئة:

" إن الاجتماع الإنساني ضروري ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : " الإنسان مدنيٌ بالطبع " ، أي لا بد

له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران " (١)

فالاختلاط بالناس ، والاحتكاك معهم شرط من شروط الاستخلاف في الأرض ، بل ضرورة ملحة لاستمرار

الحياة ، وسير شؤونها .

لا يمكن أن يبرأ أي مجتمع من التناقضات التي تتصادم في داخله حيناً ، وتتآلف حيناً آخر ، لذا ينتج عن

هذه العلاقة المتحركة ، والمتقلبة بين الحب والبغض ، ما يكدر الصفو ، ويرسل الشكوى ، ويبعث الحزن.

" وطبيعة العمل الأدبي مرتبطة كل الارتباط بالبيئة التي نشأ بين ظهرانيها ، والأرض جاء وحيه من

أديمها . فإذا ما أحسن الدارس التعرف على بيئة " ما " كان من اليسير عليه أن يصدر أحكاماً أقرب إلى

الصواب ، وأدنى إلى الصحة على الأعمال الفنية ، ومنها الشعر ، التي تنشأ في هذه البيئة أوتلك " (٢)

ومجتمع القرن الرابع كغيره من المجتمعات ، وكغيره من البيئات نمت داخله التناقضات التي أثمرها الواقع

السيء ، وتمثل في تسلط الحاكم الأجنبي ، وتردي الأوضاع الاقتصادية ، وخاصة في العراق التي شهدت

طفولة المتنبي .

" وعندما يكون الوضع السياسي والظلم الاجتماعي فإن الأحن تنسم بالحدة والسخط والحزن " (٣)

وإن كان هناك ما يفسد العلاقة بين الناس ، فيدفع الشعراء إلى التضجر ، والشكوى والتبرم ، فإن البعض

منهم ، قد جاوز الحد في ذلك التبرم والتشكي مجاوزة عظيمة ، فبمجرد أن يتضايق من صديق ، أو يشكو

من غدر قريب ، أو خدعة صاحب ، حتى يعم شكواه ، وينقل سخطه على الناس أجمعين ، فيمسون مدانين

بجريرة غيرهم ، " إذ ليس كالعربي من يحول القضايا الشخصية إلى قضايا عامة ، والقضايا العامة إلى قضايا

شخصية " (٤)

١- م "مقدمة ابن خلدون" ص٤٦ .

٢- م "أبو الطيب المتبي في مصر والعراقين" د/مصطفى الشكعة ص١٠٥ .

٣- دراسات في علم الجمال .د/عدنان رشيد ص٢٧٣ .

٤- م "سأخون وطني" ل محمد الماغوط ص١٣٤ .

وفي شعر المتنبي الكثير من هذه النماذج ، التي تعكس معاناته الشخصية في المجتمع ، والشعور بقلّة

المساعدين ، مما جعله يشعر بالغربة بين الناس :

أما في هذه الدنيا كريم  
تزول به عن القلب الهموم  
أما في هذه الدنيا مكان  
يسر بأهله الجار المقيم (١)

ونجد في شعر المتنبي في هذا الغرض نماذج تدعو إلى معالجة جانب تربوي في المجتمع ، وبناء علاقات  
تطمح إلى الكمال .

فهو شعر موجه نحو القيم العالية ، والأخلاق الفاضلة ، لأنه يريد لإتسان عصره ، أن يتجاوز المثالب  
ويطمح إلى المناقب ، لذا فهو يشكو تخاذل الناس وتقاعسهم عن الكمال :

ولم أرى في عيوب الناس عيباً  
كنقص القادرين على التمام (٢)

وتتضح شكوى المتنبي من الناس ، ونقمتهم عليهم - وهو المجرب - لما يمارسونه من الخداع الممزوج

بالود ، والتدين المخلوط بالنفاق :

إذا ما الناس جربهم لبيب  
فإني قد أكلتهم ، وذاقا  
فلم أر ودهم إلا خداعاً  
ولم أر دينهم إلا نفاقاً (٣)

وأحياناً يكون أذى الناس للمتنبي دافعاً للفخر ، والتعالي ، والمكابرة ، فالذين رموه من خساس الناس ،  
منهم من عابه بما فيه ، ومنهم من لم يؤثر فيه لحقارته ، فهو كمن يرمى قطعة قطن ، لذا فهو جاهل بقدر  
المتنبي ، وجاهل بهذا الجهل ، فهو وإن ملك الأرض ، واعتلى فوق السماء ، كان ذلك دون مقتضى همته :

رمانى خساس الناس من صائب استه  
وأخر قطن من يديه الجنادل  
ومن جاهل بي ، وهو يجهل جهنه  
ويجهل علمي أنه بي جاهل  
ويجهل أني مالك الأرض معسر  
وأني على ظهر المساكين راحل (٤)

١- م ديوان المتنبي ص ٢٨٢/٤ .

٢- م ديوان المتنبي ص ٢٧٥ /٤ .

٣- م ديوان المتنبي ص ٤٧/٣ .

٤- م ديوان المتنبي ص ٢٩٢/٣ .

وقد يصل الأمر بالمتنبي أن يذم أهل الزمان كلهم ويستثني نفسه فهم صغار ، وإن كانت لهم جثث ضخام ، وهو وإن كان معهم إلا إنه يختلف عنهم ، كما تضم الأرض التراب والذهب :

ودهر ناسه ناس صغار  
وإن كانت لهم جثث ضخام  
وما أنا منهم بالعيش فيهم  
ولكن معدن الذهب الرغام (١)

" وكان المتنبي برماً بتلك الأوضاع ، فنقم على الناس ، وكون لنفسه مذهباً متميزاً عن البشر ...  
ورأى أن لا ينخدع أحد بابتسامات الخداع .

ولكنه كان يكتم شكواه عن غيره ، حتى لا يشمت به حاسد ، واستخلص من هذا المنطق رأياً فيه حكمة  
ترتاح إليها النفوس (٢) فقال ناصحاً ، واعظاً :

ولا تسلوْ إلى خلق فتشتمه  
شكوى الجريح إلى الغربان والرخم  
وكن على حذر للناس تستره  
ولا يغرك منهم ثغر مبتسم  
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة  
وأعوز الصدقُ في الأخبار والقسم (٣)

فالمتنبي بالرغم أنه ينهي عن الشكوى للناس ، لأنها مثل شكوى الجريح للطير التي ترقب موته لتأكله ،  
إلا أنه متضجر تضجراً يخفي خلق شكوى وحسرة وحزن ، فالوفاء نقص ، والكذب صار منتشر بين  
الناس .

وأبرز معطيات الشكوى من الناس لدى المتنبي ، تتمثل في الحسد والحساد ، ويلقي باللائمة في سبب هذا  
الحسد على سيف الدولة مرة ، فهو الذي فتح الباب للحساد لما منحه للمتنبي من نعمة وعطاء :

أزل حسد الحساد عني بكتبهم  
فأنت الذي صيرتهم لي حسداً (٤)

وتضطرب جدلية الحسد والتمتني فتأخذ مناحي شتى منها ما يصدم بطموحه وتعالیه ، وشعوره الذاتي

١- م ديوان المتنبي ص ١٩٠/٤ - ١٩١ .

٢- م "الموازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء" لزهدي صبري الخواججا ص ٢٩٥

٣- م ديوان المتنبي ص ٢٩٥/٤ .

٤- المصدر نفسه ص ١٣/٢ .

بنفسه ، وكأنه البحر من يزاحمه يغرق :  
وما كمد الحساد شيئاً قصدته

(١) ولكنه من يزحم البحر يغرق

وتأخذ أحياناً طبع الوشاية ، والتحجيم من شأن المتنبي ، فهذه " المذمة " هي الشهادة لكمالي ، وخلوي من النقائص .

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

(٢) فهي الشهادة ليّ يأتي كامل

وتأخذ أحياناً كثرة الحساد ، مسلماً استجدائياً ، وليطلب العطاء ليغيض به الحساد :

وقد منيت بحساد أحرارهم

(٣) فاجعل نذاك عليهم بعض أنصاري

بعد ذلك يدخل المتنبي في ظلام الشكوى ، مازجاً الحساد بها ، فهم يحسدونه على حظه المنحوس الذي

لو طلبوه ، لأعطاهم إياه ، فحياة المتنبي " ليست بالشيء الذي يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من

السرور " (٤) ، لذا يقول :

فلو أتني حسدت على نفيس

لجذت به لذي الجد العثور

ولكني حسدتُ على حياتي

(٥) وما خير الحياة بلا سرور

" وحساد المتنبي " عائبون يلاحقونه في كل بلد ، وكل قصر أيضاً ، ولا بد أن فيه شيئاً يبعث على

الحسد والغيط ، كالشخصية ، أو الشاعرية ، أو الشهرة ، أو المكانة " ولولا ذلك لما تكاثف حوله الحساد " (٦)

لذا نجده يعذرهم في حسدهم إياه ، لأنهم معاقبون بتقدمه عليهم ، وظهور نقصانهم بزيادة فضله عليهم ،

وكيف لا يحسد من له قدم على كل هامة :

إني وإن لمت حاسديّ فما

أنكر أني عقوبة لهم

كيف لا يحسد أمرؤٌ علمٌ

(٧) له على كل هامةٍ قدّمَ !؟

١- م ديوان المتنبي ص ٥٨/٣ .

٢- المصدر نفسه ص ٣٧٦/٣ .

٣- م ديوان المتنبي ص ٢٤٥/٢ .

٤- م شرح ديوان المتنبي " للبرقوقي ص ٢٤٨/٢ .

٥- م ديوان المتنبي ص ٢٤٨/٢ . ٦- م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونجي ص ٢٦٣ . ٧- م ديوان المتنبي ص ١٨٠/٤ .

ثم جمعت عليه الأحزان من جهات كثيرة فالزاد قليل ، والفؤاد متعب ، والحساد كثر ، والمراد شاق وصعب :

قليلٌ عائدي ، سقم فؤادي

كثير حاسدي صعب مرامي (١)

" والذي يدعو للعجب أيضاً ، أن الحسد ينمو كالنبات مع مرور الأيام ، ونراهم ضيقي النفس معه ،

يلحقونه أسرع من النار في الهشيم " (٢)

والمتنبي يجيد خلق الحساد له ، والعداوات . مع الناس ، مرة باحتقارهم ، وأخرى بالتعالي عليهم

" إنه يؤكد الحساد في كل قصر ، فأول ما يقوم به في الحلّ الجديد أنه يتذلف بالدخول ويحتقر الحضور .

فيثير حفيظة الناس ، ويعتبرهم أدنياء من أول قصيدة على الأسماع ، فيحل الهرج والمرج بين الحفل ،

ويصبح اسمه على كل لسان ، وهذا ما يريد ، فيعمد إلى استغلال هذا الموضوع باحتقارهم ورفع نفسه " (٣)

وهكذا أخذ المتنبي يرسم الناس والشكوى منهم ، والحسد الذي لقيه من جراء طموحه وعلو نفسه ، وقد

كان أحد الأسباب المؤدية إلى نشوء مثل هذه المقالب والرذائل التي تعرقل مسيرة العلاقات الاجتماعية

والإنسانية الصادقة . وهذا يفسر تسمية ابنه باسم " محسد "

٤- الشكوى من الشعراء:

توطئة:

ازدهر الشعر في القرن الرابع الهجري ، واتسعت دائرته ، فقد ضم كوكبة من أبرز الأسماء في خارطة

الشعر العربي ، أليس هذا القرن هو الذي ضمّ المتنبي وأبا فراس الحمداني والشريف الرضي، وابن سكرة ،

والسري الرفاء ، وكشاجم ، والصوري ، وأبا هلال العسكري ، وأبا الفتح البُسَتي ، والوَأوَأُ الدمشقي ،

وابن لُتْكَك وغيرهم كثير (٤) .

ولا محال أمام مجتمع يزخر بمثل هذا العدد من الأسماء الشعرية من نشوء لحاسد ، وتنافس ، وتسابق

مما كان له أكبر الأثر في إذكاء نار الغيرة ، واشتعال جذوة التنافس على الإجابة ، والإبداع ، مما يزيد

١- المصدر السابق ص ٢٧٦/٤ .

٢- راجع "المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس" د/محمد التونجي ص ٢٦٣ .

٣- م " المصدر السابق " ص ٢٦٤ .

٤- لمزيد من الشعراء في القرن الرابع راجع "بيمة الدهر " الجزء الثاني فقد ذكر عدد هائل من الشعراء وقطعاً من إنتاجهم .



الأمر أهمية ، أن الشعر أصبح وسيلة للعيش ، وطريقة للتكسب .

والمشهد الأدبي في القرن الرابع مشهد امتلاً بالخصومات والمسابقات بين الشعراء فيما بينهم ، لذا

وجدت الشكوى لها مجالاً بأن تنبت فيما كانت هذه الخصومة والشكوى مدفوعة بالغيرة مرة ، والحسد مرة أخرى .

وقد ساهم الأمراء والولاة أنفسهم في اتساع دائرة الخلافات والمنافسات بين الشعراء ، إذ شاهدوا فيها

"متعة نادرة يستغلونها ، لذلك فهم إن لم يكونوا يحرضون الشعراء فيما بينهم ، فهم في تقريبهم لبعضهم

ونفورهم من بعض آخر ، يسهمون إسهاماً كبيراً في خلق مثل هذه الأجواء المشحونة . بالمهاترات اللفظية

التي تنز بالحسد والغيرة " (١)

ولعل المتنبي من أبرز الشعراء ، الذين شكوا من ظاهرة غيرة الشعراء ، ومضايقتهم له .

فبعد أن استقر به المقام في رحاب سيف الدولة وتنفس هواء الاستقرار ، وشعر بطعم الراحة ، فأخذ

ينشد في حضرة سيف الدولة " سيفياته " ، التي تعتبر من عيون شعره ، ويرافقه في حروبه ذاكراً

مناقبه وصفاته ، وأخلاقه ، وبعد كل هذا ، " ما أقسى على الشاعر - خاصة - أن يطغى عليه شاعر

آخر في بلاط واحد !! إن نار شهرة المتنبي أحرقت - بل أذابت - جذوة سائر الشعراء . وليس ببعيد أن

ينهض هؤلاء ، ويسعون ، بما أوتوا من سبيل ، إلى إخماد سعير هذه النيران ، التي سيطرت عليهم

وبهرتهم بأشعتها ، وقد كان سلاحهم في ذلك الحسد ، والتشهير ، وإبراز العيوب ، والكذب ، وتلفيق

الكلام ، والتندر بتباهيه ، والتشكيك في تفاخره ومحبته : سعياً وراء إفساد ما أصلحه الدهر بين الأمير

والشاعر" (٢)

ومما يزيد في إذكاء جذوة العداوة ، ويرفع من نظاها تعالي المتنبي على سائر الشعراء ، عندما ينشد

أشعاره التي تشع بالتحدي ، وتصادر الآخرين وأشعارهم ، إذ لم يأتوا إلا بأشعاره " المرددة " ، والدهر أول  
راو لها :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً ، أصبح الدهر منشدا

أجزني إذا أنشدت شعراً ، فأنتني

بشعري أتاك المادحون مردداً

١- م " المجمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة " لعبد اللطيف الرازي ص ٧٢ .

٢- م " النبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد الترمذي ص ١٠٢ .

ودع كل صوت غير صوتي ، فإبني  
أنا الطائر المحكي ، والآخر الصدى (١)

ثم يلتفت إلى الحساد - من الشعراء - مخاطباً سيف الدولة ، بعد أن طلب منه أن يعطيه مكافأة

التي هي من مسلوخة من أشعاره ، يقول :

أزلُ حسد الحساد عني بكتبهم

فأنت الذي صيرتهم لي حسداً (٢)

ولكن الحساد - وأبو فراس منهم - ما كان ليرضيه مثل هذا المشهد ، فلم يسكتوا ، بل صمموا على الإطاحة والكيد بالمتنبي .

" ففي الصباح بلغ المتنبي أن أبا فراس قال لأبن عمه : " إن هذا المتشدد كثير الدلال عليك ، وأنت تعطيه

كل سنة ثلاث آلاف دينار على ثلاث قصائد . ويمكن أن تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره " (٣) .

وهكذا أخذت الحكايات والوشايات ، تأخذ طريقها إلى فؤاد سيف الدولة ، حتى وصل الحال إلى مفترق

الطريق ، لتطلع بوادئ الرحيل ، والسفر من جانب المتنبي حين جرح بقوله - متضايقاً - من ضغوط

الحسد ، ومضايقة الشعراء :

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا

فما لجرح إذا أرضاكم ألم (٤)

ثم يشير إلى السفر ، متحسراً على الفراق :

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم

وجداننا ، كل شيء بعدكم عدم (٥)

وصراع المتنبي مع الشعراء وحسدهم له كثير ، وكتب الأدب مليئة به ، وما هذا الذي ذكرت إلا نماذج فقط

وترتفع شكوى المتنبي من الشعراء ، حين يمزج الوجد بالسخرية ، ففي كل يوم يخرج له " شو يعر " لا

قوة له ، ولا حول ، بحيث يستطيع المتنبي حملة تحت إبطه من خفته :

أ في كل يوم تحت ضبني شويعر

ضعيف يقاومني ، قصير يطاول (٦)

١- م ديوان المتنبي ص ١٤/٢٠١٥ .

٢- م ديوان المتنبي ص ١٣/٢٠١٣ .

٣- م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونجي ص ١٠٣ .

٤- م ديوان المتنبي ص ٨٧/٤٠٨٧ . ٥- المصدر السابق ص ٨٧/٤٠٨٧ . ٦- المصدر السابق ص ٢٣٧/٣٠٨٧ .

" إنهم تحاملوا على المتنبي مسوقين بعوامل عدة منها أنه رزق الشهرة وحظي بالمكان العالي ، وأنه جود في كثير من شعره ، حتى سار سيرورة الأمثال .

ثم إن غير واحد من الرؤساء قد دفع هؤلاء إلى أن يتعرضوا لشعره بالنقد والتجريح . ومن غير شك أن الوزير المهلبى والصاحب ابن عباد قد شاركا في دفع النقاد والشعراء إلى النيل من المتنبي والحط من شعره وتهجينه ، وبيان سقطاته ، ومساوئه .

وقد أشار المتنبي إلى هذا " (١) فقال :

أرى المتشاعرين غرّوا بذمي

ومن ذا يحمد الداء العضالا (٢)

وتعالى المتنبي على الشعراء ، وإحتقاره لهم ، لا يغادر قصائد المتنبي ، فهو يخاطب سيف الدولة

بأن لا يبالي بالشعراء بعد شعره ، فقد أفسدوا الشعر ، حتى يحمد الصمم على سلامة الذوق :

ولا تبال بشعر بعد شاعره

قد أفسد القول حتى أحمّد الصمم (٣)

وتبرز فكرة " حرفة الأدب " كوظيفة من وظائف القرن الرابع الهجري ، لعل الحرمان أبرز العوامل التي

أظهرت هذه الحرفة ، حيث نجد الشاعر السوري (٤) ، الذي أتعبه طرق أبواب الوجهاء ، عارضاً

بضاعته الكاسدة من الشعر ، فكان بيع الشعر بالثمن الرخيص أكثر ما يؤلمه ، ويبعث شكواه يقول :

وإلى كم أسير في الأرض كي

ألقي فلاناً ، واستمّيح فلاناً

تحت سوق من الكساد

يباع الشعر فيه مسترخصاً مجاناً (٥)

والمتنبي في عهد حدائته في السن ، كان يزاول مهنة بيع الشعر بأقل الأسعار ، وأزهد الأثمان ،

" ولم يكن يمانع أن يكون ثمن القصيدة طبقاً من الطعام " (٦)

حين يجعل من ممدوحه أسطورة في الكرم ثم يتجاوز في مكافأته دريهمات ، بل وصلت إلى دينار واحد ،

١-مجلة المورد، المجلد السادس، خريف ١٣٩٧، مقال بقلم د-إبراهيم السامرائي ص-٧ .

٢- راجع ديوان المتنبي ص-٣٤٤/٣ . ٣- ديوان المتنبي ص-١٤٢/٤ .

٤- هو أبو محمد عبد المحسن بن محمد السوري، الشاعر ت٤١٩ هـ انظر ترجمته في وفيات الأعيان ص-٢٣٢/٣

٥-ديوان السوري ص-٥٩/٢ . ٦-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس "د/محمد التونجي ص-١٦٤ .

تلك القصيدة التي سميت بالدينارية، " ولهذا كان يشكو الحالة المزرية التي وصل إليها ، فقد قال يمدح

بعض التتوخيين " (١)

إلى كم ذا التخلف والتواني  
وكم هذا التماذي في التماذي !؟  
وشغل النفس عن طلب المعالي  
ببيع الشعر في سوق الكساد ؟  
أ أرضى أن أعيش ، ولا أكافأ في  
على مال الأمير من الأيادي !؟ (٢)

وهكذا يكون الشعر عند المتنبي ، طريقاً للحسد ، وممرأ لعداوات الشعراء ، بل يتجاوز ذلك إلى أن يرمي من كرامة المتنبي بين يدي الممدوحين ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يتحسر المتنبي ، ويتألم على بيع الشعر في سوق الكساد ، كما مر قبل قليل .

٥- الشكوى من الأصدقاء:

لا نستطيع أن نبرئ أي مجتمع من التداخلات والتناقضات التي تعتمل في ساحته من جراء احتكاك أعضاء المجموعة التي يضمها مكان من الأرض .

والصداقة تبرز كمعطى اجتماعي ملح تفرضه ديمومة الحياة ، واستمرار إعمارها .

والقرن الرابع - كغيره - من القرون وجد فيه ما يوجد بين الصديق وصديقه ، من انعدام الود ، وذهاب

الصفاء ، وزوال الأخوة الصادقة ، القائمة على التضحية والإيثار .

وكثير من شعراء القرن الرابع ، اشتكوا من الصداقة ، وزوال الود والصفاء ، بين الأصدقاء ، فهذا

ابن وكيع (٣) يقول :

فسد الناس كلهم وانقضى  
" م " الود فما في الورى أخ ذو صفاء  
وإذا ما الصديق عاد عدواً  
فهو مستكره من الأعداء (٤)

١- م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس "د/محمد التونجي ص-١٦٤ . ٢-م ديوان المتنبي ص-٧٧/٧٨ .

٣-هو أبو محمد الحسن بن علي الضبي ، المعروف بابن وكيع التبيسي المتوفى ٣٩٣ انظر ترجمة "وفيات الأعيان" ص-١٠٦/٢ .

٤-م "هجة الجالس ، وأنس الجالس" للقرطبي ص-٦٧٨/٢

والمتنبي يبحث عن الأصدقاء ، الذين يحبون التضحية ، ويدخلون السرور على الأنفس ، وإشكاليته مع الأصدقاء جزء من معاناة من الناس كافة ، " فالشاعر هنا يشكو قلة الكرم حوله ، حتى توهم الدنيا خالية من كريم يؤنس به ، وتزيل مخاطبته الهموم " (١)

لذا قال :

أما في هذه الدنيا كريم  
تزول به عن القلب الهموم (٢)

وأحيانا يضيق بالصدقة ذرعاً ، فينفي الصديق ، إذ لا صديق لأحد في الحقيقة إلا نفسه ، وإن كثرت التملق وخضع لك بالقول :

خليلك أنت لا من قلت خلياً  
وإن كثرت التجمل والكلام (٣)

ويضيق ويتبرم من الصداقة ، معلناً بأنه وحيد لا خل له ، في حالة الحاجة إليه ، لأنها حاجة عظيمة ، وإذا أضيف فقدان الصديق مع مطاردة الليالي له ، فإن الشكوى تكون أكبر ، والحزن أعظم :

أهم بشيء ، والليالي كأنها  
تطاردي عن كونه وأطارد  
وحيداً من الخلان في كل بلدة  
إذا عظم المطلوب قلّ المساعد (٤)

" ولعل هذه النظرة السوداوية التي وصم بها أخلاق مجتمعه راجعة إلى فقدانه الصديق المخلص " (٥)

ويشككي أحيانا من قلة الصديق ، في أسلوب حكيم .. حين تكون الخيل كالصديق قليلة ، مع أنها كثيرة في عين من لم يجرب الحياة بعد ، ولم يغص في مناكبها :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة  
وإن كثرت في عين من لا يجرب (٦)

وتستمر ملاحظة المتنبي ، وشكواه من الأصدقاء ، حين تكون الصداقة ، من ممارسات الناس ، والناس

١-م "التي دراسة عامة" لجورج غريب ص-٢٩٤ .

٢-م ديوان المتنبي ص-٢٨٢/٤ .

٣-المصدر السابق ص-١٩٢ .

٤-م ديوان المتنبي ص-٣٩٢ /١ -٣٩٣ .

٥-م "التي مالى الدنيا وشاغل الناس" د/محمد التوفحي ص-٢٢٩ .

٦-م ديوان المتنبي ص-٣٠٤/١ .

أهل الخداع والممازقة ، فقد أخذ يشك في كل من يصادف ، وكل من يخالل :

فلما صار ودُّ الناس خبا  
جزيت على ابتسام بابتسام  
وصرتُ أشكُّ فيمن أصطفيه  
لعلمي أنه بعض الأنام (١)

ويركز المتنبي في متطلبات الصداقة على الكرم ، وكريم السجايا ، لذا فهو لا ينفر من الصديق والساحب بل من الأخ والشقيق ، إذا لم يكن من أهل الكرم والجود :

وأنف من أخي لأبي وأمي  
إذا مالم أجده من الكرام (٢)

ولكن المتنبي رغم كل هذا التبرؤ من الأصدقاء ، والتملص منهم ، ونعتهم بأشد النعوت ، الممثلة بالشكوى والتشاؤم ، واليأس من وجود الكريم من الأصدقاء ، إلا أنه يضطرب في أحكامه ليقرر في أحد قصائده بأن شر البلاد ، هي تلك البلاد التي لا صديق فيها :

شرُّ البلاد مكان ، لا صديق به  
وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يصمُّ (٣)

فالمتنبي يحاول الاستغناء عن الصديق ، والاحتفاء بنفسه ، ولكن تظهر شكواه في حاجته الملحة لوجود صديق يعينه على طموحه ، ويأزره على أعباء الحياة ، في حين غياب هذا الوفيّ ، وهنا مكنن شكوى المتنبي ، وألامه .

١- ديوان المتنبي ص ٢٧٤/٤

٢- الديوان نفسه ص ٢٧٥ /٤ .

٤- الديوان نفسه ص ٨٩ /٤ .

## الفصل الثاني

### حالات الشكوى الخاصة

- ١- الشكوى من الموت.
- ٢- الشكوى من المرض.
- ٣- الشكوى من الليل.
- ٤- الشكوى من الهجر.
- ٥- الشكوى من الشيب والكبر.
- ٦- الشكوى من الغربة.
- ٧- الشكوى من السجن.
- ٨- ما يُوحى بالشكوى.

توطئة :

يقول الله عز وجل "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ" (٤) (١) ، فالإنسان على هذه الأرض رهين المتاعب ، وأسير المكابدة ، يشقى بما يشقى ، ويسعد بما يسعد ، يعيش بين أوهام السعادة ، وأحاسيس الحزن ، موزع نفسه بين الأمل والرجاء من جهة ، واليأس والقنوط من جهة أخرى .  
والشكوى الخاصة ، هي ما يلامس ذات الإنسان بعيدا عن المؤثرات الخارجية ، والعوامل الاجتماعية ، وتتنظم في صدود حبيب ، أو انتشار حزن ، أو مكابدة شكوى ...!!  
والقرن الرابع أظهر أنماطا من هذه الشكوى ، التي لم تكن للمؤثرات العامة أثر في استنباتها ، أو دور في نتونها .

وتمثل ما يحثها في دواخل ذاتية ، وهموم خاصة ، وأحزان فردية ، تشكلت بطريقة أو بأخرى ، في القرن الرابع الهجري كما تشكلت في كل المجتمعات على تباين أوقاتها وإختلاف أشكالها .  
ولكن رغم الذاتية الفردية التي اتسمت بها هذه الشكوى ، إلا أن هذا لا ينفي أن تكون للمؤثرات الطارئة انعكاسات على شيء من محاورها ، بشكل غير مباشر .  
والمتنبي من الشعراء الذين عبروا عن همومهم الذاتية ، وشكواهم الخاصة من خلال رؤيته المنبثقة من موقفه ، والنابعة من تجربته الشعرية الخاصة .  
وقد ارتأيت تقسيم الشكوى إلى حالات وفقا لمقتضيات المادة الشعرية .

١-سورة البلد الآية (٤) .



## الفصل الثاني

### حالات الشكوى الخاصة

١- الشكوى من الموت :  
توطئة :

يدرك الشعراء قوله تعالى "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" (١) ، ويؤمنون بأنه قدر لا مفر منه ، ينزله الله تعالى على الإنسان ، ليرحل من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة ، ويجازى إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .  
إلا أن الموت كزائر ، يلقى بظلاله على النفوس ليبعث الحزن إذا الحدث المؤلم ويولد الشكوى والأسى .  
ولقد كان موت ذي القربى ، والأجنة ، والأصدقاء ، مرا على قلوب الشعراء - فضلا - عن أنه دلالة حزن ، ومبعث شكوى ، فهو إلى ذلك تحذير للأحياء ، ونذير بموتهم ، خاصة والعصر يعج بالظروف العامة القاسية التي جعلت استقرار الإنسان ومعيشتة مهددة بأسباب الموت ، كل هذا جعل من الرثاء شكوى ، والتناقض والجوع والبؤس مؤشرات جديدة تدفع إلى القلق ، والخوف من المصير .  
ونعل الشريف الرضي - من أصدق شعراء القرن الرابع - حين كان يرى أن موت صديقه تحذيرا له ،

إذ يقول :

تَجَافَى الرَّدَى عَنهُ ، فَلَمَّا أَفْنَيْتَهُ  
فَسَرَّ بِهِ قَلْبِي ، فَغَالَ مَسْرَتِي  
أَرَى يَوْمَهُ يَوْمِي ، وَأَشْعُرُ فَقْدَهُ  
بِأَنِّي ، وَإِنْ طَالَ التَّلُومُ لِأَحِقِّهِ (٢)

والمتنبي إزاء الموت ، مؤمن صادق يدرك أنه " أت " لا محالة والكيس الذي لا يغتر بالدنيا ، وهنا يصبح

المتنبي ، كمن ينتظر مصيره ، فهي تفرق إذا جمعت :

نَبِكِي عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ  
جَمَعْتَهُمُ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا  
وَالْمَوْتُ أَتَى ، وَالنَّفُوسُ نَفَاسٌ  
وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ (٣)

ولعل هذه الفكرة من أكثر ما يبعث الشكوى ، والحسرة عند المتنبي ، فالدنيا لا تدوم على حال والموت

يعقب المسرات فيها .. ، لذا تكون المذات والسرور ، باعثا للوجع والحزن والغم حين يتيقن

١- سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

٢- ديوان الشريف الرضي ص-٢ / ٣٠٩ .

٣- م ديوان المتنبي ص-٣ / ٧٥-٧٦ .

صاحبها بأنها منتقلة عنه :

كذا الدنيا على من كان قبلي  
صروفاً لم يدمن عليه حالا  
أشد الغمّ عندي في سرور  
تَيَقَّن عنه صاحبه انتقالاً (١)

وتلح فكرة " الموت " على المتنبي بشكل كبير حيث ترد في شعره بوفرة ، فمرة يخاطبها بالعشق ولكن لا سبيل إلى الوصال ، وقد أعيت من كان قبلنا :

ومن لم يعشق الدنيا قديماً  
ولكن لا سبيل إلى الوصال (٢)

ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى بأن الدنيا كلها إلى زوال ، في محاولة لطرد الحزن ، وبث الأمل :

وما أحدٌ يخلد في البرايا  
بل الدنيا تؤول إلى زوال (٣)

والمتنبي دائم الإقناع لنفسه ، بأن الرحيل كمسافر لا بد له من أوبة ، ينتقل من أسلوب التقرير إلى التساؤل مالنا نخاف من الذي لا بد من شربه ، فالموت كأس يشربه كل حي ولا بد للإنسان من ضجعة في القبر ، لا حراك فيها ، ينسى فيها ما صدر منه من غرور وتيه ، وخيلاء ، وكربة موت ، وبروحه عند احتضاره :

لا بد للإنسان من ضجعةٍ  
لا تقلب المضجع عن جنبه  
ينسى بها ما كان من عَجبه  
وما أذاق الموت من كربة  
نحن بنو الموت ، فما بالنا  
نعاف ما لا بد من شربه (٤)

ومن دلائل ذلك ، أن المتنبي يشعر بالرحيل ، والتغير حتى في حالة عشق ، وساعات عزله ، حين يطلب من محبوبته بأن تزوده من حسن وجهها قبل تغيره ، وتصله في هذه الدنيا ، فإن المقام فيها يسير ، وهنا

١- م ديوان المتنبي ص ٣ / ٣٤١ .

٢- م ديوان المتنبي ص ٣ / ١٤١ .

٣- م ديوان المتنبي ص ٣ / ١٤٥ .

٤- م ديوان المتنبي ص ١ / ٣٣٦ .

تبرز نظرة المتنبي للموت بأنه لا محالة قادم ، وبسرعة قوية :

زودينا من حسن وجهك مادام

" م "

فحسن الوجوه حالّ تحول

وصلينا تصلك في هذه الدنيا

" م "

فإن المقام فيها قليل (١)

وحتى يخفف المتنبي من حزنه إزاء الموت ، ومن شكواه من جراء الرحيل ، يعيد فكرة الموت بأنها

نهاية كل حي :

إلى مثل ما كان الفتى ، مرجع الفتى

يعود كما أ بدي ، ويكرى كما أرمى (٢)

ويحاول المتنبي في فكرة الموت ، أن يلتمس المعنى الإيجابي للموت ، للتخفيف من شكواه والتقليل

من حزنه ، " وكل تفتيشه عن المعنى الإيجابي للموت أت من شعوره بأنه لا بد منه ، وهو تفتيش قصير

النفس لا يتابعه ، تحوطه المرارة من تصور العدم والقبر والتراب ، حتى أنه في أغلب مرثي رجولته

وكهولته لا يعزي ، بل يزيد الأحزان بما يفجر من التصورات للموت .

بل إننا نستطيع بسهولة أن نفسر البيت :

سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها

متعنا بها من جيئة وذهوب (٣)

على أنه تصوير للواقع وتعجب من كثرة الأحياء ، وكثرة ما سلب الموت من أرواح ، لا على أنه محاولة

تفهم لحالة الموت الإيجابية " (٤)

والدفن من معطيات الموت ، لذا نجد المتنبي يتحسر من جراء أننا ندفن الأموات ، ونمشي على رؤوسهم

بعد الموت ، لا نعتبر بذلك :

يُدفن بعضنا بعضاً ، وتمشي

أواخرنا على هام الأوالي (٥)

١- م ديوان المتنبي ص-٣/ ٢٦٨ .

٢- م ديوان المتنبي ص-٤/ ٢٢٧ .

٣- م ديوان المتنبي ص-١٧٥ / ١ .

٤- ينظر 'الخصول الفكري للمتنبي' سُهَيْل عثمان، ومينر كنعان ص-٦٦-٦٧ .

٥- م ديوان المتنبي ص-٣/ ١٥٠ .

غير أن فكرة الموت هاجس المتنبي، وصورته من خلالها مضطربة، فرغم الحرص الشديد على الدنيا، والتهافت على لذاتها، يحاول المتنبي، أن يقلل من شأن الحياة، وأمر الدنيا، حين يقبح أمر البكاء، زاعماً أننا نتباكى على غير رغبة في البكاء، فليس في الدنيا ما يستحق ذلك، وما الزمان وصروفه إلا الموت في سبيل الحرص على هذه الدنيا إلا ضرباً من القتل:

نُبكي لموتانا على غير رغبة  
تفوت من الدنيا، ولا موهب جزل  
إذا ما تأملت الزمان، وصروفه  
تبيقت أن الموت ضرب من الجهل (١)

وقد ترتفع حدة الشكوى عند المتنبي، حين يصف الموت بالغادر، وهل أكبر من أن يوصف الموت بالغدر:

غدرت يا موت كم أفنيت من عدد  
بمن أصبت، وكم أسكتت من لجب (٢)

ولعل المتنبي، في نهاية الأمر يسلم بحتمية الموت، وكل شكوى منه، هي محض تسلية، ومجرد استئناس بالأمل، ولو كان الخلود حق من حقوق الإنسان، لحسب الأبطال في المعارك من أضل الناس ولكن طالما أن الموت ليس منه مفر، فمن العيب أن يموت الإنسان جباناً:

ولو أن الحياة تبقى لحي  
لعددنا أضلنا الشجعانا  
وإذ لم يكن من الموت يدٌ  
فمن العجز أن تكون جباناً (٣)

ولعل المتنبي يقرر في شكواه من الدنيا، التي تنتهي بالموت، في قالب فلسفي، فهي تأخذ ما تعطي

، وتسترد ما تمنح:

أبدأ تسترد ما تهب الدنيا  
"م"  
فيا ليت جودها .. كان بخلا (٤)

وهو يوظف شكواه من الموت في طرائق تفضح عن نظراته لمن حوله، لذا حين يرثي أبا شجاع (٥)

١- م ديوان المتنبي ص ١٧٧ / ٣ .

٢- م ديوان المتنبي ص ٢١٦ / ١ ، واللجب: الصياح والجمة "اللسان" م / مادة "لجب" لسان العرب ص ٧٣٥ / ١ لابن منظور

٣- م ديوان المتنبي ص ٣٧٢ / ٤ .

٤- راجع ديوان المتنبي ص ٢٥٠ / ٣ .

٥- هو فاتك أبو شجاع صاحب كافور الإخشيدي ت ٣٥٦ انظر ترجمته في وفيات الأعيان ص ٢١ / ٤ لابن خاكان

يعكس نظرتة للحياة التي تتوازي مع طموحه ، فهي تصفو لجاهل ، أو لغافل ، وبينما الموت يأخذ مثل

أبي شجاع :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل  
عما مضى فيها وما يتوقع  
قبحاً لوجهك يا زمان فإنه  
وجه له من كل قبح برقع  
أيموت مثل أبي شجاع فاتك  
ويعيش حاسده الخصي الاوكع (١)

"ولعل أوجع صرخة فاه بها الشاعر الجبار في القنوط تلك الحكمة النازفة ، التي افتتح بها إحدى كافورياته

حين قال يخاطب نفسه " (٢)

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا  
وحسب المنيا أن يكن أمانيا (٣)

وهل هناك شكوى أكثر من أن يتمنى الإنسان الموت!؟

وهكذا تكون فكرة الموت عند المتنبي ، قد أخذت أبعاداً شتى ، انتهت بالشكوى من الحياة ، والشكوى من الموت ، فالبواعث النفسية ، والمشاعر والأحاسيس ، تلعب دورها في شعر المتنبي ، وتكشف دوافعه الصادقة ، كشافاً صادقاً إزاء الموت ليس بقصد انتفاء الإيمان به ، والتسليم بالقضاء والقدر ، وإنما لأن الحزن ، والشكوى ، اللذان يسببهما الموت ، يساعدان على القلق والحسرة وبالتالي افتقاده التوازن النفسي ، والاتزان العاطفي .

٢ - الشكوى من المرض :-

توطئة :

الإنسان في الحياة الدنيا ، لا يسير على وتيرة واحدة من الصحة والعافية ، لذا تنتابه الأمراض وتخلله الأسقام ، وإن كان البشر يتفاوتون في استقبال المرض ، ومتى التعرض له ، أو الشكوى منه . ويدخل المرض بما يفرزه من شكوى وأوجاع ، وتعب ، وشقاء ، ووهن وقلق ، ليشكل عبئاً نفسياً جديداً فيزيد إلى مصاعب الحياة ثقلاً ، وإلى هموم الشعراء همأ .

١- ديوان المتنبي ص٣/١٣-١٩ .

٢- المتنبي دراسة عامة \* لجورج غريب ص١١٩-١٢٠ .

٣- راجع ديوان المتنبي ص٤/٤١٧ .

ولعل المرض يتضاعف حين يكون المرض مدخلاً لشماتة الأعداء ، ونيل الحساد ، ولعل ذلك كان واضحاً في القرن الرابع الهجري ، فالسري الرفاء يظهر جلادته ، ويبرز صبره ، على مرضه ، ولكن عيادة

أعدائه له تزيد من شكواه ، وتفضح حاله :

اصبر على ترادف الضراء  
فلعل ذلك مؤذن بشقاء  
ما حال من لعب السقام بجسمه  
ظلماً ، فعض نفيسة الأعضاء  
حظر الطبيب عليه طيب غذائه  
وأباحه مكروه كل غذاء  
ويعوده أعداؤه وأشد من  
مرض المريض عيادة الأعداء (١)

والشكوى من المرض في شعر المتنبي قليل إذا ما قيس بشعر ، بل لا يتجاوز قصيدة ، أو أبيات ضمن قصيدة ، ولكنه اشتكى من الحمى (٢) ، فضخ فيها كثيراً من الآلام والشكوى والتعب ، واختزل فيها كل الأسقام التي كان صابراً عليها ، وكاتماً لأوجاعه ، وتناول إلى جانب ذلك المآسي التي تنتاب المرض ، وهي فوق ذلك " ليست " تجسيد حالة المريض بالحمى ، ولكنها إلى جانب ذلك تصور نوعاً من الحمى النفسية والفكرية " (٣)

وقد كان هذا الداء الطارئ ، مدخلاً للبوح بشجونه ، وتطلعاته ، والمصاعب التي يواجهها .

" وإذا كان مرض الحمى يردد جسمه ، ويغسله بالعرق في أوقات محدودة فإن هذا النوع الآخر من

الحمى النفسية والفكرية ، قد هز كل فكره وزلزل حلمه ، وهز يقينه "

والحمى التصقت بالمتنبي ، بالقدر الذي أفصح عنه الشاعر ، بذل لها المفارش ، والأغطية ، فأبت النوم

إلا في عروق المتنبي وعظامه :

بذلت لها المطارف والحشايا

فعاقتها ، وباتت في عظامي (٤)

وإذا كانت المصائب والنكبات - بنات الدهر - عند المتنبي ، فهو يسأل كيف وصلت الحمى إلى عظامه ،

١- ديوان السري الرفاء ص-١/ ٢٩٢ تحقيق د/ حبيب الحسي .

٢- كان ذلك في عام ٣٤٨ في مصر .

٣- ينظر " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص- ٩٩ .

٤- ينظر عالم المتنبي " د/ عبد العزيز دسوقي ص- ٩٩ . ٢/ الديوان ٤/ ٢٧٦ .

رغم كثرة الزحام :

أبنت الدهر عندي كل بنت

فكيف وصلت أنت من الزحام ؟ (١)

ولا يعيننا هنا ما قاله المتنبي في وصف الحمى ، بل ما يهمننا هو الآثار المترتبة ، والأسقام الناجمة عن هذا الداء العضال .

والحمى حين تسكن الأضلاع ، وتستوطن العظام ، تجعل المصاب بها طريق الفراش ، عليل الجسم ، عاجز

عن القيام ، حين يضيق الجسم عنها ، توسعه بمختلف الأسقام والأوجاع :

وملني الفراش وكان جنبي

يملُّ لقاءه في كل عام

عليل الجسم ممتنع القيام

شديد السكر من غير المدام

يضيق الجلد عن نفسي ، وعنها

فتوسعه بأنواع السقام (٢)

ومتى فارقت المتنبي غسلته - من خلال العرق - وكأنه مقيم على ما يوجب الغسل ، وكأن هذا العرق

دموعها حين الفراق فهي في الصباح تغادر ، ثم تحضر ولا تخلف الميعاد :

إذا ما فارقتني غسلتني

كأنا عاكفان على حرام

كان الصبح يطردها فتجري

مدامعها بأربعة سجام

ويصدق ، وعدها والصدق شرُّ

إذا ألقاك في الكُرب العظام (٣)

وكل ما ذكرت من هذه الأبيات ، التي تتعلق بالحمى ، هي في وجهها الآخر ، تُبين عن الشكوى ، والأمين

من وطأة الألم ، فالحمى زائرة ، جرحت كثير الجروح ، لم يبقى مكان في جسده إلا وفيه ما فيه ، وإن سلم

فهو يسلم من الموت إلى الموت :

جرحت مجرحاً لم يبقَ فيه

مكان للسيوف ولا السهام

وإن أسلم فما أبقى ، ولكن

سلمت من الحمام إلى الحمام (٤)

١-م ديوان المتنبي ص٤/٢٧٧ .

٢-م ديوان المتنبي ، والجزء ، ص٢٧٦ .

٣-م ديوان المتنبي ص٤/٢٧٦ - ٢٧٧ .

٤-المصدر السابق ، والجزء ص ٢٧٧ - ٢٧٩ .



ومما يضفي على هذه القصيدة ، مزيداً من الأهمية ، أن المتنبي كتبها ، "بعد أن تصرم من عمره ماتصرم  
فقد تجاوز سنة الخامسة والأربعين " (١)

وقد استطاع المتنبي في هذه القصيدة ، من خلال بيت واحد ، أن يقرن الهموم ببعضها، والطموحات بآمالها  
الكبار ، حين اشتكى من قلة الزائرين ، ومرض القلب و وفرة الحساد ، ومطالبة الصعاب ، التي زادت  
الحمى في انكسارها ، وتمزيقها :

قليل عاندي ، سقم فؤادي  
كثير حاسدي صعب مرامي (٢)

وبهذا تكون الحمى ، قد ثبتت من عزائمه ، وفتت في عضده ، ورسمت له دائرة من الحزن والشكوى ،  
إضافة للدوائر الأخرى ، " ونحن نعلم أن الحزن أحد معالم حياة أبي الطيب في كل مراحلها " (٣)  
وقد تزامن هذا المرض مع إقامته بمصر ، فكان مما يضاعف الألم ، يقول عمر فروخ " أصيب المتنبي  
وهو في مصر بحمى الربيع ، الحمى الراجعة ، لأنها تعود في كل أربعة أيام مرة " الملاريا " ، فقال يشكو  
المرض والألم ، وكنى عن الحمى بكلمة " زائرة " ، وليس في هذه القصيدة غير شكواه من المرض ،  
ومن إقامته في أرض مصر ، لا يحارب ولا يقوم بعمل عظيم " (٤)

ولكن هذا لا يمنعه من التعالي ، والكبرياء لتدل على الصبر والنسيان ، فالمريض يستره الصبر ، وإن حُم  
جسمه ، فما حُم طموحه ، واجتهاده وكفاحه ، لذا قال مصطفى الشكعة " كان الرجل مريضاً بالعظمة أكثر  
منه مريضاً بالحمى " (٥)

وقصيدة الحمى ، في شعر الشكوى من المرض عند المتنبي ، تمد المتلقي بأكثر من شكوى ، حيث  
اشتكى في هذه القصيدة من احتمالات نفسه ، وقسوة الزمان ، لذا " يتخذ المتنبي في خضم آلامه المرضية  
وضيقه بقسوة الملاريا .. .. وإحساسه بالقلق ، الذي لا بد قد اشتد تحت وطأة المرض ، موقف الذي

١- ينظر " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص ٩٨ .

٢- م ديوان المتنبي ص ٤ / ٢٧٦

٣- ينظر " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص ٩٨ .

٤- ينظر " تاريخ الأدب العربي " لعمر فروخ ص ٢ / ٤٦٨ .

٥- ينظر " أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين " د/ مصطفى الشكعة ص ٣٢٦

ضاق ذرعاً بالناس جميعاً ، فكلمهم في نظره فاسد الأخلاق مخادع ، الأمر الذي جعل منه هو الآخر إنساناً

مخادعاً مثلهم " (١)

فلما صار وُدُّ الناس خبا  
جزيت على ابتسام بابتسام  
وصرت أشك فيمن أصطفيه  
لعلي أنه بعض الأنام (٢)

وتبرز الشكوى من الحمى ، بالشكوى من الزمان ومصائبه ، إذ كيف وصل له هذا الداء رغم زحمة المتاعب والمصاعب ، ثم يتساءل هل يعود مرة أخرى لمطاعنة الأيام ، ممسكاً بعنان فرسه " ومن وصف الحمى ينعطف المتنبى إلى شكوى الزمان ، ومصائب الأيام ويتألم ويتعجب ، ويتساءل عما إذا كان مستطيعاً ثانية أن يعود - كما كان - فارساً يركب ويسافر ويحارب ، إن الشاعر يسبغ لونا من الحكمة على شكواه من الحمى " (٣)

أبنت الدهر عندي كل بنت  
فكيف وصلت أنت من الزحام  
ألا يا ليت شعَرَ يدي أتمسى  
تصرف في عنان أو زمام !؟ (٤)

وقد أكد المتنبى كثرة الأسقام ، ووفرة العلل ، غير أنه لم يشخص لنا إلا الحمى ، وقد ذكر في نص آخر هذا المعنى الذي يدل على أن الرجل ، كان ذا أسقام بحيث لا توجد شعرة في جسده إلا و هلهلها الأكم

والعرض :  
ومن جسدي لم يترك السقم شعرة  
فما فوقها إلا وفيها له فعل (٥)

وتصدر الشكوى من المتنبى ، بلفظها الصريح ، ولكنها شكوى من انتفاء الإحساس بالألم ، لأن هذا لا يتأتى إلا لمن له أعضاء تتألم وتشكو ، وقبل ذلك تحس وتدرك ، فهي شكوى أعضاء تموت ، وجسد يفقد الإحساس

١- نفس المصدر السابق ص- ٣٢٥ .

٢- م ديوان المتنبى ص- ٢٧٤ / ٤ .

٣- ينظر "أبو الطيب المتنبى في مصر والعراقين" د/ مصطفى الشكعة ص- ٣٢٨ .

٤- م ديوان المتنبى ص- ٢٧٧ / ٤ .

٥- م ديوان المتنبى ص- ٢٩٨/٣

من جراء الجهد الجهد ، والتعب المحض :  
وشكيتي فقدُ السقام ، لأنه

قد كان ، لما كان لي أعضاء !! (١)

وبهذا يكون المرض بما أثاره من شجون وآلام ، ساهم في إذكاء الإحساس بالشكوى ، حين جمع بين شكواه من سقام الجسد ، وسقام النفس ، المهمومة المتطلعة إلى روح الكبرياء ، ويصل البوح بالشكوى الأخيرة،

لدرجة بحيث يستر سقام الجسد وأسقام البدن . ويكون هو الخطاب البارز .

### ٣- الشكوى من الليل :

كان الموضع الطبيعي لشكوى الليل أن تكون داخلة في شكوى الزمان ، على

اعتبار أن الليل من معطيات اليوم ، ولكن نظراً لما يليق به الليل من غلالة سوداء و لون فاحم و إحساس بالخوف ، أحببت أن أجعله في موضع خاص .

فالليل يمثل مجموعة كبيرة من الشعراء باعثاً للمعاناة والشقاء ، ورمزاً للإحساس بالوحدة والخوف ، لأنه يغيض بوحشيته ، ويستثير بصمته ، ويشعل بظلامه الكئيب الحزن والألم والشكوى ، فتلهج السنة الشعراء بالهم ، وتبوح قرائحهم بالأسى والشكوى ، التي تعكس ما في دواخلهم من كربة ووجع بحرية مطلقة ، بعد أن ساهم الليل بسواده ، وصمته ، وظلامه ، بمرور المشاعر ، وإطلاق الخيال ، كملأ أمين للتصريح عن احتمالات الشكوى ، وتداعيات الحزن .

ولعل امرأ القيس إمام الشعراء في التداخل مع الليل ، وطموحه ، والشكوى منه حين قال :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي ، بأنواع الهموم ليبتلي (٢)

وقد استمرت الشكوى من الليل وطوله ، ووصلت إلى القرن الرابع - القرن الذي عاش فيه المتنبي -

بل إن الخباز البلدي شبه طول ليله بيوم القيامة ، بما يشكله من وحشة وضجر ، نظراً لإرتباط الليل

١- م ديوان المتنبي ص ١/ ١٤٢ .

٢- م "ديوان امرئ القيس" تحقيق مصطفى عبد الشافي ص ١١٧ .

بالهموم ، والأحزان وكذا كان الصنوبري ممن اشتكى وحشة الليل حين قال :

أعد عيني من السهر  
أعد قلبي من الفكر  
ومن ليل طويل لا  
يبيع الطول بالقصر  
أما لليل من فجر  
يضيء لأعين البشر  
متى أنظر إلى ليلي ال  
طويل حقيقة النظر  
تعادل ليلهم ميلاه  
وعندي لمحاة البصر

" يبدو الليل كثيفاً لسوداوية اللحظة في حياة الشاعر ، فالليل هنا ستار أسود طويل يحجب الشاعر عن

الحياة ، وبالتالي يصبح الليل هو " اللحظة " المعتمة التي يعيشها الشاعر بعيداً عن عوامل الإضاءة التي يرنو لها " (١)

وليل كواكبه لا تسير  
ولا هو منها يطيق البراحا  
كيوم القيامة في طوله  
على من يراقب فيه الصباحا (٢)

وخطاب الليل عند المتنبي يدخل في غيره من الشعراء ، فقد يقترن بقسوة الحبيبة وجفاء زيارتها ، وغدورها

فيطول البكاء ، الممزوج بالشكوى ، ويشابه شعرها الفاحم ، والبكاء طال طوال الليل ، والنجوم لا تعرف

الطريق ، حتى تذهب لتأتي الفجر " النور " ، وكأنها عمياء :

حكيت - يا ليل - فرعها الوارد  
فاحك نواها لجفني الساهد  
طال بكائي على تذكرها  
وطلت حتى كلاكما واحد  
ما بال هذى النجوم حائرة  
كأنها العمى مالها قائد (٣)

والشكوى من طول الليل وقصره في حالاته المختلفة " يقدم لنا وصفاً ضمناً لحالة الشاعر النفسية " (٤)

١-م شعراء من العصر العباسي الثاني بين الظل والتأثر د/عبد الله باقازي الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ مطابع الصفاء بمكة ص-١٠١ .

٢-انظر "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري ص-١٣٥/١ .

٣-راجع ديوان المتنبي ص-١٧٥ /٢ .

٤-ينظر " الزمن عند الشعراء قبل الإسلام " عبد الإله الصائغ ص-٢٧٣ .

واكثر ما يرتبط الليل بالهجر ، والفراق ، والهم ، بل لا يكاد يخرج عن ذلك ، فليله فراق الحبيبة سهر ،  
وعناد ، وكان السم الناقع ، أيسر ما يتجرعه الشاعر من قسوة الليل ، والخوف من سواده ، وقد اقترنت  
بالسهر والطول :

فياليلة ، ما كان أطول ، بثها  
وسم الأفاعي عذب ما أتجرع (١)

محبوب يخاف الرقيب ، ولا يقف وصف الليل وثقله ، وطوله إلى هنا ، بل أن الجو نفسه يكابد ما أكابد لذا  
صار السواد فيه شيء من الشحوب ، والليل يطول معه ، والأجفان متقلبة ، كأنها تعد على الدهر الخطايا  
والسيئات :

أعزمي : طال هذا الليل ، فانظر  
أمنك الصبح يفرق أن ينوبا ؟  
كان الفجر حباً مستترار  
يراعي من دجنته رقيباً  
كان الجو قاسي ، ما أقاسي  
فصار سواده فيه شحوباً  
كان دحاه يجذبها سهادي  
فليس تغيب إلا أن يغيباً  
أقلب فيه أجفاني ، كأني  
أعدُّ به على الدهر الذنوبا (٢)

والليالي - بكل سوادها وثقلها - تقف حائلاً بين المتنبى ، ومايهمُّ به من أفعال في المستقبل ، وما ينهض  
في طموحه من آمال ، فهي تطارد أحلامه ، وتطلعاته ، حتى لا يصل إليها ، وهو يطاردها ، حتى لا تقف  
حاجزاً في طريقه :

أ همُّ بشيء ، والليالي كأنها  
تطاردي ، عن كونه ، وأطاردُ (٣)

وقد يجد المتنبى في الليالي ، ما يبرر به فقره ، وذهاب ماله ، وهذا اعتراف منه ، ببروز الشكوى ، التي  
يلقي بتبعثها على الليل :

لم الليالي التي أخت على جيرتي  
برقة الحال ، واعدني ، ولا تلم (٤)

١-راجع ديوان المتنبي ص ٣٤٦ / ٢ .

٢-م ديوان المتنبي ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

٣-المصدر السابق ص ٣٩٢ / ١ .

٤-المصدر السابق ص ١٥٦ / ٤ .

وتمتد شكوى الليل - عند المتنبي - لتصل إلى الشكوى والتعب من سير الليل ، والمسير فيه ، فالسرى  
أضعف المتنبي ، وأهزله ، وكأنه سهم تنحته المدية ، حتى يصبح خفيفاً ، بلا لحم ، كذاك النفس الذي  
يخرج من الفم :

برتني السرى بري المدى ، فرددتني  
أخفُ على المركوب من نفسي جرّمي (١)

لعل طول الليل ، عند المتنبي ، هو ما يشكل قطب الرحى في شكوى الليل ، حيث لا يفتأ يذكره في أكثر  
أحزانه الليلية ، فلياليه متشابهة ، على أن ليل الآخرين يطول ويقصر - باختلاف الفصول - والتشابه بها  
مرده ، إلى فراغ الليل من الحبيب ، وشروء النوم ، وقلة الخليل ، بل يتجاوز الأمر ذلك ، لأن الليالي  
تعاكس الرجل ، بأن تعطيه بدر الدجى ، وتمنع منه بدر القلب ، وهو الحبيب :

ليالي بعد الظاعنين شكول  
طوال ، وليل العاشقين طويل  
تُبْنُ ليَ البدرَ الذي لا أريدُه  
ويخفين بدراناً ما إليه سبيل (٢)

وتمتد خطابه لليل - في هذه القصيدة - ليصل إلى معطيات الليل ، راجياً النجوم السائرات ، وغيرها  
مما يرشد ويهدي ، ليعلم وقت طلوع الصبح ، ليستريح من طول الليل ، وثقله ، وضخامته ، ولو كان  
يرى جمال الحبيبة ، وعينيها ، لافتتن بها وعشقها ، وأصابه النحول ، وأدركته رقة الجسم ، فتحسر ،  
وانكشف ، وقلت مدته :

أما في النجوم السائرات وغيرها  
لعيني على ضوء الصباح وليل  
ألم يرى هذا الليلُ عينيك رؤيتي  
فتظهر فيه رقة ونحول (٣)

" انظر إليه كيف يتحدث عن الليل والنجوم ، وعن الصبح والحبيب .. .. ، فسترى أن شكاة الشاعر  
مستمرة ملحة ، وأن حزنه عميق بعيد " (٤)

وقد رأى أحد الباحثين ، أن الليالي في هذه القصيدة ، ليست على ظاهر اللفظ ، بل إن "الليالي هنا هي

١- ديوان المتنبي ص٤٠ / ١٧٠ .

٢- المصدر السابق ص٣ / ٢١٧ .

٣- المصدر السابق ص٣ / ٢١٩ .

٤- م " مع المتنبي " د/ طه حسين ص٢٤١ .

حياة المتنبي وأحلامه وطموحه ... فجأة يحس أن كل شيء ظعن وارتحل وأن ليليه طالت وتشابهت

وتجمدت بعد هؤلاء الظاعنين . زمنه النفسي تجمد . وكذلك يتجمد زمن العاشقين عند النوى وظعن

الأحباب وارتحال لحظات الأتس والتلاقي .

وإذا كان ذلك حال العاشقين ، فكيف بحال الذين يعشقون فكرة كبيرة وحلماً عظيماً وأملاً ضخماً .

ويسارع المتنبي في البيت الثاني من هذا المشهد ليؤكد أن هذه الحبيبة التي ظغنت ، ليست امرأة جميلة

... وإنما هي الفكرة الحلم " ، والأمل العظيم ، الذي عمل في سبيله ، وارتحل في الأفاق كل هذا الارتحال،

ولكن في هذه اللحظة يحس أن الوصول إلى هذا الحلم مستحيل ، وأن أيامه ونضاله تبين له البدر الذي

لا يريد ، في امرأة جميلة ، أو مال أو عرض مادي مهما كان . وتخفي ذلك الحلم العظيم فليس إليه

وصول " (١)

ومثل هذا الرأي ، إن ملك حسن التوجيه ، فلم يملك قوة الدليل ، فهو رأي لا يقوم على شاهد ، ولا تنهض

إليه دقة وصواب .

ولا يكتفي المتنبي مع الليل بأن يطول ويسهره، بل إن السهاد يعشق عين الساهر مع ما وجد الهجر بينه،

وبين المحبوب طريقاً فيكون وصل السهاد ، مع هجر الحبيب ، الذي يشابه ممدوحه (٢) ، الذي تفوق على

الحبيب ، بعد أن جمع بينهما الضياء والعلو والبعد عن الناس ، فهو يشتكي إلى الذي لا يوجد له مشابه،

وهذا تصريح بالشكوى ، يقول :

كأن سهاد الليل يشق مقلتي

فبينهما - في كل هجر لنا - وصل

أحب التي في البدر منها مشايه

وأشكو إلى من لا يُصاب له شكل (٣)

وحالة السهر والتعب ، دائمة ، ملازمة ، ولعل السهر من أقوى معطيات الليل وهمومه ، فغاية الشوق

أن تكون بهذه الحالة من السهر والتعب والسهاد والإعياء يقول :

١- م " في عالم المتنبي " د/عبد العزيز الدسوقي ص ٥٦

٢- هو : شجاع بن محمد الطائي المنبجي .

٣- م ديوان المتنبي ص ٣ / ٣٠٠ .

أرقّ على أرق ، ومثلي بأرق  
وجوى يزيد ، وعبرة تترقرقُ  
جهدُ الصبابة أن تكون كما أرى  
عين مسهدة ، وقلب يخفقُ

وقد وصلت علاقة المتنبي بالليل والليالي بحيث أصبح العارف بها ، والمستعد لتقلباتها ، والمدرک لصنائعها  
فمهما دعت من الأمور ، لن يضيف ذلك شيئاً إلى علمه ومعرفته يقول :

عرفتُ الليالي قبل ما صنعت بنا  
فلما دهنتي ، لم تزدي بها علماً (١)

من كل الشواهد السالفة يتضح - بشكل جلي- أن الليل باعث للشكوى ، مثير للحزن ، ومُستدع للهموم ،  
في جانبه الأول ، أما جانبه الآخر فهو مشعل للحب والشوق ، ونايش للذكريات ، مولد للأسى .. ..  
فكان الليل المعتدي ، الذي دحاه المتنبي هموماً وشحوباً وشكوى .

#### ٤- الشكوى من الهجر :

مدخل :

الحياة اجتماع وافتراق ، وهذا ما يعطي الحياة مذاقاً يتردد بين الحزن والفرح ، والسعادة والغم ،

والسرور والأسى .

ولا أظن أن هناك عصراً من عصور الأدب خلا من شكوى الصدود ، وقسوة الهجر ، ومرارة الفراق ،  
وعناء البعاد .

ولعل القرن الرابع - عصر المتنبي - حفل بما حفل به غيره من الفترات الأدبية إذا لم يكن أخذ بحظ أوفر ،  
وقسط أكبر ، لأن الحبيبة في هذا القرن تمثل تطلعاً وحنيناً وحلماً مطلقاً إلى عالم متجاوز الجفاء ، ومحرر  
من قيود الهجر والصدود ، حتى تخفف من شدة الحياة ، وقسوة ضغوطها على إنسان القرن الرابع .

والمتنبي بكى من الحب ، واشتكى من الهجر ، وهو نوع من الغزل الباكي الحزين ، حيث يلجأ إليه الشاعر  
للتخفيف مما يعانيه من هجر وحرمان وما يحيك في صدره من حسرة ولهفة .

والشكوى من الحبيبة أول ما يطالعنا في هذا النوع من الغزل الباكي ، فقد كان المتنبي يشتكي من النوى ،

١-م ديوان المتنبي ص٤/٢٢٩ .



ويبكي ، وأصحابه يتعجبون من البكاء؟! ولكن هذه حالة حين كان لا يحجبه عنها سوى الستر والحجاب

في القرب ، فكيف لا يبكي النوى ، وهو صاحب صباية لا يحمل أي أمل في لقاء الحبيبة :

أشكو النوى ، ولهم من عبرتي عجب  
كذاك كنت ، وما أشكو سوى الكلل  
وما صباية مشتاق على أمل  
من اللقاء .. كمشتاق بلا أمل (١)

وحالة المتنبي مع الهجر والصدود ، صريحة فهو وإن أفرحه - أي الوصل - بيوم ، أجزئه بعدها بالهجر  
ثلاثاً ، يقول :

أي يوم سررتني بوصال  
لم ترعني ثلاثة بصدود (٢)

وقد ورد هذا الغزل في سياق الخطاب المذكر ، وهذا فن قديم ، بل " تقليد للعصر ولسابقه ... " (٣)  
ولكن آدم متر يشير إلى هذه الظاهرة بقوله : " إن الغزل الذي قيل في التوجع من هوى الذكر أن يعادل ما  
قيل في النساء على الأقل " (٤)

ولكن قول المتنبي هذا يحمل على أنه تقليد لسابقه من الشعراء الذين كانوا في شكواهم يخاطبون  
محبوباتهم بصيغة المذكر " فقد تحول النسب إلى هذا الفن ، وقلّ التشبيب بالنساء أو كاد ، وخفّ خطاب  
المذكر على ألسن الشعراء ، حتى رأينا من يصف محبوباً وهو يعني محبوبته ، كأن خطاب المذكر أخف  
في اللغة وأسهل في توجيه الضمائر والإشارات " (٥)

شكوى المتنبي من البين تتلمس أسلوب الحكمة ، فالجماعات تتفرق بعد الاجتماع ، والوقوف للوداع بين  
العاشق والمعشوق يزيد البث والحزن ، فالأجفان تقرحت من الدموع وحمرة الخدود تحولت بعد البين  
إلى خدود صفراء شاحبة ، وهذا حال الناس اجتماع وفراق وميت ومولود ومحب وكاره :

١- م ديوان المتنبي ص ٣ / ١٩٩ .

٢- راجع ديوان المتنبي ص ٤٤ / ٢ .

٣- ينظر " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التونجي ص ٢٠٩ .

٤- ينظر " الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري " لآدم متر ص ١٦٦ / ٢ .

٥- ينظر " النثر الفني في القرن الرابع " د/ زكي مبارك ص ١ / ١٩٧ وللتوسع في هذا المجال

يراجع " تاريخ الشعر العربي من دخول بني بويه إلى نهاية العصر العباسي " د/ محمد عبد العزيز الكفراوي ط ١ - القاهرة ص ١٣٢ / ٣ .

هو البين حتى ما تأتي الحزائيق  
ويا قلب حتى أنت ممن أفارق  
وقفنا ومما زاد بثاً ووقوفنا  
فريقي هوىً منا مشوقٌ وشائق  
وقد صارت الأجفان قرحى من البكا  
وصار بهاراً في الخدود الشقائق  
على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة  
وميت ومولود ، وقال ووامق (١)

والبين حين يرمي بلوعته ، وحسرتة وحرقتة على المتنبى يكون جار ، وما عدل والوجد يزيد ويقوى كما  
يقوى النوى ، والصبر يضعف وكما الجسم ، ومع ذلك يحيا رغم أن ما يقاسيه من الهجر يقتل يقول :

أحيا وأيسر ما قسيتُ ما قتلا  
والبين جار على ضعفي وما عدلا  
والوجد يقوى ، كما تقوى النوى أبداً  
والصبر يتحلُّ في جسمي كما تحلّا (٢)

بل يحدد أن الفراق هو طريق المنايا إلينا ، حين يطلب من حبيبته بأن وصلها له يجعله يتمسك بالحياة ،  
ويهوى العيش فيها ، أما مع الهجر والفراق ، فلا حياة تُرتجى ، ولا دنيا تُستطاب ، يقول :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت  
لها المنايا ، إلسى أرواحنا سُبلاً  
بما بجفئك من سحر صلي دَنَفاً  
يهوى الحياة ، وأمّا إن صددت فلا (٣)

ويؤكد هذا المعنى ، بأن الحياة بعد فراق الأحبة ، خالية من الفرح والسرور ، وكل ذلك ينز بالشكوى ،  
ولكن المتنبى يحاول أن يخفي ذلك ، بحمله الأمور الكبيرة ، وأنه معتاد على ذلك ، يقول :

وما عشتُ من بعد الأحبة سلوةً  
ولكنني للنائبات حمولُ (٤)

وتظل فكرة الوداع هاجساً في خيال المتنبى ، حين تذهب حشاشته حسرات في وداع أحبته ، فيقف حائراً

١-راجع 'ديوان المتنبى' ص ٨٢ / ٣ - ٨٣ .

٢-نفس المصدر ص ٢٨٢ / ٣ .

٣-المصدر نفسه ، والجزء ص ٢٨٢-٢٨٣ .

٤-نفسه ص ٢١٨ / ٣ .

من يودع أحبته أم بقية روحه ، يقول :

حشاشة نفس ودّعت يوم ودعوا  
فلم أدرأيّ الظاعنين أشيعُ (١)

وتصل فكرة القرب بأن تكون معادلاً موضوعياً للحياة ، فالفراق أعظم من الموت ، يقول :

الموت أقربُ مخلباً من بينكم  
والعيشُ أبعدُ منكم لا تبعدوا (٢)

وتتصارع الشكوى في المتنبي ، بين الظهور والخفاء ، حتى ما نهض البين والفراق ، وطفيا على السطح فتبرئ من الفؤاد ، إذا أظهر الشكوى ، يقول :

وأعلم أن البين يشكيك بعده  
فلست فؤادي أن رأيتك شاكياً (٣)

والهجر الذي يشتكي منه المتنبي ، لا ينحصر في دائرة الأحبة والحببية ، بل يتجاوز ذلك إلى الأهل ، والأصدقاء ، والأقارب ، فهذا العيد حل (٤) ، وهو بعيد عن أهله ويهواهم ، ولكن أين لقاءهم منه ، لذا فهو يندب ويبكي من يحب ، يقول :

يضاحك في ذا العيد كلُّ حبيبة  
حذائي ، وأبكي من أحبُّ وأندبُ  
أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم  
وأين من المشتاق عنقاء مُغربُ (٥)

ولعل في رثائه لجدته ، بعضاً من الشكوى حين بكى من هجرها - خيفة - عليها ، فذاق بذلك الثكل ، والفقد ، ولكن الهجر لا يقتل كل المحبين ، ولو كان يفعل ذلك لقتل كل أهل البلد ، لأنها محبوبته ، لكن الأمر أن الهجر يقتل فئة ، والمتنبي أحد هؤلاء ،

١- راجع 'ديوان المتنبي' ص-٢ / ٣٤٤ .

٢- نفس المصدر السابق ص-٢ / ٥٢ .

٣- نفس المصدر السابق ص-٤ / ٤١٩ .

٤- كان ذلك في شوال سنة ٣٤٧ هـ عند كافر بمصر .

٥- راجع 'ديوان المتنبي' ص-١ / ٣٠٧ .

بكيّت عليها - خيفة - في حياتها  
 وذاق كلانا تكل صاحبه قدما  
 ولو قتلَ الهجرُ المحبين كلهم  
 مضى بلدٌ باقٍ أجدت له صرما (١)

ولعل المتنبي في رثاءه لأبي شجاع فاتك (٢) يعطي للشكوى من الفراق مذاقاً ، ينبئ بأن الرجل كان يعيش حزناً وحسرةً وهماً بعد فراق - أصدقائه - فالميت يرثى ، ولكن الحي هو الذي يذوق مرارة الهجر ، وقسوة الفراق ويؤكد على فكرة أن الفراق أعظم من الموت ، فهو يجبن من البين ، ولا يجبن من الموت في الوغى والحروب ، يقول :

الحزن يُقلق ، والتجمل يردع  
 والدمع بينهما عصي طبع  
 يتنازعان دموع عين مسهد  
 هذا يجيء بها ، وهذا يرجع  
 النوم بعد أبي شجاع نافر  
 والليل مُعيب ، والكواكب طلّع  
 إني لأجبن من فراق أحبتي  
 وتحس نفسي بالجمام فاشجع (٣)

ويؤكد ذلك مع سيف الدولة - حيث يستشعر العدم بعد الفراق : حين فراق الأحباب ، فيقول :

يا من يعز علينا أن نفارقهم  
 وجداننا كل شيء بعدكم عدم (٤)

ويواصل المتنبي تأكيد الفكرة ، حين يضع كل المتاعب والمتوقعات والألأقي التي يواجهها من أهل محبوبته ، ولو وصل الأمر إلى القتل ، فهو أهون من الهجر ، سيما وهو الغريق ، كيف يخاف من البلل ، يقول :

والهجر أقتل لي مما أراقبه  
 أنا الغريق ، فما خوفي من البلل (٥)

ويتوالي لحظات الفراق ، وتتابع مواقف الوداع ، أخذ المتنبي يعتاد على الأمر ، ويتداوله بغير اكتراث ، فلا هو يستغرب الفراق ، ولا بيناً سيأتي ، لأن القلب كان عالم به من قبل :

وما استغربت عيني فراقاً رأيت  
 ولا علمتني غير ما القلبُ عالمه (٦)

١-راجع "ديوان المتنبي" ص ٢٢٨ / ٤ .

٢-توفي في ٣٥٠ هـ .

٣-راجع "ديوان المتنبي" ص ١٢ / ٣ .

٤-المصدر السابق ص ٨٧ / ٤ .

٥-راجع "ديوان المتنبي" ص ٢٠٠ / ٣ .

٦-نفس المصدر ص ٥٠ / ٣ .

وعندما يشكو المتنبي صراحة من الحب والهوى والهجر ، فإنه يببالغ بالشكوى حين يحدد شكواه ، بأنها فقد السقام ، فأعضاؤه منهكة وقلبه يحمل جرحاً واسعاً ، كأنه عين حبيبته الواسعة ، يقول :

وشكيتي فقد السقام لأنه  
قد كان لما كان لي أعضاء  
مثلت عينك في حشاي ، جراحة  
فتشابها كلتاها نجلأ (١)

ولعل في الشواهد الماضية ، ما يكشف الستار ، عن شكوى المتنبي من الصد ، والهجر ، وأحزان الفراق ولوعات الوداع .

ويتضح ذلك - أي الشكوى من الحب وتبعاته - عندما يصل المتنبي إليه ، فهو في الحرب ، فحماءه مستباح ، ولأعين النجل ، وقلبه مرمى كل ذي طرف ، حتى تذهب أعضاؤه ، عضواً عضواً فيصل إلى مرحلة " فقد السقام " .

### ٥- الشكوى من الشيب والكبر :

مدخل :

تعد الشعرات البيضاء التي تستوطن رأس المرء ، من أكبر العوامل الباعثة للحزن ، والمثيرة

للشجن ، وهي علامات يحس معها الإنسان بدنو أجله ، وذهاب نشاطه ، وحلول هرمه .

وغالباً ما يتزامن الشيب مع الكبر والشيخوخة ، فيكون المرء أمامهما محكوماً بزوال الشباب ، وذهاب

نضارة النشاط ، وحلول الضعف والوهن ، واكتئاب النفس ، وغيرها من أمراض كبر السن .

ولقد وقف الشعراء من الشيب موقفاً غاضباً ، متشائمين منه ، معلنين النفور منه ، والشكوى من اقترانه بهم . فراحوا يبكون شبابهم ، ويتفجعون عليه ، ويتمنون عودته .

ولعل القرن الرابع حفل بكثير من هذا الشعر ، لأنه عصر الشريف الرضي ، الذي يعد من أكثر الشعراء

الذين ردّدوا شكوى الشيب ، لأنه غزاه ميكراً ، وكيف لا يغزوه الشيب ، وقد شهد النوازل والخطوب ، يقول :

ألان جوانبي غمز الخطوب

وأعجلني الزمان إلى المشيب (٢)

والمتنبي ، أدركه الشيب ، واشتكى منه ، ولكن ليس بالصورة التي وصل إليها الشريف الرضي (٣) .

١-م "ديوان المتنبي" ص١/١٤٢/١٤٣ .

٢-ديوان الشريف الرضي / تحقيق إحسان عباس دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦١ ص ١٠٢ / ١ .

٣-للمزيد من إيضاح الأمر يراجع " الإغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي " لعزیز السيد جاسم ص١٤٥ .

والشيب داهم المتنبى في صباحه ، فوصفه بالضيف غير المستحي ، لذا فالقطع بالسيف أجمل له ، وأخرى به ، داعياً الله ، أن يذهب هذا البياض ، الذي لا معاني حميدة عنده ، ولا فعل جميل يأتي معه ، فهو أسود

- في عين المتنبى - من الظلام ، يقول :

ضيفاً ألم برأسي غير محتشم

والسيف أحسن فعلاً منه في الألم

إبعذ بعدت بياضاً - لا بياض له -

لأنت أسود في عيني من الظلم (١)

وحيثما يقترن الحب بالشيب ، ويتخذ من طفولة الشاعر ، مكاناً لهما ، يصباحا أكل المتنبى وشرايه ،

لكن مع هذه الحالة يبقى الشيب أقوى لأنه بلغ الحلم ، أما الهوى فهو طفل ، يقول :

بحب قاتلي ، والشيب تغذيتي

هوأي طفلاً وشيبي بالغ الحلم (٢)

ونظراً لما يحمله الشباب من نرق ، وطيش وخفة أصبح محبوباً مرغوباً ، بعكس الشيب ، الذي يحمل

الوقار والحلم ، لذا تجد المتنبى يقرر هذه الفكرة ، بقوله :

والمرء يأكل ، والحياة شهية

والشيب أوقر ، والشيبة أنرق (٣)

ولعل ما يبعث الخوف من الشيب ، هو دنو الأجل ، وقرب الموت ، فالشباب يضع الروح في حقيقتها ، أما

أيام الشيب فهي تنقل الروح إلى آخر ، غيره ، ليكون بديلاً عنه (٤) ، يقول :

وقد أراني الشباب الروح في بدني

وقد أراني المشيب الروح في بدلي (٥)

وشكوى المتنبى من مدهامة الشيب له ، في حداثة سنه ، دائمة ، خاصة إذا وافقت تعجباً من الحبيبة ،

لذا يبرر الشيب واستعجال ظهوره ، بأنه لا يعكس حقيقة المرء ، فلو أن الشعر يبدأ أبيض ثم يكون

عنوان الشيب الشعر الأسود ، لأستغرب الناس ظهوره ، فالشيب إذا حضر في وقت الصبا فهو بمثابة

١-م 'ديوان المتنبى' ٤/ ١٥٠ - ١٥١ .

٢-م 'ديوان المتنبى' ص ٤ / ١٥٢ .

٣-المصدر السابق ص ٣ / ٧٦ .

٤-الشرح / لأبن فروجة ن أورده العكري في شرحه ، يقول : { وأحسن ما يحمل عليه البدل في هذه البيت الولد ، لأنه بدل الإنسان ، إذ كان يتشيب أواق شيخوخة الأب ، وإذا مات ورثه ، فيكون بدله في ماله } ينظر شرح العكري ص ٣ / ٧٧ / ٧٨ .

٥-ينظر 'ديوان المتنبى' ص ٣ / ٢٠٢ .

الثام، الذي يستر حقائق الأمور ، يقول :

راعتك - رابعة البياض - بعارضي  
ولو أنها الأولى لراع الأسحم  
لو كان يمكنني سفرت عن الصبا  
فالشيب من قبل الأوان تلثم (١)

ولعل التبرير هذا يزيد ، بقدر الإنكار ليؤكد المتنبي أن الشعر الأبيض ليس موجباً للموت ، ولا السواد

بمنج من الهلاك ، يقول :

ولقد رأيت الحادثات ، فلا أرى  
يققاً يُميتُ ، ولا سواداً يعصمُ (٢)

والذكريات في عصر الشباب ، وقت الشيب تبعث الهم ، وتجلب الحزن ، فالمرء في شبابه كالثلثم لهواً  
وغفلة ، وفي المشيب غارقاً في هموم ضعفه وعجزه ، ومن هذا المشهد تصبح الحياة ، كالموت ، يقول:

إذا كان الشبابُ السُّكْرَ  
" م "

والشيب حمًا ، فالحياة هي الحمَام (٣)

وتصل كراهية المتنبي للشيب ، لدرجة يجعله فيها مساوياً للعمى ، فعينه إذا لمحت بياض الشعر ، وجدته  
في سوادها ، وإذا ابيض سواد العين عمى صاحبها ، ويقول :

متى لحظت بياضَ الشيب عيني  
فقد وجدته منها في السواد (٤)

ويصغ المتنبي قدوم الشيب بصبغة فلسفية ، - كعادته - فهو يرى أن يجزع على فقد الشباب ، إنما أشابه  
من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقي من المشيب لأن أمره بيد  
غيره " (٥) ، فالشباب هو الذي جلب الشيب ، يقول :

مُشِبُّ الذي يبكي الشبابَ مشيبه  
فكيف توقيه و بانيه هادمه ؟ (٦)

١-يراجع ديوان المتنبي ص ٣ / ٢٥٠ .

٢-ينظر "عناصر اللون في شعر المتنبي" د/عبد الله أحمد باقازي ص ٩٠ .

٣-يراجع "ديوان المتنبي" ص ٤ / ٥٢ .

٤-ينظر المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التونجي ص ٢٤٢ .

٥-يراجع "ديوان المتنبي" ص ٣ / ٧٦ .

وآلة الحياة الجميلة ، هما الصحة والشباب ، وعليهما مدار الراحة ، من هنا تأتي أهمية الشباب، وكرامية

الشيب ، بل التشاؤم منه ، فمتى ذهب الشباب ، وذهب العيش ، يقول :

آلة العيش صحة وشباب

فإذا وليا عن المرء .. ولي (١)

وعلاقة اللون الأبيض بالشيب علاقة متلازمة معه، قد قال أحد الباحثين " غير أن عشق المتنبي "للأبيض"

لونا للمجد والنصاعة والنقاء والعلواء جعله - فيما بعد - من رحلة الطموح يسخر من الشيب ، ويحبذ

الأبيض " شيباً " (٢) ... حيث قال :

وما خضب الناسُ البياض ، لأنه

قبيح ، ولكن أحسنُ الشعر فاحمه (٣)

ولعل المتنبي بعلاقته مع الشيب ، وبالتالي مع اللون الأبيض ، عاش مرحلتين ، تمثل المرحلة الأولى ،

تخوفه من ذهاب الشباب ، حذراً من فراق الطموح والحيوية ، رغم أن الشعر الأسود يغطي رأسه ، وهو

تخوف سابق لأوانه ، مما يدل " على توجسه المبكر من مزاحمة هذا اللون الغريب لشعره الأسود " (٤) ،

يقول :

ولقد بكيت على الشباب ، ولمَّتي

مسودة ، ولماء وجهي رونق

حذراً عليه قبل يوم فراقه

حتى لكدت بماء جفني أشرق (٥)

فنظرة المتنبي هنا نظرة المتأمل الذي كاد يشرق بدموعه خوفاً على ضياعه وهو في نهار الشباب ، ولعل

همومه الثقيلة في تلك المرحلة، انشغاله بالإعداد للثورة أصاب وجدانه بالفضون والهموم، فأحس بالشيب

النفسي المبكر ، وهو لا يزال في نضارة الصبا " (٦)

ويعلق أحد الباحثين على هذين البيتين بقوله : " ولعله - أي المتنبي - هو لا يعرف لماذا يبكي الشباب

١- ينظر " مع المتنبي " د/ طه حسين ص ٧٤ .

٢- ينظر "عصر اللون في شعر المتنبي " د/عبد الله أحمد باقازي ص ٩١ .

٣- م " ديوان المتنبي " ص ٣١٥ / ١ .

٤- المصدر السابق ص ٣١٥ / ١ .

٥- ينظر "عصر اللون في شعر المتنبي " د/عبد الله أحمد باقازي ص ٩١ .

٦- ينظر " عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص ٤٠٤



ولا يرى أنه إنما يبكي الشباب لأنه في حاجة إلى البكاء ليس غير ، كما هو يشكو العشق لأنه في حاجة إلى الشكوى ليس غير " (١)

وفي مرحلته الأخرى، صدح المتنبي بحبه للبياض ، لـ " يصبح الشيب " محبباً مادام يحمل "اللون الأبيض" لون المجد والنقاء والنصاعة " (٢) فاللون هنا أمنية من أماني المتنبي، وكأنه يتمنى الشيب من قديم يخفي شبابه بابيضاض شعر رأسه ، لأنه ذلك أوقر وأجل في البصر ، يقول :

مَنْى كُنَّ لِي أَنْ الْبِيَاضُ خِضَابُ  
فِيخْفِي بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ (٣)

ويؤكد ذلك بأن المشيب ، كان من أيام الشباب أمنية له ، فحتى لو كان الشباب فتنة وفخراً للنساء ، فهذا الفخر عيب ، فالعفيف من يبتعد عن النساء ، ويرغب عن وصالهن ، يقول :

ليالي عند البيض فودائى فتنة  
وفخرٌ ..، وذاك الفخر عندي عاب

وينفي عن نفسه شكوى الشيب ، وهو نفي يؤكد الشكوى لا ينفي ، لأنها محاولة لإقناع نفسه ، بأن هذا الأمر أمنيته، فكيف يذمه ويشكو منه ، فالبياض في الشيب يحاكي ضوء النهار ، حين يجلي عنه الضباب ، يقول :

فكيف أذمُّ اليوم ما كنتُ أشتهي  
وأدعو بما أشكوه حين أجاب  
جلا اللون عن لون هدى كل مسلك  
كما إنجاب عن ضوء النهار ضبابُ (٤)

بعد هذا النص يمكن أن نواجه قول أحد الباحثين بأن " يصبح الشيب " محبباً مادام يحمل " اللون الأبيض " لون المجد والنقاء والنصاعة والعلواء " (٥)

وهكذا تتجاذب المتنبي فكرتان ، حول الحنين إلى الشباب ، والرضا بالشيب تارة يتضجر ، وتارة يستسلم

١- ينظر " مع المتنبي " د/ طه حسين ، ص ٧٤ .

٢- ينظر " عنصر اللون في شعر المتنبي " د/ عبد الله باقازي ، ص ٩١ .

٣- م " ديوان المتنبي " ص ٣١٥/١ .

٤- المصدر السابق ، ص ٣١٥/١ .

٥- ينظر " عنصر اللون في شعر المتنبي " د/ عبد الله باقازي ، ص ٩١ .

للأمر ، وفي نظرة واقعية يكابر على المسلمات ، بأن الشيب والشباب لا فرق بينهما ، ولكن يحن إلى الشيب ، بشكل حميمي كبير ، حتى لو عاد إلى الصبا ، لبيكى مفارقة الشيب ، يقول :

خَلَقْتُ أَلُوفاً ، لو رحلتُ إلى الصبا  
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا (١)

ولعل هذا البيت يحمل كمية من الوفاء ، الذي يتمتع به المتنبي ، لأنه راهن على أكبر أمنية يتمناها الإنسان، وهي عودته للشباب ، ليؤكد على مقدار وفائه .

ولعل في النماذج السابقة ما يوضح بجلاء شكوى الشيب عند المتنبي ، وإن أنكر ذلك ، إنكار المكابر ، وتبرير العاجز ، فكل الشواهد تتسم بطابع اليأس والتشاؤم ، وتنم عن صدق العاطفة ، لأن الشكوى هنا تنبع من إحساس صادق تجسد حجم هذا الداء وشدة وطأته .

## ٦- الشكوى من المكان و الغربة :

مدخل :

يألف الإنسان المكان الذي عاش فيه ، ويحن إليه ، متى دفعته الظروف لتركه .

والقرن الرابع باضطراباته، وأحواله، دفع الشعراء إلى هجر أوطانهم تغرباً ، وذلك أما دفع أمر، أو لتحقيق مطلب . إلا أن الشاعر في هذه الحالة يستمر في ذكر وطنه ، متعلقاً بترابها ، مهما ابتعد عنها ورحل ، متناسي بذلك الظروف ، وتقلب الأيام . فالغربة التي يعيشها الشاعر ، هي غربة المكان ، وغربة الذات ، وتصل أحياناً إلى غربة المجتمع بأسره ، الذي يتحكم فيه أناس دخلاء ، وأقوام غرباء عنه . وإزاء تلك الظروف والضغط ، وجد الشاعر نفسه أمام غربة نفسية ووطنية ، بدت بثقلها حادة عميقة ، لتتحول القصائد إلى آلام وأنات ، تفوح بالشكوى الصارخة ، وتتسم بالأسى واللوعة .

و" الموقف من الطبيعة والمكان مرتبط بنوعية التعامل مع الأرض " (٢) لذا نجد الشعراء ينطلقون في الحنين إلى أوطانهم بقدر التعامل مع هذا التراب ، وبحجم الإرتباط به .

ولعل المتنبي من أبرز الشعراء الذين أحسسوا بالغربة، واشتكوا منها ، فلقد سيطرت على شعره، وتقاربت

١-م "ديوان المتنبي" ص٤٠ / ٤٢١ .

٢-ينظر "حركة الإبداع" دراسات في الأدب العربي الحديث ، د/خالدة سعيد ص٢٩ .

عنده في الصور والمعاني ، طافحة بالشكوى المفعمة بحرارة العاطفة الصادقة ، والإحساس الباكي ، ويكاد يدور في شكواه لغربته ، حول محور "الرحيل الدائم" ، وانتقاله من مدينة لأخرى ، ومن مكان إلى آخر ، زاده في ذلك الطموح والأمل والهموم ، فهو دائماً "على قلق" لا يحاول الإقامة في أرض ، ولا يرحل عنها لأن الرحيل لمن أقام ، وهو لا يقيم ببلد ، كأنه على ظهر الريح ، يقول :

فما حاولت في أرض مقاماً  
ولا أزمعت في أرض زوالاً  
على قلق ، كأن الريح تحتي  
أوجهها جنوباً أو شمالاً (١)

وقد يتجرد المتنبي من المكان ، ويتنكر إليه ، ويكابّر بأنه غني عن الأوطان ، لا يشده الرجوع إليها ، يقول :

عني عن الأوطان ، لا يستفزني  
إلى بلد سافرت عنه إياباً (٢)

ولكن هذه المكابرة والغنى عن المكان سرعان ما تنكشف أنها محض دعوى ، بل صراع في نفس المتنبي حول الاستفزاز وعدمه ، يؤكد ذلك ، أن الوطن مصدر التعلل ، بل من أهم مصادر الاستقرار ، يقول :

بم التعلل ، لا أهل ، ولا وطن  
ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن

وترتبط الغربة عند المتنبي حين تبرز في شكواه التي تنطوي على شعوره القومي ، وذلك خلال إقامته في مصر ، وإحساسه بالغربة ، وسط المماليك ، الذين يشعر الإنسان بأنه يتيم بينهم ، يقول :

أما في هذه الدنيا مكان  
يسر بأهله الجار المقيم  
حصلت بأرض مصر على عبيد  
كأن الحر بينهم يتيم (٣)

ويؤكد هذه الأحاسيس العربية ، التي تلازمه في سفره وغربته ، حين عصفت به عواصف الغربة في مكان

١-م \* ديوان المتنبي \* ص٣٤١ / ٣ .

٢-م \* ديوان المتنبي \* ص٣١٦ / ١ .

٣-المصدر السابق ص٢٨٢ / ٤ .

لا أثر فيه للعرب ، أو العروبة ، (١) لذا أخذ يتحسر و يصرح بالغربة فقال :

مغاني الشعب طيباً في المغاني  
بمنزلة الربيع من الزمان  
ولكن الفتى العربي فيها  
غريب الوجه، واليد، واللسان (٢)

ولعل شعور المتنبي بالتميز ، والفوقية ، من معطيات الإحساس بالغربة ، فالنفيس قليل المرافق ،  
والمساعد ، فالغربة هنا هي شعور بالوحدة وسط المجتمع " لفقد النظير ، لا لفقد النسب " (٣) ، يقول :

وهكذا كنتُ في أهلي ، وفي وطني  
إن النفيس غريباً حيثما كانا (٤)

" فكان اغترابه عن المجتمع إحدى وسائله في التعبير عن ذاتيته في إطار من هذا البعد النفسي " (٥)  
بل يعتبر كثرة الترحال المستمر الذي يعكس منه جانبا موقفه العام من البقاء في مكان " ما " ، وكأنه  
لا يطيب له هذا الاستقرار إلا أن يرحل دائماً ، ليعكس بذلك قلقه وحيرته " (٦)

لذا هو في غربة دائمة ، ولعل قصيدته في سيف الدولة (٧) ، التي "بدأها بدم المكان الذي لا يجد فيه الأمن  
النفسي بل يجد فيه الحاقدين والحاسدين" (٨) يعكس جانباً من الحركة المستمرة ، والسفر المتواصل ،  
يقول :

أرى النوى تقضيني كل مرحلة  
لا تستقل بها الوخادة الرسم (٩)

والأطال بما تثيره من ذكريات تحضر في ذهن المتنبي ، فيبوح بالشكوى لها ، والحنين إلى أيام الإقامة  
بها ، " على أن الديار ، وإن أفقرت من الأحبة ، فالقلوب لا تزال أهلة بالوجد والذكريات " (١٠)

١- كان ذلك "شعب بون" سنة ٣٥٤ .

٢- انظر "ديوان المتنبي" ص-٤ / ٣٨٣ / ٣٨٤ .

٣- ينظر "ديوان المتنبي" ص-٤ / ٣٥٤ .

٤- ينظر "ديوان المتنبي" ص-٤ / ٣٥٤ .

٥- أنظر "مداخل فكرية ونفسية إلى المتنبي" د/ عبد الله الططاري ص-١٥٢ .

٦- المصدر السابق ص-١٥٠ .

٧- كان ذلك سنة ٣٤٢ هـ .

٨- ينظر "عالم المتنبي" د/ عبد العزيز الدسوقي ص-٥١ .

٩- ينظر "ديوان المتنبي" ص-٤ / ٨٨ .

١٠- ينظر "المتنبي دراسة عامة" لجورج غريب ص-٢٢٥ .

" فالقلوب لها منازل للمنازل " ، وقد يتجاوز الأمر من الشكوى ، إلى البكاء ، فالدموع تذرف ، حين تدعوها الأطلال ، فتستجيب قبل الأصحاب والركاب ، يقول :

أجاب دمعي ، وما الداعي سوى ظلل  
دعا ، فلبّاه ، قبل الركب والإبل  
ظلمات بين أضيحابي أكفكفه  
وظلّ يسفح بين العذر والعذل (١)

وتتجلى أهمية المكان بما يضمه من أهل وأحاب وأصحاب ، وبما تحويه جنباته من ذكريات وأيام ، فالمكان يشعر بالموت حين يهجره أهله وساكنوه ، يقول المتنبي :

لا تحسبوا ربكم ، ولا ظلله  
أول حَيٍّ فراقكم قتله (٢)

ولعل الحوار مع الطلل يتخذ بعداً من المحادثة المتغلغلة في إمكانية البكاء من عدمه ، حين يكون ثالث الثلاثة ، المتنبي والإبل والطلل ، يقول :

إثّلت فإنا أيّها الطلل  
نبكي وترزم تحتنا الإبل (٣)

فالشكوى هنا تتحول إلى بكاء ، يأخذ طابع المشاركة بين الثلاثة ، وإذا اعتذر الطلل ، فلا عتب ، فالطلول من عاداتها عدم البكاء ، يقول :

أو لا فلا عتبّ على طلل  
إن الطلول لمثلها فُعْلُ (٤)

ويتولى المتنبي عن الطلل الإجابة ، فهو يعتذر ، بأنه أحد الذين قتلوه الأحبة بفراقهم ، وكان الفراق قتل الطلل ، يقول :

لو كنت تنطق قلتَ معتذراً  
بي غير ما بك أيّها الرجلُ  
أبكاك أنك بعض من شَغَفُوا  
لم أبك ، أني بعض من قتلوا (٥)

١- يطر "ديوان المتنبي" ص ٣ / ١٩٨ .

٢- يطر "ديوان المتنبي" ص ٣ / ٣٨١ .

٣- يطر "ديوان المتنبي" ص ٤ / ١٥ .

٤- يطر "ديوان المتنبي" ص ٤ / ١٦ .

٥- يطر "ديوان المتنبي" ص ٤ / ١٦ .

وقد تتحد الهموم مع الذكريات ، في مرتع التصابي ، الذي تحوّل إلى ظلل بال ، ومنزل مهجور ، فالدمن المتكاثرة والهموم المتناثرة في عرصات المكان بعدد اللّوم ، كل هذا يجلب الموت قبل وقت الموت ، يقول :

ذِكْرُ الصَّبِيِّ ، ومراتع الأرام  
جلبت حمامي ، قبل وقت حمامي  
دُمْنُ تكاثرتِ الهمومُ عليّ في  
عرصاتها ، كتكاثر اللّوام (١)

ولعل ما يشجي المتنبي ، ويبعث المتاعب له في ذكرى المكان ، هو ذلك الحنين الجارف ، وحميميته الأليفة للديار ، والأحباب والأماكن ، رغم أنه ينكر ذلك ، إلا أنه يصرح بهذه الألفة ، وهذا التداخل مع الأشياء التي حوله ، يقول :

خلقت ألوفاً ، لو رحلت إلى الصبا  
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا (٢)

ومن هنا تتضح إشكالية شكوى المكان عند المتنبي ، وتسفر في وجهها الحزين . ولعل هذه الألفة ، جعلت الوقوف على الأطلال والبكاء عندها ، والشكوى إليها ، والكآبة حين رأيتها ، لما تثيره من موجع وذكريات ، جعلت الوقوف - رغم كل هذه الموجع - أمراً راسخاً في الذهن ، بحيث يدعو المتنبي على نفسه بأن يبلى بلى الأطلال ، إذا لم يقف بها وقفة طويلة ، كتلك التي يقفها من أضاع في التراب خاتمه ، وهو على قدر كبير من البخل ، ولا أحد يعاتبه على هذا الوقوف من عداله ، ومرافقيه لأنه " كئيب " ، يمكن أن يصدر منه أي عمل ، كما يصدر من الخيل غير المروضة ، يقول :

بليتُ بلى الأطلال إن لم أقف بها  
وقوفاً شحيح ضاع في التراب خاتمه  
" كئيباً " توقاني العواذل في الهوى  
كما يتوقى ريبض الخيل حازمه (٣)

وليست الأطلال ببقائها ، وآثارها ، ورسومها ، ما تثيره في المتنبي من شكوى المكان ، والحزن على ما اجتراه فيه من أفعال ، أصبحت بمرور الزمن ذكريات تنبش الألم ، وتعيد زمن الوصل ... ، بل قد

١- ينظر "ديوان المتنبي" ص-٤ / ١١٩ - ١٢٠ .

٢- ينظر "ديوان المتنبي" ص-٤ / ٤٢١ .

٣- راجع "ديوان المتنبي" ص-٤ / ٤٦ / ٤٧ .

يخاطب المتنبي الحيوان في مكان تجتمع فيه الشكوى ، مع التعب ، في الفراديس (١) ، حين سمع زئير الأسد ، أخذ " يخاطب أسود هذا المكان فيقول : هل يكون من جاورك مكرماً عزيزاً فأطمئن إلى جوارك ، أم يكون مهاناً مخذولاً؟! إن أعدائي كثير فهل ترغيبين في معاهدتي على ما أريده من جوارك ، فإني أعلم منك بالتصرف في كسب المعاش كأنه يرغبها في مجاورته " (٢) ومثل هذه الشكوى تعطي معطياً آخر من الشكوى ، وهو شكوى الأصدقاء ، فلا تستعين بالأسد إلا من قل مساعدة ، فأصبح رصيده من الخلان يقول :

أجارك - يا أسد الفراديس - مكرمٌ  
 فتسكن نفسي ، أم مهان فُسَلِّمُ؟!  
 ورائي وقدّامي عداةٌ كثيرةٌ  
 أحاذر من لصٍ ومنكٍ ومنهمُ  
 فهل لك في حلفي على ما أبدؤهُ  
 فإني بأسباب المعيشة أعلمُ (٣)

ويرى أحد الباحثين أن مقدمات المتنبي الظلية تحمل عنصر المبالغة ، لذا تفتقد في نهاية الأمر صدق العاطفة ، فقد وقف المتنبي على الرسوم والأطلال كما وقف غيره ، وذرف الدموع في الربوع الخالية شأن الشعراء المقلدين، وعلى الرغم من ثورته على هذه العادة المتبعة فإنه لم يكن صادقاً في ثورته " (٤) ولكن المتنبي يذكر الأطلال ، والمؤثرات التي تجتاحها ، على عادة أسلافه ، لكنه يربطها بصورة من الدهشة والتجديد ، عندما يجانس بين المطر ، مثلاً ، الذي درس آثار الديار والمكان وبين السقم الذي اجتاح جسده الهزيل ، الناحل ، فالديار تشكو إليه ، وهو لا يشكو إلى أحد ، لأن الأطلال هامة جامدة ، يقول :

ولا الديار التي كان الحبيب بها  
 تشكو إليّ ، ولا أشكو إلى أحد  
 مازال كل هزيم الودق ينحلها  
 والسقم ينحلني ، حتى حكك جسدي (٥)

وهنا نلمس الصدق في العاطفة ، والجدة في الطرح ، حين مثل المتنبي عناصر الثقافة المتنوعة في شعره

١-الفراديس : موضع بالشام .

٢-ينظر " المتنبي دراسة عامه " لجورج غريب ص ٣٣١ .

٣-راجع " ديوان المتنبي " ص ٢١٤/٤ .

٤-ينظر " لغة الحب في شعر المتنبي " د/ عبد الفتاح صالح نافع ص ١١٥ .

٥-راجع " ديوان المتنبي " ص ٧١/٧٠ /٢ .

فأصبحت قصيدته " لم تعد تعبر فقط عن خواطر وجدانية ، بل أصبحت تعبر أيضاً عن ثقافة ، حتى تظفر بالنجاح في بيئات العلماء والمتقنين " (١)

ولعل في الشواهد الماضية ما يكفي لإبراز الشكوى من المكان ، الذي يضم الوطن والذكريات والحببية والأهل ، عند المتنبي ، حين رسم الشعر عنده صوراً تطفح بالحياة ، وتضج بالشجون ، ولقد تلازم الطلل أكثر ما تلازم بالمرأة " الحبيبة " ، فوقف المتنبي من ذلك " الحزن " يروي نشيداً شجياً ، يشرح حكاية الوجد في حنينه وشوقه ، ووجعه وحزنه ، وصدر بها مقدمة قصائده كشاهد على حضور المرأة ، ومكانتها في فؤاده .

## ٧- شكوى السجن :

مدخل :

أسهمت العوامل المحيطة بالمجتمع التي شهدها البشر على مر العصور على ظاهرة السجن ، كعقوبة رادعة ، وجزاء مستحق .

ولكن هذا لا يلغي الظروف الأخرى ، التي ساعدت على انبثاق هذا .. الوضع " مثل مقاومة الظلم ، والوقوف من وجه التعسف ، ورفض امتهان مصائر الناس .

ولعل أقوى العوامل في الحروب ، والإختلاف على القضايا المصيرية ، والتي يعقبها دائماً السجن أو الأسر ، وهذا ما جعل القرن الرابع يحفل ببروز مثل هذا اللون من الشكوى ، التي ترفض السجن ، وتشتكي من الأسر .

وشكوى السجن عند المتنبي ، لا تساير بقية الأبواب ، فهي يسيرة إذا ما قورنت بأي شكوى أخرى .

ويزيد من تقليل قيمة هذه الظاهرة عنده ، كونها معاصرة لظاهرة الأسر التي وقع فيها الشاعر أبو فراس الحمداني (٢) " والذي " أورث في موضوع السجن قصائد كتب لها حظها في الخلود " (٣) ، " ذل الأسر جعل للأسير روحاً معنوية عالية ، لقد كان أسره نعمة على الأدب العربي بهذا الشعر الرائع المتدفق من العاطفة "

١- ينظر " الفن ومذاهبه في الشعر العربي " د/شوقي ضيف ص ٢٠٧ .

٢- هو الشاعر /أبو فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ هـ ، ابن عم سيف الدولة ، راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ١١٤ .

٣- ينظر " حصاد السجن " للشاعر أحمد الصافي التجفي ص ٥٠ .



ولا يقل في جودته وجماله عن أي أدب عالمي " (١)

والشكوى من السجن في مجملها تشكل إنعكاساً نفسياً لحالة الشاعر السجين ، وقد ارتبط الأدباء بالسجون

منذ زمن بعيد إرتباطاً تختلف باختلاف العصور والظروف والشعوب . (٢)

والمتنبي أحد الذين سجنوا لمواقفهم السياسية في طلب الملك ، لأنه لما " شعر ويرع وبلغ من كبر نفسه

وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائيشي نبلة ، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده ، وحين

كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه

وتقييده " (٣)

وقد تعددت الروايات حول حبسه (٤)، ولكن الذي يعنينا هو الشكوى من الحبس ، والإتكسار حين دخل

السجن ويقول أحد الباحثين : " ونرى - من دراستنا لقضية نبوعته - أنه سجن بها لقرب القضيتين من

بعضهما بعضاً ، النبوة والسجن ، ولأنه لم يصرح بالتهمة التي سجن من أجلها ، ولم تعرف له مشكلة

يمكن أن تدخله السجن غيرها ، وللغموض الذي كان يكتنف حياته الأولى ، وتقريع الناس له على قضية

نبوعته حتى آخر حياته ، ولما شاع ذكره بأرض سلمية من عمل حمص في بني عدي ، قبض عليه

ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها " كوتكين " . وأمر النجار أن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من

خشب الصفصاف ، وفي ذلك يقول المتنبي :

زعمُ المقيمُ بكوتكين بأنه

من آل هاشم ابن عبد مناف

فأجبتَه : مذ صرتَ من أبنائهم

صارتَ قيودهم من الصفصاف

وفيهما دليل على النبوة أيضاً ، وهي غيرة آل هاشم على الدين " (٥)

١- ينظر " شعر أبي فراس الحمداني " دراسة فنية " لماجولين بيسو ص ١٢٤ .

٢- للمزيد في هذا الموضوع يراجع " أدباء السجون " لعبد العزيز الخلفي المطبوع سنة ١٣٨٥ هـ ، وكتاب " الأسر والسجن في الشعر العربي "

للدكتور / أحمد مختار البزرة ، رسالة دكتوراه

٣- ينظر " يتيمة الدهر " للنعالي ص ١٤١/١ .

٤- ومن أبرز التهم أيضاً ، التي وجهت إليه ، ادعاء النبوة ، غير أن من يقف على شعره الذي قاله في هذا الصدد يلحظ خلوه من أية إشارة لذلك ،

لذا أكتفي برأي صاحب اليتيمة لكونه من معاصريه . وللمزيد ينظر " تاريخ بغداد للبغدادي ص ١٠٤/٤ .

٥- المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التومحي ص ٤٣ . علماً بأن البيتين لم أجدهما لا في شرح الديوان للعسكري ، ولا شرح الديوان

للبرقوقي ، بل هما في حاشية الديوان بشرح البرقوقي ص ٢٣/٣ .

ومع كل هذا يظل الدافع الأقوى لدخوله السجن هو ما ذكره الثعالبي .

وكل ما ذكره المتنبي من شعر في السجن هو قصيدتان ، ولكن يحملان من الأهمية في الشكوى عند المتنبي صورة واضحة ، فقد زج به " في السجن سنة ٣٢٢ هـ على الأغلب ، ليقتضي فيه عامين . ولما دخل السجن كانت نفسه مشبعة بالطموح والعلاء بادئ الأمر " (١) ، ولم يعبأ - أول أمره - بالسجن ، فقد كان محتفظاً بكبريائه على الرغم من قسوة الأشياء عليه ، فصورة الإيذاء لازمتها في سجنه ، وأظهر تحمّله على مضمض إهانة الحبس ، يظهر ذلك من محادثته لسجّانه ، ومحادثته للسجن ، مستهيناً بالسجن ، مستحماً للمتاعب ، وإذا قبل الطعام من أبي دلف (٢) ، فهو لسد الرمق ، وقتل الجوع الذي يجعل الأسود ترضى بالجيف ، فالسجن عنده مقر الأبطال ، كما أن الدر يحبسه الصدف الذي لا قدر له ، يقول :

أهون بطول الثواء والتلف  
والسجن والقيد يا أبا دلف  
غير اختيار قبلتُ برّك بي  
والجوع يُرضي الأسود بالجيف  
كُنْ أيُّها السجن كيف شئتُ فقد  
وظنتُ للموت نفس معترف  
لو كان سُكناي فيك منقصة  
لم يكن الدر ساكن الصدف (٣)

" غير أن السجن طال ، فرق قلبه ، ولان عودُه ، فعمه الذل ، وغلب عليه الألم والشكوى والتوبة " (٤)  
بعد أن سلبت حياته ، فظل معطل الإرادة ، جريح الهمة ، وجد في " الشكوى المرة " طريقاً يخرج به من هذا الحبس - بعد أن دب اليأس إليه ، وانقطع الرجاء ، لم يجد إلا أن يسترحم الوالي ، ويطلب العفو منه ، وما عليه أيضاً إلا أن يعتذر عما بدر منه لينقذ نفسه من التلف " (٥)

١-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " ص ٧٣ د/محمد التوحي .

٢-هو رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج ، كان سجان الوالي الذي اعتقل المتنبي ، وكان صديقاً له من قبل . حاشية البرقوقي ص ٢٣/ ٣ .

٣- ينظر " ديوان المتنبي " ص ٣ / ٢٤/٢٣ .

٤-راجع " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوحي ص ٤٤ .

٥-ينظر المصدر السابق " ص ٧٣ .

وهذا ما فعله عندما كتب للوالي يشكو إليه مستعظفاً إياه ، يقول :

أمالك رقي ومن شأنه  
هبات اللجين وعتق العبيد  
دعوتك عند انقطاع الرجا  
" م "  
ء والموت مني كحبل الوريد  
دعوتك لما براني البلاء  
وأوهن رجلي ثقل القيود  
وقد كان مشيهما في النعال  
فقد صار مشيهما في القيود (١)

ويشير إلى حداثة سنه ، ودعوى الأعداء فيه محض افتراء ، فالفرق واضح بين نية الفعل ، والفعل ،

يقول :

ثعجلُ في وجوب الحدود  
وحدِّي قبيل وجوب السجود  
فلا تسمعن من الكاشحين  
ولا تعباناً بمحك اليهود  
وكُن فارقاً بين دعوى أردتُ  
ودعوى فعلتُ بشأو بعيد (٢)

الراصد لشعر المتنبي في السجن ، يلمس الشكوى في نهاية الأمر ، بعد أن كان في أول دخوله مكابراً ،

طامحاً ، أصبح - في نهاية الأمر - يشتكي مسترحماً ومستعظفاً ، وشعر المتنبي في الحبس لو أردنا

موازنته " بحسبات أخرى لشعراء جربوا السجن كعلي بن الجهم أو معاصره أبي فراس وجدنا فرقا كبيراً

بين معنوياتهما القوية ، ومعنوياته الواهية ، وشخصيتهما ذات البأس والعنفوان ، وشخصيته الذليلة التي

تركب كل هوان .. ولعل مردّ هذا الخلاف إلى صغر سنه ، ونوعية جرمه ، وقلة تجربته " (٣)

ويرى أحد الباحثين أن ثمة أشعار كثيرة قالها المتنبي في السجن بعد " أن أحس بالألم والذلة، وتاقت نفسه

إلى الحرية ولم يكن مما يلائم كبرياءه وكرامته أن يثبت هذا الشعر أو يذيع منه إلا أيسره وأهونه" (٤)

١- ينظر " ديوان المتنبي " ص ٢ / ٦٨ .

٢- المصدر نفسه ص ٢ / ٦٨ .

٣- ينظر " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد العونجي ص ٧٤ .

٤- ينظر " مع المتنبي " د/ طه حسين ، ص ١٠١ .

ومهما يكن من أمر هذه الأثعار ، إن صحت دعوى ضياعها فإن الشواهد اليسيرة التي وصلت إلينا  
تعكس حقيقة الشكوى من الحبس حين يأخذ المتنبي " و يعرض واقعه وآلام واقعه ، فينفجر غضباً  
وسخطاً ، ويحترق أسى ومرارة لما هو عليه من إهمال وهوان ، مع ماله من مواهب ومعارف ومطامح،  
ومن هنا تقترب الشكوى من الفخر وتؤلف مظهراً حزيناً من مظاهره " (١)  
ومن هنا يشكل الحبس رافداً من روافد الشكوى عند المتنبي ، ليضيف إلى أحزانه حزناً يعمق الحسرة ،  
ويحد من تطلعاته ، ويجعله يعيش حالة مزدوجة من الكبرياء والخضوع ، والإنتصار والإتكسار ، ولعل  
هذا أبلغ صور الشكوى ، وأوضح صفحاتها .

---

١- ينظر "الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي" لعلي جواد الطاهر ص-٢ / ١٢٤ .

## ٨- ما يوحى بالشكوى :

مدخل :

شعر الشكوى لا يصدر إلا إذا كان المرء متأماً ، تلاحقه الهموم ، وتتابعه الألفي ، وتتداوله القلائل .

وترتفع حدة الشكوى بقدر الطموح و تكبر بحجم التطلع ، وتزيد بضخامة الأمل .

ولعل المتنبي وقع في هذه الثنائية ، وأدرك أن النفوس الكبيرة ، تنال من الأجسام ، وترهقها صعوداً

وسفراً ومراداً ، يقول :

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام (١)

وقرر هذه الحقيقة في حضور المشقة لطالبي السيادة والريادة والطموح ، فمن تحلى بالكرم ، والجود

أدركه، الفقر ، ومن حارب ، وفاضل قد يتعرض للموت والقتل ، يقول :

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر ، والإقدام قتال (٢)

من جراء هذا الطموح أصبح المتنبي سجيناً بلا قيود ، سجين طموحه ، وأسير آماله ، ورهين تطلعاته ،

وحيد من الخلان في كل بلدة : ، ليكتفي بالسعادة المخصصة من ركوب فرسه الكريمة ، التي تنقله من مكان

لآخر ، يقول :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة

سبوخ لها منها عليها شواهد (٣)

والمتنبي في شعره كثير الشكوى ، متعدد الجهات ، وسلاحه في ذلك الذم والتهديد والوعيد والإفتخار ،

ولكنه نادراً ما يذكر سبب الشكوى ، وقلما يشير إلى الدوافع التي جرته إليها " (٤)

١- راجع " ديوان المتنبي " ص ٤ / ٦٤ .

٢- المصدر السابق ص ٣ / ٤٠٦ .

٣- نفسه ص ٣ / ٢٠٢ .

٤- ينظر " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد العونجي ص ٢٣٩ .

وقد تظهر الشكوى صراحة ، في موقف غرام ، حين يكون المتنبي متأبطاً سيفه ، وهو داخل في شكوى الشوق ، وخوف الفراق ، يقول :

فبات بين تراقينا ندقعه  
وليس يعلم بالشكوى ولا القبل (١)

وترتفع هذه الشكوى ، لتكون الحبيبة داهية ، ونازلة تجلب الهزال إلى الجسد ، وتدق العظام حتى ترضها ومتى أغناها البعد والنسيان عنه ، فهو معدم - بسبب سلوها - من كبده ومنها ، يقول :

إن كان أغناها السلو ، فإنني  
أصبحت من كبدي ومنها معدما (٢)

فهو هنا يشتكي من سطوة الحب ، ولوعة السلو ، ومرارة العشق ، ثم ما يلبث بأن يقلب ظهر الشكوى ، ليظهر شكوى مناقضة لها في الإتجاه والمضمون ، فذلك القلب الذي ينفطر حباً ، والجسد الذي يأكله الضنى ، يتحول إلى صخرة يتملكها التبدد ، ويخيم عليها الجمود ، كالصخرة التي لا تؤثر فيها نظرة ، ولا تشناق لتصابي ، يقول :

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي  
شيئاً تتيمة عين ولا جيد  
أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركني  
هذي المدام ، ولا هذي الأغاريد (٣)

وتتكشف هذه الثنائية ، ثنائية الطموح والخضوع ، في جانب آخر من شكوى المتنبي ، فليس التعلل بالأمانى ، والتسلي بالأمال من أخلاقه ، ولا الرضى بالقليل من صفاته ، يقول :

ليس التعلل بالأمال من أربي  
ولا القناعة بالإقلال من شيمي (٤)

١- ينظر " ديوان المتنبي " ص ٢٠٢ / ٣ .

١- نفس المصدر ص ١٤٤ / ٤ .

١- نفسه ص ١٤١ / ٢ .

١- نفسه ص ١٥٥ / ٤ .

وعدم القناعة ، والآمال العريضة ، جعلت من الرجل ، شحاذاً ، ذليلاً ، يطوف الأرض ، يستجدي

العطايا والهبات ، يقول : مخاطباً كافوراً (١)

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله  
فإني أغني منذ حين وتشرب  
وما طربي لمار رأيته بدعة  
لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب (٢)

ويؤكد على هذه " الشكوى " في قصيدة أخرى ، حين ترفع الحجب ، ويبقى الأمل المرجو محجوباً ،  
والحاجات وإن دفنت في النفس فذكاء المخاطب ، والسكوت عنها خطابان يفصحان عنها ، يقول :

وهل ناعني أن ترفع الحجب بيننا  
ودون الذي أملتُ منك حجابُ  
وفي النفس حاجات ، وفيك مظنة  
سكوتي بيانٌ عندها وخطاب (٣)

وقد كلفه حب المال المشقة التي تصل إلى الموت ، يقول :

حتى وصلتُ بنفس مات أكثرها  
وليتني عشتُ منها بالذي فضلاً  
أرجو نذاك ، ولا أخشى المطال به  
يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا (٤)

وقد تكون الشكوى من ضيقة الصدر و وطأة الحزن ، وسقم الجسد متجمد من إلى السفر والترحال ، يقول:

لا أبعض العيش ، لكنني وقيتُ بها  
قلبي من الحزن ، أو جسمي من السقم (٥)

١- سافصل علاقة كافور بالمتبي في فصل العلاقات ، الفصل الثالث .

٢- ينظر " ديوان المتبي " ص ٣٠٦/١/٣١١ .

٣- نفس المصدر ص ٣٢٤/١ .

٤- المصدر السابق ص ٢٩٠/٣ .

٥- نفسه ص ٢٨٦/٤ .

ويسطو عليه الهم ، فيركب العيس الخفاف ، مفرجاً عن نفسه ، يقول :

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا  
قلاقل عيس كئهن قلاقل (١)

وسيرة المتنبي الممتلئة بالأحداث والنواب " التي ازدحمت عليه سهلت حديث الشكوى " (٢) ، ورغم كل هذا إلا أن الرجل يؤكد علو همته ، وجلادته وبأسه ، وتحولاته ، وأسفاره ، في مناكب الأرض ، يقول :

فالموت أعذر لي ، والصبر أجمل بي  
والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا (٣)

ولكنه سرعان ما يعود إلى الضجر ، والشكوى ، لتصبح عنده عادة ، يمارسها في كل مناسبة ، ويدرك ذلك في نهاية الأمر ، يقول : (٤)

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة  
فلا أشتكي فيها ولا أتعب (٥)

وقد مزج التناقض بين الشكوى وكتمانها في حالة الحب في بيت واحد ، حين ذكر هذا التناقض ، " بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان ، وبين كون ألد الشكوى : الإعلان " (٦) ، يقول :

أحبُّ ما منع الكلام الألسنا  
وألدُّ شكوى عاشق ما أعلننا (٧)

١- انظر " ديوان المتنبي " ص ٣ / ٢٩٣ .

٢- ينظر " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد الترنجى ص ٢٣٠ .

٣- انظر " ديوان المتنبي " ص ١ / ٢٤٩ .

٤- تأتي أهمية البيت لكونه من قصائد المتنبي المتأخرة ، حيث نظمه في سنة ٣٤٧ هـ .

٥- انظر " ديوان المتنبي " ص ١ / ٣٠٤ .

٦- راجع حاشية الرقوقى لشرح ديوان المتنبي ص ٤ / ٣٢٧ .

٧- انظر " ديوان المتنبي " ص ٤ / ٣٢٧ .



وتبرز في شعر المتنبي شكوى مغلقة ، وذلك حين يمدح الرجل ، بأنه لا يعبأ بالزمان وما فيه من غم  
وسرور ، وكان المتنبي عاجز عن الصبر ، ويستثقل الطوارق ، والنوائب ، يقول : مادحاً " بدر بن عمار "

هان على قلبه الزمان فما  
يبينُ فيه عمٌّ ولا جنل (١)

ويمدح آخر بأنه ، يمن على الأسرى فيطلقهم من الإسار ، ويأسر الأعداء ، ويزيل شكوى ذوي الشكوى ،  
يذلل من يراغمه ويصادمه ، يقول مخاطباً الممدوح :

إلى مطلق الأسرى ، مخترم العدا  
ومشكي ذوي الشكوى ورغم المراغم (٢)

وبهذا تكون الشكوى قد انكشفت وانجلت ، سواء كانت شكوى عامة أو خاصة ، الصريح منها والمضمر ،  
والشواهد كثيرة في الديوان ، ولكن يكفي من الأدلة والبراهين ما ذكرته ، على أن الشكوى من الوفرة  
بحيث أصبحت ظاهرة وحالة لا يمكن إغفالها ، أو محاولة تجاهلها .

١- انظر " ديوان المتنبي " ص ٣٢٩ / ٣ .

٢- نفس المصدر ص ٤ / ٢٤٢ .

## الفصل الثالث

### الخصائص الفنية لشعر الشكوى

#### ١- اللغة الشعرية

أ- المعجم

ب- التراكيب

ج- الأسلوب.

#### ٢- الصورة الفنية.

#### ٣- الوحدة الموضوعية.

#### ٤- المعجم الإيقاعي.

## اللغة الشعرية :

اللغة الشعرية وعاء متميز ، وإطار محفوف بالدقة ، يشتمل على علاقات خاصة ، تتميز بالترابط

القوي في جلب المترادفات ، وانتقاء المواد وتوظيفها ، ومستوى الكلمات مصحوبة بدلالاتها الوضعية .

والعمل الشعري وفي حقيقته تأليف بين " اللغة باعتبارها أصواتاً وصوراً وتكليفاً بما تعالج وتناغماً مع

نبضة القلب ، بالإضافة إلى كونها في المقام الأول فكراً وبالتالي كشفاً أمر لا يد منه " (١)

وعلاقة الدرس الأدبي بالعمل الشعري تأخذ مساراً يبتعد عن مظان الوهم، والإعتساف ، والتحكم الشخصي

والمصادرة ، لأن " الشعر فن باللغة وقراءته ينبغي أن ترتعن أساساً بهذه القيمة ، شريطة أن لا تفهم اللغة

هنا بمعناها الضيق ، لأن اللغة في إطارها العادي أداة توصيل ، على حين أنها في القصيدة منبع إثارة

وتحريك لأدق المشاعر والانفعالات " (٢)

" ولا ينبغي ذلك المبدأ الأساسي ، وهو أن لكل فن أدواته التي ربما لا تصلح أدوات أخرى أن تكون بديلاً

عنها ، إن النسق الأدائي للغة الشعرية يتجاوز نطاق أدوات بعينها ، ويتعدى إمكانات مناهج محددة .

فهناك صلات غير مذكورة بين تلك الأدوات من ناحية وبين مجالات متاحة لتناول اللغة الشعرية ، فهذه

اللغة التي تتميز بتفرد وخصوصية ، تظل أطر التقاليد الشعرية ، وفنية نسقها الأدائي و الدلالي ، ومن ثم

يكون من التجاوز أن يزعم منهج أو اتجاه أنه وحده القادر على سبر لغة الشعر " (٣)

والمادة الشعرية التي تستند عليها هذه الدراسة ، مادة " الشكوى " ، التي شعر بها المتنبي ، والحمولة

التي كان يحشو بها مضامينه ، والخطاب الذي يبثه في ديوانه ، ضاجاً بالصور الحزينة ، ومستجيباً

لنداءات الذات المتعبية .

وتهتم الدراسة بالجزء لا بالكل ، وبالنموذج لا بالحصص ، موضحة علاقة الشكوى ببناء القصيدة .

١-م " دراسات في النص الشعري في العصر العباسي " د/ عبده بدوي ، ص ٥٠ .

٢-م " المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فتوح أحمد ص ٢٠ .

٣-م " البحث الأسلوبي معاصرة وتراث " د/ رجاء عيد ص ١٥٣ . دار المعارف - الإسكندرية ١٩٩٣ م .

" ومهما يكن من أمر، ففي عهدنا الحديث نجد أن التميز الكلي بين الموضوع والأسلوب ، قد لفظ تماماً ، فالعمل الأدبي المعاصر ، ينظر إليه بحسبانه وحدة عضوية ، يصبح الشكل المضمون فيها والأسلوب والأداء وحدة لا تتجزأ أو لا تتفكك " (١)

أما اختيار النموذج الذي تظهر فيه " النبرة الشاكية " ، فقد حرصت الدراسة على توفر الظاهرة فيه من حيث قوة التمثيل ووضوح ملامح على الظاهرة التي نحن بصددها ، مع ملاحظة أنه " تبقى بعد لكل وثيقة شعرية - قصيدة أو مقطوعة - قيمتها الخاصة ، باعتبارها كيانا إبداعياً كامل الإستقلال والتميز " (٢) لذا يجدر بنا أن نتوقف عند سمات هذا الشعر الفنية ، وخصائصه الأسلوبية ، وتراكيبه التعبيرية ، وما يصاحب ذلك من معجم شعري وإيقاع موسيقي ، ووحدة موضوعية .  
من أجل ذلك ارتأينا توزيع هذا الفصل إلى المحاور التالية :

#### ١ - اللغة الشعرية :

العمل الشعري ظاهرة متجانسة متكاملة تفترض أن يدخل البناء الجمالي في محتواها ككل ، وترتبط في أساليبها بمجموعة المفردات التي تعكس القيمة الفنية في ذات التعبير .  
" وإذا كان التعبير الشعري يجسم التجربة النفسية للشاعر على هيئة معينة تنم عن أسلوبه وطريقته في التعامل مع العربية ومنتها ، فليس عليه إلا أن يحقق مفهوم الصدق الفني حتى يمكن للمتذوق لشعره أن يشاطره إنفعالاته وتخيلاته وأفكاره . وحتى يتشارك في الغاية بالمتعة الفنية ، ولا يشترط في المتذوق ، مادام قد أحس بالشاعر ، وتمتع روحياً ، أن يكابد تفهم الشعر فهماً منطقياً أو دقيقاً مبرراً ، إذ أن طبيعة الشعر الإيهام والإيحاء والرمز ، لا الإفصاح والتعيين . إنه فن غامض تدثره غلالات وسحب ، وإنما حسب المتذوق أن يستشعر معانيه وموسيقاه ، ويعتصر منه المتعة الروحية كما أسلفنا " (٣)

١-م " البحث الأسلوبى معاصرة وتراث " د/ رجاء عيد ص ١١ . دار المعارف - الإسكندرية ١٩٩٣ م .

٢-م " المتنبى قراءة أخرى " د/ محمد فصح أحمد ص ٨ .

٣-م " من أساليب اللغة العربية " د/ إبراهيم درديري ص ١٧٣ الناشر دار البلاد للطباعة والنشر - جده - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م

ويجدر بنا قبل الدخول في هذا الفصل أن نوضح علاقة المتنبي بالشعر ، من حيث هو تعبير داخلي، ونظام لغوي ، وبناء هندسي .

يقول المتنبي واصفاً حالته مع الشعر ، والقوافي :

أراكض معوصات الشعر قسراً  
فأقتلها ، وغيري في الطراد

لذا تتخذ المفردة اللغوية عند المتنبي طابع الدقة ، وصرامة الوضع ، بحيث يجتهد الشاعر بوضعها في سياقها الملائم .

وقد كان المتنبي ، ممن يعرفون حجم المعاناة ، معاناة التعامل مع المفردة في الشعر ، ويعتبرها واجباً وأولياً للاستحقاق الشعري والجدارة المتميزة فالمتنبي كان يفتش عن الكلام " ، بكل ما يفهم من هذا التصريح من مراجعة القول ، ومحاسبة الوسائل ، ومجادلة الذات ، يشير إلى هذا قوله :

ولكنه طال الطريق ، ولم أزل  
أفتش عن هذا الكلام وينهب (٣)

في ضوء هذا البيان المختصر لطبيعة العلاقة بين المتنبي والشعر ، أو بعبارة أصح بين الرجل والأسلوب أو بين المبدع و وظيفة اللغة " يمكن لقارئ المتنبي أن يفهم سرّ هذه التحولات الملحوظة في عدد من نماذجه ، بين مدحة تعلق بها نبرة التشكي والحسرة حتى تنول إلى بتّ ذاتي صريح ، وأخرى تعتمد على ما يدعوه " آرثر بولارد " " عنصر التلميح " في إدراك أن ثمة معنى ثانياً - هجائياً - يكمن تحت المعنى المدحي الواضح ، وثالثة تستقل بعض مصطلحات المعجم وطائفة من تقاليده الموروثة

٢- م ديوان المتنبي " ص ١١٨/٢ .

٢- م ديوان المتنبي " ص ٣١٢/١ .

للإحياء بأن موقف الشاعر من نمودجه قد تجاوز ما يشوب المديح من بواعث الطمع والرغبة إلى حيث

يتمخض الود وتخلص الشاعر " (١)

" لقد انطلق دوسوسير من اللغة - أي لغة - ماهي إلا نظام علاقي فريد ، ومن ثم فإن أي وحدة لغوية :

كالصوت ، أو الكلمة ، أو المعنى ، لا تكتسب قيمتها ووجودها إلا من خلال علاقاتها بالوحدات الأخرى

داخل النظام اللغوي المعين . وبالتالي فإن النظرة المنهجية إلى هذه الوحدات يجب أن تتمثل كونها نقاطاً

في نظام تربط بينها شبكة من علاقات التقابل والاختلاف " (٢)

ومادام لكل فن من فنون الشعر أساليب وطرائق وسياقات ولغة ، يختص بها هذا الفن أو ذلك ، كما يشير

إلى ذلك الجرجاني بقوله : " ولا أمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه

مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك

كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطانك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كل مرتبته

وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخّم إذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرفه .. " (٣)

فمن البديهي أن يأتي شعر الشكوى عند المتنبي بمذاق يلائمه ، ولغته الخاصة ، التي ابتعد بها عن شعراء

الشكوى في القرن الرابع الهجري الذين مالوا إلى التعابير الواضحة ، واللغة السهلة بحيث جعلوا شعرهم

في متناول عامة الناس ، وأفكارهم في مستوى أوساط المجتمع حين " وجد شعراء القرن الرابع أنفسهم

مجبرين على صياغة شعرهم في قوالب لغوية بسيطة ، وأساليب تعبيرية قريبة من عقول الجمهور

ومستواهم الإدراكي " (٤)

١-م " المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فوح أحد ص ٩٨ .

٢-م " الأسلوبية التعبيرية عند شارل بلي أسسها ونقدها " /د. محي الدين محسب ص ١٣ من إصدارات نادي القصيم الأدبي - بريدة -  
الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

٣-م " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للجرجاني ص ٢٢ دار إحياء الكتب العربية ١٩٨٥ تحقيق هشام الشاذلي .

٤-م " اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري " د/ نبيل أبو حاتم ص ٣٥ .

وقد أكد أبو هلال العسكري هذا الرأي، لأن من أبجديات المعرفة أن يتخاطب القوم بالأساليب التي يدركونها لذا قال العسكري : " إذا كان موضوع الكلام على الإفهام .. فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوق ، والبديوي بكلام البدو ، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما يعرفه ، فتذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب " (١)

ولعل ما يميز شعر الشكوى عند المتنبي - وهو أحد شعراء القرن الرابع الهجري - هو تلك اللغة التي تتسم بالجزالة ، والفخامة والعبارة التي تمتلئ بالدلالة على ما صنعت من أجله ، فتكون في مكانها الذي يشي بالقوة اللفظية .

ورغم ما يحز من عنف الشكوى ، ومرارة الألم لم يشغل المتنبي عن إختيار لغته ، وإنتخاب معجمه ، وإصطفاء أساليبه ، بحيث لم يثنيه الجؤ القلق من تأنيق لفظه ، وبراعة معناه . ولم يذهب به الإفعال الحاد ، والحزن المعتدل في صدره إلى السهولة ، والبساطة ، والقريب من القول . وهذا يسوقنا إلى دراسة ومراجعة هذا الشعر ومدى مطابقته لما ذكرته . من خلال المعجم الشعري ، والتراكيب الخاصة به ، وهذا ما سأعرض له فيما يلي .

---

١- الصناعين \* لأبي هلال العسكري ص ٣٩ تحقيق الدكتور / مفيد قميحة . الطبعة الأولى دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

## أ- المعجم :

إن من أعمق ما يميز شاعراً عن آخر ذلك الإحساس اللفظي ، الذي يتصف به الشعراء عامة.

وتعطي الشعرية الحادة المقدرة الأسلوبية التي ترى من خلال معرفة المكان المناسب للفظ .

ونظرية المعجم الشعري للشاعر هي " نوع اللغة المناسبة للشعر والرخص المسموح بها " (١)

" معجم كاتب أو أديب : مجموعة الألفاظ التي تشيع في قلمه ويستعملها في التعبير عن أفكاره، والمعروف

أن ثروة كل كاتب تختلف عن ثروة زميله كمية ونوعية حسب ثقافة كل منهما والمناهل التي استقيا منها

وسائل الإبانة . (٢)

لذا اهتم القدماء " بطرائق صنع المعاجم اللغوية في تعاملهم مع ألفاظ أبي الطيب المفردة ،حتى أنهم نقلوا

كثيراً من مادتها فأتتوها في شرح الألفاظ المبهمة أو الغريبة ، وساقوا عليها الشواهد التي كانت متواترة

في مصنفات الغريب ورسائل اللغة " (٣)

وربما كان من نافلة الحديث التأكيد على أن اللغة الشعرية تتسم بالتواتر المستمر بين القديم

والجديد،والثابت والمتغير من طرائق الألفاظ ، وقوالب الصياغة . مما يضع أمام الشاعر خيارات شتى من

أعراف اللسان،ودلالة الكلمة .

وهو أمام هذا الحصاد المعرفي والمذخور اللفظي تعامل وفق ذائقته وإحساسه ، ويعكس وعيه الشعري ،

خاصة أمام العرض الذي هو بصدده .

والمتنبى من أولئك الشعراء الذي يمتد على التراث ويثريه ويتفاعل مع المعطيات اللفظية وفق السبل التي

يراها مناسبة ، لذا تبدو بصماته الأسلوبية ومعجمه اللفظي " وكأنها صدع في جدار اللغة الشعرية ، على

حين أنها إعادة لبناء هذه اللغة ، ومحاولة لاستئناف تشكيلها في نسق صياغي جديد " ٤

١-م " المتنبى مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوحي ص٥٥ .

٢-م " المتنبى مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوحي ص٥٥ .

٣-م " المتنبى والتجربة الجمالية عند العرب " د/ حسين الواد ص١٥٢ .

٤-م " المتنبى قراءة أخرى " د/محمد فتوح أحمد ص٣١ .



والمتنبي يمتلك لغة هائلة ، : ولو لم يكن شاعراً لكان لغوياً شهيراً " (١)

لذا " كان من المكثرين من نقل اللغة ، والمطلعين على غريبها وحوشيتها، ولا يُسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل إن الشيخ أبا علي الفارسي صاحب الإيضاح والتكملة قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن " فعلى " ؟ فقال المتنبي في الحال : حِجْلَى و ظِرْبَى .

قال الشيخ أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال علي أجد لهذين الجمعين ثالثاً ، فلم أجد ، ويتابع ابن خلكان قوله : " وحسبك من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة " (٢) ويرجع الدافع من هذه التوطئة إلى تأكيد " قصدية " المتنبي للكلمات، وتوجهه إليها، وكأنه يختار اللفظة الملائمة لحالته النفسية والشعرية دون النظر إلى سياق الكلمة التاريخي .

وقد كان القدماء في تعاملهم يكثر من قولهم في شرح شعر المتنبي " والمراد هنا ، ويريد به ، وإنما قال ، وهنا أراد كذا ، ويتوجه هذا إلى " حيث ينصرف الواحد منهم " إلى السياق فهو الذي يتضمن القرائن الدالة على أن اللفظة الواحدة معانيها العديدة " (٣)

ومعجم المتنبي - في شعره الشاكي ، يفيض بألفاظ التعب والحسرة والشكوى ، وتدور فيه ألفاظ كثيرة مثل: { الموت / الرحيل / الشكوى / التعب / الخطوب / النوائب / الداء / القلق / الحيرة / الخداع / السهر / السهاد البعد / الهجر / السفر / الأهوال / الحسد / الكذب / الردى / الحِمَام / المنايا / البين / الفراق / البكاء / الدمع / النوى الضعف / الأحداث / الهمُّ / الحزن / البلوى / نيوب الزمان / المصائب / النحول / الوحشة / القتل / الوجد / المخالب الصروف / الغم / العناء / الكد / التعادي / الأرق / العبرة / الجوى / الجرح / السقام / الفقر / المشيب / المشقة ، { مثل هذه الألفاظ من المعجم تعطي صورة واضحة عن تفجر حالات الألم ، وأحوال الحزن وعمق الشكوى، بقطع النظر عن السياق الذي وردت فيه ، فشعر المتنبي كله مليء بهذه الألفاظ، وأكثر ما تكون في سياق شعر الشكوى .

١-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوفحي ص٥٥ .

٢-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/ محمد التوفحي ص٥٥ .

٣-م " المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب " د/ حسين الواد ص١٥٢ .

٤-م " المتنبي قراءة أخرى " د/ محمد فراح أحمد ص٣١ .

وسيكون في نهاية هذه الفقرة جدولاً رقمياً يحدد عدد دوران بعض الكلمات ، مثل كلمت " رحيل " ، والتي

تعطي معنى الوداع والسفر والترحل ، قد تردد في بيت واحدٍ مرات متعددة في مثل قوله :

وما عشت من بعد الأحبة سلوة  
ولكنني للنائبات حمول  
وإن رحيلاً واحداً حال بيننا  
وفي الموت من بعد الرحيل رحيل (١)

فحضور لفظة " الرحيل " بهذا المستوى يعكس دلالاتها النفسية والداخلية .

أو مثل ورود القلق والجوى والعبرة ، في سياق بيت واحد ، مثل قوله :

وجوى يزيد ، وعبرة تترقرق  
أرقّ على أرق ، ومثلي يارق (٢)

ألفاظ مثل أرق ، يارق ، والعبرة ، والجوى ، كلها تشف عما تحتها من حالة حزينة .

بل إن الشاعر في سياق شعري لا يتجاوز ثلاثة أبيات تطغى ألفاظ من التعب والحرب ، والغزل ، وهذا من

الفنون التي أجاد بها المتنبي " كما لم يسبق إليه وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرّب عن

جودة التصرف والتلعب بالكلام " (٣) ، ومن ذلك قوله :

عذيري من عذاري من أمور  
سكنّ جوانحي بدل الخدور  
ومبتسمات هيجاوات عسر  
عن الأسياق ليس عن الثغور (٤)

فالأسياق بجوار الثغور ، والهجاء بمحاذاة الخدور والعذاري .

ومثل ذلك قوله : فلو كان قلبي دارها ، كان خالياً  
ولكن جيش الشوق فيه عرمرم (٥)

١-م " ديوان المتنبي " ص ٢١٨ / ٣ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص ٧٣ / ٣ .

٣-م " يتيمة الدهر " ص ١٩٣ / ١ .

٤-م " ديوان المتنبي " ص ٣٤٥ / ١ .

٥-م " ديوان المتنبي " ص ٢٠٤ / ٤ .

فالجيش و العرمم ، بجوار القلب والشوق .

ومثل قوله : أزل الوحشة التي عندنا ، يا  
من به يأنسُ الخميسُ الأهم (١)

فالخميس هو الجيش الكبير ، والأهم ، الذي يلتهم الكل من كثرته ، بجوار الأأس والوحشة .

ومعجم المتنبي يحقق تواملاً مدهشاً بين اللفظة واللفظة ، حين يجعل للحن شغفاً ، ووصلاً ، مثل قوله :

كأن الحزن مشغوف بقلبي  
فساعة هجرها ، الوصالا (٢)

ومفردة المتنبي " مختارة ، قصدها بالذات ، ورضي عنها ، وترك للتاريخ المجال الرحب للحكم عليها " (٣)

بل إنه يختار مفردته ، حتى من خلال نوعية الحروف التي يرسل بها اللفظة ، مثل قوله :

أبعد بعدت بياضا ، لا بياض له  
لأنت أسود في عيني من الظلم (٤)

تلمس في هذا البيت أن " كل شيء يتحول إلى ظلام ، وتأمل معي طريقة التعبير بالحروف عن هذا المعنى

تتابع حرف الباء أربع مرات وهو صوت انفجاري يرسم هذه الحدة والغلظة " وإلى جواره حروف انفجارية

أخرى كالتاء والذال والراء والنطاء والسين والشين " (٥)

ومن مظاهر المعجم الشعري عند المتنبي ، ما يعرف بـ " توازن الصيغ " وهو " أن الشاعر ينتخب من

بين الأبنية اللفظية المرشحة أكثرها ملائمة له وإنسجاماً معه ، ولكن هذه الظاهرة لا تخلو - في الوقت

نفسه - من رعاية للمستويين الإيقاعي والتركيبى معاً ، لأن هذا الإلتخاب مرهون بمقتضيات الوزن

الشعري من ناحية ، وبمقتضيات التركيب من ناحية أخرى " (٦)

١-م "ديوان المتنبي" ص٤٠/٦٦ .

٢-م "ديوان المتنبي" ص٢٤٠/٣ .

٣-المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فورسانا تأسر الزمان " د/علي شلق ص٢٠٨ .

٤-م "ديوان المتنبي" ص١٥١/٤ .

٥-م " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص٣٣ .

٦-م " المتنبي قراءة أخرى " د/ محمد فتوح ص٥٦ .

فيختار المتنبي من الألفاظ ، ما يلاءم شكواه ، ويعكس ألمه ، مثل قوله :

- الحزن يقلق ، والتجمل يردع  
والدمع بينهما عصي طبع (١)  
يتنازعان دموع عين مسهد  
هذا يجيء بها وهذا يرجع (٢)

فالتوازن كبير بين الحزن والدمع ، وبين الأفعال المضارعة يقلق ، يردع ، يجيء ، يرجع .  
ومن أمثلة توازن الصيغ ، قول المتنبي :

- أ في كل يوم تحت ضبني شويعر  
ضعيف يقاويني ، قصير يطاول (٣)

فالتوازن واضح وجلي بين ضعيف وقصير ، ويقاوي ويطاول .  
ومن أمثلة ذلك ، قول المتنبي :

- نرى عظماً بالبين ،  
والصد أعظم  
ونتهم الواشين ،  
والدمع منهم (٤)

فالتوازن كبير بين قوله " والصد أعظم ، " والدمع منهم " .  
ولعل أبرز مظاهر التوازن ، قول المتنبي :

- فالموت أعذر لي ، والصبر أجمل بي  
والبر أوسع .. والدنيا لمن غلبا (٥)

هنا يتجلى التوازن بين الموت ، والصبر والبر ، ويتضح في " أجمل وأوسع ، وأعذر ، ويظهر كذلك في  
بي ولي " .

- ١  
١-م "ديوان المتنبي" ص-١٢/٣ .  
٢-م "ديوان المتنبي" ص-١٢/٣ .  
٣-م "ديوان المتنبي" ص-٢٣٧/٣ .  
٤-م "ديوان المتنبي" ص-٢٠٢/٤ .  
٥-م "ديوان المتنبي" ص-٢٤٩/١ .

ومما يصل بالمعجم، نجد ثراء الكلمة في سياقها من خلال معجمها الإيقاعي نتيجة لتوازن الصيغ والتراكيب

مثل قول المتنبي :

أذم إلى هذا الزمان أهيله  
فأعلمهم فدم ، وأحزمهم وغد  
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم  
وأشهدهم فهذ ، وأشجعهم قرد (١)

وهنا يتضح تشعب الأسلوب من خلال إجراء توازن تعبيرى ، عكسه إختيار الصيغة ، وإصطفاء اللفظة .  
وكذلك التقسيم من خلال توزيع الألفاظ ، التي تؤدي في سياقها تنوع المعجم الإيقاعي ، الذي فرضه تخير  
الكلمة ، وإنتخاب المفردة ، مثل قول المتنبي :

بم التعلل ، لا أهل ، ولا وطن  
ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن !؟ (٢)

فكل المفردات التي جاءت بعد الإستفهام بقوله " بم التعلل " كانت لشرح معطيات التعلل ، وتقسيم أدوارها  
في سياق شعري منظم .

ومن الملاحظ على بعض شعر الشكوى عند المتنبي في سياق التوازن والتقابل ، مراعاة ذلك سلباً وإيجاباً  
بحيث يذكر الصفة ، ثم ما يلبث أن يذكر نقيضها ، أو نفيها ، كأن هذا التناقض يشكل القصد الحقيقي لحضور  
مثل هذا الازدواج ، يقول المتنبي :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن  
يخلو من الهم أخلاهم من الفطن (٣)  
وإنما نحن في جيل سواسية  
شرّ على الحر من سقم على بدن  
حولي بكل مكان منهم جلق  
تُخطي إذا جئت في استفهامها بمن (٤)  
لا أقترى بلداً إلى على غرر  
ولا أمرّ بخلق غير مضطغن (٥)

١- م " المتنبي " ص ٩٢/٢-٩٣.

٢- م " المتنبي " ص ٣٦٣/٤.

٣- م " المتنبي " ص ٣٤١/٤.

٤- م " المتنبي " ص ٣٤١/٤.

٥- م " المتنبي " ص ٣٤٢/٤.

فذكر الأفاضل ملازمة للمحن والشقاء ، ثم يناقض ذلك بالربط بين الخلو من الهموم ، والخلو من الفطنة ، ويستمر التقابل أو التناقض بينه وبين جيله ، أو التضاد بينه من كونه من " أفاضل الناس " وبين غيره الذي يشبهون البهائم ، حين يكون الاستفهام عنهم بغير " من " التي تستخدم للعاقل ، وتأمل على وجه الخصوص إحياء هذه الألفاظ التي تمثل بظلالها السلبية ما تمثله البقع في التصوير الحديث :

" سواسية " ، " خَلِقَ " ، " وخلق " ، لتجد أن الأول لم يفد معنى التساوي فحسب ، بل أضاف إليه نفي التميز وافتقاد التفرد بين أفراد هذا الجيل على وجه العموم ، وأن الثاني والثالث قد اكتسبا من السياق ومن دلالة التنوين على التفكير ما يضيف عليهما ضرباً من الهجنة والبشاعة والتفجير " (١)

وهكذا نجد المتنبي قد تفاعل مع المعجم تفاعلاً يخدم شعر الشكوى ، واستطاع أن يعبر من خلال هذا التوظيف ، والاستغلال ما يعتمل في نوازع نفسه ، وهواجس أمه ، تعبيراً حياً ، ويستجيب لواقع حاله المضني .

ولم تكن الشكوى سبباً في تنازل المتنبي على القوي ، بحيث صرفه ألم الشكوى ، عن براعة التعبير، وجزالة اللفظ ، بل كلما زادت الشكوى ، زاد هو في انتخاب المفردة ، وتخير اللفظة .

---

١-المتنبي قراءة أخرى " محمد فزوح ص ٦٦ .

## ب- التراكيب :

يرتدي القول الشعري قالب لفظي تحكمه قواعد إنشائية ، وعلاقات تجاورية ، وتراكيب

أسلوبية ، تشي بقدرة الشاعر وتمكنه من فنه .

وللشاعر قدرة ومجال لتكوين مجازات ، وإنشاء علائق بين متعلقات الجملة لذا يقول الجرجاني " وقد

أحتمل للشعراء لأجل الشعر ما هو أبلغ من تغيير الألفاظ وإزالة الكلام عن موضعه " (١)

ويبدو أن الخليل ابن أحمد من أوائل من تنبه لهذه الظاهرة ، حيث ينسب إليه قوله: " الشعراء أمراء الكلام

يصرفونه أتى شأؤوا ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تعريف اللفظ وتقييده،

ومد المقصور وقصر الممدود ، والجمع بين لغاته ، والتفريق بين صفاته ، وإستخراج ما كُلت الألسن عن

وصفه ونعته ، والأذهان عن فهمه وإيضاحه ، فيقربون البعيد ويبعدون القريب ، ويحتج لهم ولا يحتج

عليهم " (٢)

وقد شكّل شعر المتنبي جدلاً حاداً بين دارسيه ، لأنه يحتوي على قدر هائل من الصيغ الجديدة، والتعابير

التي لم تألف ، فهو يعتمد ترك القوالب المألوفة ، والتراكيب المستطرقة محاولاً في ذلك حث السامع وبث

فضوله ، وإستدرار إستفزازة .

وتتضح جسارته البيانية من خلال تحديه للآخرين ، وشحن عداواتهم كقوله :

لا تجسر الفصحاء تنشد هاهنا

بيتاً و لكنّي الهزبر الباسل (٣)

ما نال أهل الجاهلية كلهم

شعري ، ولا سمعت بسحري بابل (٤)

١-الوساطة بين المتنبي وخصومه " للجرجاني ص٤٦٨ .

٢-م المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب " د/حسين الولد ص١٠٩ وكذلك " منهج البلغاء وسراج الأدباء " للقرطاجني ص٤٦٣ .

٣-م " ديوان المتنبي ص٣٧٦ / ٣ .

٤-م " ديوان المتنبي ص٣٧٦ / ٣ .

ومن عادة الأوائل أنهم كانوا لا يتقبلون ثناء المرء على نفسه ، إلا إذا كان شاعراً لذا يقول ابن رشيق :  
" ليس لأحد من الناس أن يطري على نفسه ويمدحها ، في غير منافرة ، إلا أن يكون شاعراً ، فإن ذلك  
جائز في الشعر ، غير معيب فيه " (١)

وشعر الشكوى عند المتنبي ، لا ينفصل عن منظومة شعره الآخر، إلا ما يتطلبه الموقف من طابع الشكوى  
وحرارة الحزن ، وألم التعب .

لذا كان شعر الشكوى عند المتنبي يتخذ مظهراً من مظاهر الخروج على الأسلوب ، والتجاوز للتراكيب  
المأنوسة ، استطاع من خلال هذا الخروج أن يشق له نسقاً متفرداً في تراكيبه وقواعده حين اتكأ على  
" بند المقاييس المنطقية الخارجية لتصبح انعكاساً للصورة النفسية الداخلية التي تعبر عن حالة الشاعر  
الشعورية والروحية معاً " (٢)

ومما يؤكد هذا الشجاعة اللغوية ، التي اتصف بها المتنبي قوله :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا  
والبين جار على ضعفي وما عدلا (٣)

فقد أثار هذا البيت جدلاً عريضاً بين النقاد والشراح في القديم والحديث ، حين أوجد المتنبي نسقاً تركيبياً  
خاصاً به ، من خلال عطفه بين " أحيا " ، والإسم " أيسر " ، وكلاهما متعلقان بـ " قاسيت " ، و" قتلا " ،  
اللذين يوحيان بالمعاناة . (٤)

١-م " العمدة " لابن رشيق ص١- ٢٥ .

٢-م " قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني " لأمين العشماوي ص٢١٨ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص٢٨٢/٣ .

٤-للمزيد من الحديث حول هذا البيت يراجع " قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها " لأمين العشماوي ص٢٢١ .  
وكتاب " المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب " د/حسين الواد ص١٨١ ، فقد ذكر الأقوال والتخرجات .



وقد بادر خصوم المتنبي على تعقب سقطاته ، وتصيّد هفواته ، ومع هذا استمر في مخالفاته للنحو

واللغة ، يقول :

وفاؤكما كالربع أشجاره طاسمه

بأن تُسعداء والدمع أشفاه ساجمه (١)

حيث رفض الخصوم هذا إذ " لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء " (٢)

ومن تجاوزات شعر الشكوى عند المتنبي ومخالفته النحوية قوله :

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له

لأنت أسود في عيني من الظلم (٣)

لأن المتنبي استخدم صيغة " أسود " للتفضيل ، لأن أصل أسود : اسودّ ، " فلا يبنى من فعل زائد على

ثلاثة أحرف " (٤)

وشعر الشكوى عند المتنبي ، يحاول أن يستغل كل المباحات والضرورات ، والتجاوزات المبررة ، ويظهر

ذلك في تسهيل الهمزة ، حيث يقول :

أظمتني الدنيا فلما جنتها

مستسقياً مطرت عليّ مصائبها (٥)

والأصل أن يقول : " أظمأتني " ولكن لضرورة الوزن .

١-م " ديوان المتنبي " ص ٤٣ / ٤ .

٢-م " التبيان في شرح الديوان " للعكبري ص ٣٢٥ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص ١٥١ / ٤ .

٤-م " شرح ابن عقيل " ص ١٧٤ / ٣ .

٥-م " ديوان المتنبي " ص ٢٥٢ / ١ .

أما خصائص التركيب عند المتنبي في شعره الشاكي فقد انطبع بخصائص شتى منها " تنزيل الشيء منزلة ضده على جهة من الإعتبار " (١) نحو قوله :

وشكيتي فقد السقام ، لأنه  
قد كان ..لما كان لي أعضاء (٢)

ومنها " إضافة ضد الشيء إليه " (٣) مثل قوله :

صلة الهجر لي ، وهجر الوصال  
نكساني في السقم نكس الهلال (٤)

ومنها إعمال الشيء في مثله " ، (٥) مثل قوله :

أسفي على أسفي الذي دلّهنتي  
من علمه ، فيه عليّ خفاءً (٦)

ومن خصائص المتنبي في شعر الشكوى ، الاستفهام ، وفي سياق هذا المنحى في قالب العبارة الدالة على الحزن والضيق ، وخيبة الأمل ، والسعي لحياة أفضل يقول :

فمالي وللدنيا طلاي نجومها  
ومساعي منها في شقوق الأراقم (٧)

ويتكرر هذا التركيب في أبيات شتى مثل قوله :

حتّام نحن نساوي النجم في الظلم  
وما سراه على خفّ ولا قدم (٨)

- 
- ١-م " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " للقرطاجي ص٣٦٨ .
  - ٢-م " ديوان المتنبي " ص١ / ١٤٢ .
  - ٣-م " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " للقرطاجي ص٣٦٧ .
  - ٤-م " ديوان المتنبي " ص٣ / ٣٠٩ .
  - ٥-م " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " للقرطاجي ص٣٦٨ .
  - ٦-م " ديوان المتنبي " ص١ / ١٤٢ .
  - ٧-م " ديوان المتنبي " ص٤ / ٢٣٧ .
  - ٨-م " ديوان المتنبي " ص٤ / ٢٨٥ .

أو قوله :

والهجر أقتل لي مما أراقبه  
أنا الغريق .. فما خوفي من البلل !؟ (١)

ومن خصائص شعره في هذا الغرض النفي والإستدراك ، مثل قوله :

وما عشت من بعد الأحبة سلوة  
ولكنني .. للنائبات حمول (٢)

ولعل الحيرة والقلق والحزن ، تأخذ من الشاعر أكثر مما يتوقع ، لذا يرجع بشكل دائم للإستفهام الذي لا ينتظر إجابة ، بقدر ما يصور الحالة النفسية للشاعر ، والقسوة التي يلاقيها ، يقول :

كيف الرجاء من الخطوب تخلصاً  
من بعد ما أنشبن في مخالبا (٣)

ثم يمتد الحزن معه، ليستمر شعره مع هذا الإمتداد، وكان سياق الجملة إمتداد لسياق الحالة النفسية الكئيبة التي تلقي بظلالها على الشاعر ، يقول :

كان الحزن مشغوف بقلبي  
فساعة هجرها يجد الوصالا (٤)

وتأتي تركيب بعض الجمل ، على شكل مقاطع تتوحد في سياق مجتمع مثل قوله :

وحيد من الخلان ،  
في كل بلدة ،

إذا عظم المطلوب ..

قل المساعدُ (٥)

وكان الشكوى هي التي تتكلم ، لذا تأتي على شكل جمل قصيرة .

١-راجع "ديوان المتنبي" ص٣٠٠/٣ .

٢-راجع "ديوان المتنبي" ص٢١٨/٣ .

٣-راجع "ديوان المتنبي" ص٢٥١/١ .

٤-راجع "ديوان المتنبي" ص٣٤٠/٣ .

٥-راجع "ديوان المتنبي" ص٣٩٣/١ .

ويدخل القلق في السياق ، بحضور بادخ ، وكأن الجملة في مكانها في البناء ، تأتي هي أيضا مضطربة ،

مثل قوله :  
على قلق .. كأن الريح تحتي  
أوجهها جنوباً أو شمالاً (١)

وكان قلق المعنى يرسم قلق المتنبي . وتأتي الجمل بشكل حاد ، ومختصر في حالة من حالات الشكوى لذا تجد قصيدته التي كتبها في " السجن " ، جاءت مسائرة لضيقة الصدر التي يشعر بها ، كذلك جمل الشعر جاءت قصيرة ضيقة ، يقول :

دعوتك عند انقطاع الرجا  
ء ، والموت مني كحبل الوريد  
دعوتك لما يراني اليبلاء  
وأوهن رجلي ثقل الحديد (٢)

وحتى تتضح التراكيب التي قالها في الشكوى ، ارجع إلى قصيدته التي قالها أول يوم دخل فيه السجن ، حيث جاءت الجمل قوية وطويلة ، وتشعر باللامبالاة ، وتمثل بالحكم ، فهو يفتش عن الكلام " ، لذا قال :

لو كان سكناي فيك منقصة  
لم يكن الدرُ ساكن الصدف (٣)

وتصل السياقات الشعرية في الشكوى إلى التمني ، حيث تكون الأمنية أن يترك الشكوى وعذابها ، لذا

يقول :  
ألا ليت شعري ، هل أقول قصيدة  
فلا أشتكى فيها ، ولا أتعبُ (٤)

وتحتدم التراكيب عندما تمتزج الشكوى بالغضب يتحول الخطاب إلى محاورة مع النفس ، تنتهي بالتسليم والشك ، يقول :

فلما صار ودُ الناس خياً  
جزيتُ على ابتسام بابتسام  
وصرت أشكُ فيمن أصطفيه  
لعلمي أنه بعض الأمام (٥)

١- م " ديوان المتنبي " ص ٣٤١/٣ .

٢- م " ديوان المتنبي " ص ٦٧/٢ .

٣- م " ديوان المتنبي " ص ٢٤/ ٢٣/ ٣ .

٤- م " ديوان المتنبي " ص ٣٠٤ / ١ .

٥- م " ديوان المتنبي " ص ٢٧٤ / ٤ .

وحالة الشكوى تجعل المتنبي يمارس الخروج عن المألوف من قواعد الإعراب ، وقوانين اللغة ، مماشاة  
مع حالته القلقة، لذا نصب الفعل بأداة الجزم " لم " في قوله :

بادِ هواءك صبرت أم لم تصبرا  
وبُكائك إن لم يجردمعك أو جرى (١)

ويأتي التركيب أحيانا غامضاً قلماً ، مثل قوله :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت  
لها المنايا إلى أرواحنا سُبلا (٢)

والمنايا هنا فاعل ، فهو أضمّر "لها " قبل الذكر ، ولكن المتنبي ينفي ذلك بقوله : " ليست المنايا فاعلة ،  
وإنما هي موضع خفض " والسر في هذا البيت أن أبا الطيب قد أخرج " لها " وهي جمع " لهاة " مخرجا  
تلتبس فيه مع " لها " ضميراً مجروراً . (٣)

وأراد ابن الشجري أن ينظر إلى هذه اللفظة من جهة معنوية دلالية فقال لها من الحشو ، لأن المعنى غير  
مفتقر إليها " (٤)

وتراكيبه في شعره و طريقة النفي ، ثم الأمر ، وبداية النفي تعطي صورة العدم وقلّة ذات اليد ، يقول :

لا خيل عندك تهديها ، ولا مال  
فليسعد النطق ، إن لم تسعد الحال (٥)

ولعل أسلوب الإستفهام يلح بحضوره ، ولكن بطرق مختلفة تتساير والحالات الداخلية ، ولعل التعجب  
المقرون بالإستفهام من أبرز الخصائص ، يقول :

ماذا لقيت من الدنيا ، وأعجبه  
أني بما أنا بك منه محسود (٦)

١- م " ديوان المتنبي " ص ٢/٢٦٤ ، راجع ما قاله الواحدي عن هذا البيت في شرحه ص ٧٣٢ .

٢- م " ديوان المتنبي " ص ٣/٢٨٢ .

٣- م " المتنبي والتجربة الجمالية " عند العرب " د/حسين الواد ص ٢٢٣ .

٤- م " البيان في شرح الديوان " للعكري ص ٣/١٦٣ .

٥- م " ديوان المتنبي " ص ٣/٣٩٤ .

٦- م " ديوان المتنبي " ص ٢/١٤٢ .

ويستمر الأسلوب ملقياً بظلاله على طريقة المتنبي بالتعامل مع الشكوى ، ووصف حالته القلقة يقول :

أ بنت الدهر ، عندي كل بنت  
فكيف وصلت أنت من الزحام  
جرحت مجرداً لم يبق منه  
مكان للسيوف ولا السهام (١)

وحتى طلب المحال ، لا يجد الشاعر له ثوباً إلا ثوب الإستفهام ، ليقول :

أما في هذه الدنيا كريم  
تزل به عن القلب الهموم  
أما في هذه الدنيا مكان  
يسر بأهله الجار المقيم (٢)

ولعل الإبتداء بالضمير ، أو الشكوى الذاتية ، المشتتة على لفظة الـ " أنا " تحتل مكاناً واسعاً من البيت للتأكيد على الوجد والتعب والحزن ، يقول :

.....  
" أنا الغريق فما خوفي من الليل " (٣)

ويقول :

.....  
منها أنا في محفل من قرود (٤)

ويقول :

.....  
إني بما أنا بأك منه محسود (٥)

ويقول :

.....  
وما أنا عن نفسي ، ولا عنك راضيا (٦)

ويقول :

.....  
أنا الذي طال عجمها عودي (٧)

- 
- ١-م " ديوان المتنبي " ص-٤ / ٢٧٧ .
  - ٢-م " ديوان المتنبي " ص-٤ / ٢٨٢ .
  - ٣-م " ديوان المتنبي " ص-٣ / ٢٠٠ .
  - ٤-م " ديوان المتنبي " ص-٢ / ٦٧ .
  - ٥-م " ديوان المتنبي " ص-٢ / ١٤٢ .
  - ٦-م " ديوان المتنبي " ص-٤ / ٤٣٢ .
  - ٧-م " ديوان المتنبي " ص-١ / ٣٨٦ .

أنا الغني ، وأموالي المواعيد (١)

ويستدعي القلق المتنبي إلى التعقيد من حيث ترتيب سياقات الجمل ، لا تجد في شعره الشاكي ، مثل قوله :

أنا لآلمي إن كنتُ وقت اللوائم

علمتُ بما بي بين تلك المعالم (٢)

والتقديم والتأخير في وضعية الجملة الشعرية عند المتنبي باب واسع ، مثل قوله :

كفي! أراني ، ويك ، لومك ألوما

هم أقام على فؤاد أنجما (٣)

" حيث قَدَمَ وأخر .فـ " لومك " مفعول ثانٍ لأراني ، " ألوما " مفعول ثالث . " هم " ، فاعل أراني " (٤)

ومثل قوله :

فيا ليلة ما كان أطولَ بها

وسم الأفاعي عذبُ ما أتجرعُ (٥)

أي : ما كان أطولها ، والحذف هنا للوزن .

لذا " للشعر تراكيب يختص بها دون النثر أو الكلام العادي ومن خصائص التراكيب في الشعر أنها تتحمل

الإتقاص في الكلام والزيادة فيه تحملها التصرف في رتب ألفاظه " (٦)

وقد أدرك المتنبي أسراراً من السياقات والتراكيب في الشعر وخصائصها المميزة لها، فأفاض في إستعمالها

كفسحة لغوية ، لذا نجده تفاعل مع اللغة تفاعلاً حيويًا ، إستطاع من خلاله أن يعبر عن هواجسه و آلامه

ونوازعه تعبيراً صادقاً وسخر هذا المجال لخدمة إحساسه المأساوي في مواجهة الناس والكون والزمان .

١-م " ديوان المتنبي " ص-١٤٢/٢ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص-٢٣٦/٤ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص-١٤٣/٤ .

٤-م " المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونجي ص-٢٧٨ .

٥-م " ديوان المتنبي " ص-٣٤٦/٣ .

٦-م " المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب " د/حسين الواد ص-٢٢٦ .

## ج- الأسلوب :

جاءت ريح التعبير على القرن الرابع وألقت بآثارها على أيامه ، وتطلب هذا التحول تعبيراً

يليق بمعطيات هذا العصر من وعي في البنية الأسلوبية ومراعاة لمؤثرات البيئة .

وقد سائر الشعر هذا المعطى الحضاري الجديد ، فارتدى أطواراً حديثة ، نقلته نقلة نوعية بعدت به من حيث

الشكل والمضمون .

لكن ، إستمر للبنية الشعرية المتوارثة عبر قرون حضور كثيف إتسم بالنفوذ ، وصاحبه كثير من سيطرة

الأنماط التفكيرية السابقة .

" من الواضح أننا لا نستطيع أن نتكلم عن الأسلوب كلاماً مستقيماً ، يتجاوز حدود الإطباعات الجزئية

أو الوقتية ، ما لم نحدد مفهومنا " للأفكار " التي توجد في الأدب أو لا توجد فيه.وينبغي لنا عندما نحاول

ذلك أن لا ننسى أن هذا " الأدب " الذي نتحدث عنه ليس شيئاً مجرداً ، ولكنه سلاسل من الأصوات التي

نسمعها بأذاننا ، أو تتردد في حسنا السمعي الداخلي " (١)

وما دام لكل غرض شعري أساليبه وتراكيبه تختص به دون غيره ، فقد جاء شعر المتنبي الشاكي يحمل

نسقاً أسلوبياً يليق بالشاعر وغرضه .

والحديث عن النسق التعبيري ، والغرض الشعري ، وطريقة تناولهما ، تعطي الخصائص التعبيرية مجالاً

خاصاً يمكن أن يسمى " طابع الأديب الأسلوبى " (٢) ، ولكن لا يستطيع النقد أن يضع قوانين مفصلة لتقدير

الأساليب ، وذلك لتنوع العواطف والموضوعات الأدبية " (٣)

" ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في

موضع آخر " (٤)

١-م " مدخل إلى علم الأسلوب للمؤلف / شكري عياد ص١٧ دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

٢-م " النقد الأدبي أصوله ومناهجه " لسيد قطب ص٤٧ .

٣-م " أصول النقد الأدبي " أحمد الشايب ص٢٥٥ .

٤-م " دلائل الإعجاز " للجرجاني ص٣٨ / ٣٩ .



ومظاهر الأسلوب تضم عناصر منها المعجم والخصائص والتراكيب، والصياغة، " فأعراف اللغة تضع أمام المبدع جملة من الإحتمالات لقول الشيء نفسه بطريقة صحيحة، وعليه أن ينتقي من بين هذه الاحتمالات أوفرها دقة، وأكثرها موائمة للسياق ولبنية العمل ككل " (١)

لذا يمكن أن تكون الأسلوبية هي " تلك العناصر الوجدانية أو التعبيرية التي تطرأ على المعنى المعرفي في أشكال لغوية معينة " (٢) والربط بين الشاعر كمستخدم لهذه الأشكال، وبين وظيفة هذه الأشكال في السياق يرجع " إلى أن مجالات استخدام اللغة الشعرية تتنوع بتنوع وظائفها، ومن ثم نجد أنفسنا أمام عدد من " الأساليب الوظيفية " (٣)

" وقد تأثرت عملية الإبداع بالحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر " (٤) لذا تأتي قصائد المتنبي الشاكية استجابة لهذا التأثير، يقول:

عيد بأية حالة عدت يا عيد  
بما مضى أم بأمر فيك تجديد  
أما الأحبة في البيداء دونها  
فليت دونك بيداً و دونها بيد (٥)

ففي هاذين البيتين الدالين على الألم والحسرة والإنفجار، ندرك أن المتنبي يعمد لتكرار بعض الحروف، على نحو ما يلي:

الحرف	عدد المرات	نوع الحرف
الدال	إحدى عشر مرة	صوت صامت مجهور سني انفجاري
الهمزة	ست مرات	صوت صامت حنجري انفجاري
الباء	ست مرات	صوت صامت مجهور شفوي انفجاري
التاء	خمس مرات	صوت صامت مهموس سني انفجاري (٦)

- ١- م " المتنبي قراءة أخرى " د/ محمد فتوح ص ٩٧ .
- ٢- م " الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي " د/ محي الدين محسب ص ٤٧ .
- ٣- م " المتنبي قراءة أخرى د/ محمد فتوح ص ٩٧ .
- ٤- م " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص ١١٥ .
- ٥- م " ديوان المتنبي " ص ١٣٩ / ٢ / ١٤٠ .
- ٦- م " علم اللغة العام - الأصوات - " د/ كمال محمد بشر ص ١٠١ .

ولو دققنا في هذين البيتين للاحظنا " أن أبا الطيب ، بإحساسه الفني كان يدرك طبيعة هذه الأصوات وتأثيرها النفسي ومن هنا كان تشكيله اللغوي ، فهو يحدث من خلال توالي الأصوات تناسقاً فنياً من خلال تكرر الأصوات الانفجارية شحناً فنية خاصة ، وكان يقع إحساسه الفني ، على الصوت الذي يدل على حالته النفسية " (١)

والقارئ لشعر الشكوى عند المتنبي يجد هذا ميداناً للدراسة ، والشواهد على هذا كثيرة مثل :

أ صخرة أنا مالي لا تحركني  
هذي المدام ، ولا هذي الأغاريد (٢)

ونلاحظ أن تكرار الهمزة في هذا البيت ، " تعبيراً عن التمزق النفسي ، وانقطاع الرجاء ، وفقدان الأمل ، وتقطع الأنفاس " (٣)

ومثل قوله : إذا أدركت كُمَيْتَ اللون صافية  
وجدتها وحبیب القلب مفقود

أو مثل قوله : لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي  
شيئاً تتيمة عين ولا جيد (٤)

فليس في هذه الأبيات أساليب بيان راقية ولا أدوات تصوير فاعلة ، ولا رمزية جمالية تحرك الفعل ، " ومع ذلك فيها كل هذه الشحنة المتأججة ، وفيها كل هذا الإشعاع الفني الذي يحرك الوجدان ويثير العقل " (٥)  
أما أسلوبه الشاكي في بعض نواحيه فيأخذ طابع الحزن والمرارة والتحسر .

١-م " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص-١١٩ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص-١٤١ / ٢ .

٣-م " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص-١١٩ .

٤-م " ديوان المتنبي " ص-١٤١ / ٢ .

٥-م " في عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص-١٢٣ .

وفي مثل قوله:

أما في هذه الدنيا كريمٌ  
تزول به عن القلب الهمومُ  
أما في هذه الدنيا مكانٌ  
يسرُّ بأهله الجارُ المقيمُ (١)

نجد في هذين أن أسلوبه " يميل إلى الكآبة والأسى " (٢) ومن أساليب الشكوى عند المتنبي ، دمج شكواه بالأسلوب الحماسي أو كما يسميه الدكتور/محمد فتوح " تحولات الأسلوب " (٣) ، مستخدماً هذا التحول في محاولة للخروج من دائرة الضنك والضيق ، والخيبة والتعب ، لذا كان يكثر في شكواه من ألفاظ الحرب والشجاعة ومعطياتها ، وهذا المذهب في استخدام ألفاظ الحروب في سياقات الشكوى " مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحدق بحسن النقل ، وأعرّب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام " (٤) ، وذلك مثل

قوله :  
عذيري من عذاري من أمور  
سكن جواحي قبل الخدور  
ومبتسمات هيجاوات عصر  
عن الأسياف ليس عن الثغور (٥)

فأتى بألفاظ وعذاري ، جواحي ، خدور ، ثغور ، جنباً إلى جنب مع ألفاظ السيوف والهيجاوات التي تغص ميدان المعركة .  
" وقد برع أكثر في استخدام ألفاظ في غير محلها دلالة على المقدرة في سكب القالب المناسب في ماعون مخالف " (٦) لذا كان القدماء لا ينظرون - في شعر المتنبي - "إلى دلالات الألفاظ في واقع اللغة والحياة " وإنما طلبوها من السياق الذي ترد فيه ، ولما كان السياق عندهم ، هو الألفاظ الواردة في البيت نفسها ، قاربوا بين اللفظة واللفظة وحاولوا أن ينفذوا إلى الكيفيات التي تتداعى بها لتتكوّن منها أوضاع دلالية خاصة " (٧)

١-م " ديوان المتنبي " ص-٢٨٢ /٤ .

٢-م " موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي ، والحكمة في شعر أبو العلاء " د/ زهدي صبري الخواجا ص-٢١٦ .

٣-م " المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فتوح ص-٩٧ .

٤-م " يتيمة الدهر " للتعالي ص ١ /١٩٣ .

٥-م " ديوان المتنبي " ص-٢٤٥ / ٢ .

٦-م " المتنبي مآل الدنيا وشاغل الناس " د/محمد التونجي ص-٢٧١ .

٧-م " المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب " د/ حسين الواد ص-١٥٢ .

وتحول الأسلوب عند المتنبي أو مزجه ألفاظ الحرب والمعركة في قالب الشكوى ، ظاهرة شواهدا كثيرة ،

لعل منها قوله في شكوى الدهر :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى  
فؤادي في غشاء من نبال  
فصرتُ إذا أصابتني سهام  
تكسرت النصال على النصال (١)

هنا نجد النصال ، النصال ، السهام ، الرمي ، الإصابة ، وهذه من تداعيات الحرب .

ويقول في شكوى الحمى :

أ بنت الدهر عندي كل بنت  
فكيف وصلت أنت من الزحام  
جرحت مجرحاً لم يبق منه  
مكان للسيوف ولا السهام (٢)

ألفاظ مثل السيوف والسهام ، الجرح .

ويقول في شكوى الأيام :

أودُّ من الأيام لا توده  
وأشكو إليها بيننا وهي جنده (٣)

الجند من ألفاظ المعركة .

ومن مظاهر الأسلوب عند المتنبي في شعره الشاكي - التصغير ، " والتصغير تغيير مخصوص في بنية

الكلمة " (٤) ، ولا يهمننا - الآن - تحوكه الصرفي بل يهمننا دلالاته المعنوية ، في سياق الشكوى ، أعني

تحقير الشيء (٥) وفي ذلك نرى " الموائمة كاملة بين وظيفة الصيغة " التصغير " ، ووظيفة النسق الشعري

باعتبار الأولى إحدى لبنات الثانية ومقدمة من مقدماتها " (٦)

١-م " ديوان المتنبي " ص١٤١/٣ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص٢٧٧/٤ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص١١٩/٢ .

٤-م " المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فتوح ص٤١ .

٥-للتصغير وظائف كثيرة يراجع في ذلك " النحو الواف " لعباس حسن ...

/ويراجع في ذلك " توضيح الصرف " د/ عبد العزيز فاخر ص٣/٧ .

٦-م " المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فتوح ص٤٢ .

يقول المتنبي في شكوى كافر :

أولى اللئام كُوَيْفِيرَ بمَعْدرة  
في كل يوم ، وبعض العذر تفنيد (١)

ويقول في شكوى الشعراء :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر  
ضعيف يقاومني ، قصير يطاول (٢)

ويقول في شكوى أهل الزمان :

أذم إلى هذا الزمان أهيله  
فأعلمهم قُدم وأحزمهم وغدُ (٣)

فالتصغير هنا ينهض ببعض الدلالات التي تساعد الشاعر على تخفيف ألمه ، وتقليل شكواه ، بحيث أصبحت من ملامح الصياغة التي تلفت الأنظار في شعر أبي الطيب الشاكي ، " وقد يكون لهذه الظاهرة جذورها - من الناحية النفسية - فيما أتسم به تكوين المتنبي من إحساسه بالعظمة وتوكيد الذات ، وقد تكون لها " أيضاً " وشائج بموقفه من خصومه ومنافسيه على الصدارة الشعرية " (٤) ومن مظاهر الأسلوب الشاكي عند المتنبي ما يُسمى " التقابل المزدوج ، وهو أن يحمل البيت في بعضه أو كله عناصر مزدوج ثنائياً سواء ازدواج تضاد أو ازدواج تطابق " (٥) ، مثل قول المتنبي :

جزاء كل قريب منكم ملل  
وحظ كل محب منكم ضغن (٦)

١- م " ديوان المتنبي " ص ١٤٨/٢ .

٢- م " ديوان المتنبي " ص ٢٣٧ / ٣ .

٣- م " ديوان المتنبي " ص ٩٢ / ٢ .

٤- م " المتنبي قراءة أخرى " د/ محمد فتح ص ٤١ .

٥- م " قراءات مع الشاكي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون ، د/عبد السلام المسدي ص ٨٠ .

٦- م " ديوان المتنبي " ص ٣٦٧ / ٤ .

وإذا حاولنا تفكيك البيت حصلنا على خمسة أزواج ، " إثنان غير تمييزيين "

كلّ / كل ،  
منكم / منكم ،

وثلاثة منها تمييزية بالتطابق ، وتطابقها ترادف يجعلها من مجال واحد :

جزاء / حظ .

قريب / محب .

مثل / ضغن .

بحيث يكون لدينا تعانق سداسيّ ينحلُّ إلى ثلاثة مثنان تترامى أطرافها فتربطها نقطة محورية جامعة ، فإذا أقمت خطأ عمودياً على مفصل المصراعين وقرنت كلّ زوج إلى زوجه حصلت على الشكل البياني المميز " (١) بخلاف هذا التوازي الشعري واللغوي ، نجد أن المتنبي في شعره الشاكي ، قد يتنازل عن هذا التوازي ، فيحشد ألفاظ البيت ودلالات الجمل لجملة واحدة تجمع العناصر اللغوية الأخرى ، وقد يكون هذا التجمع

لصالح أول البيت مثل قوله :

بمّ التعلل لا أهلّ ، ولا وطن

ولا نديمّ ولا كأس ولا سكنُ (٢)

"إن العناصر المتلاحقة لا رابط بينها سوى أنها تجيب عن التساؤل المطلعيّ المحدّد لبنية البيت " بمّ التعلل" ، فهو لذلك يستقطبها فرادى كما لو كان العنصر المولد مركز دائرة شعاعية شمسية ، ووقع في البنية أنها تجعل النفس الشعريّ ، شديد التصاعد بطيء التنازل إذ يبلغ البيت نبرته النغمية منذ مطلعته ثم يتدرج إنحداراً إلى أن يبلغ سفح النبرة مع خاتمته " (٣)

١-م " قراءات مع الشابي والمتنبي والملاحظ وابن خلدون ، د/عبد السلام المسدي ص٨١ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص٤ / ٣٦٣ .

٣-م " قراءات مع الشابي والمتنبي والملاحظ وابن خلدون ، د/عبد السلام المسدي ص٨٦ .

وقد يرد العنصر المقصود في مؤخرة البيت بحيث تكون كل السياقات السابقة له تكثيفاً له ، يقول المتنبي في

الشكوى من كافور :

أَمِيناً وإِخْلَافاً وَغَدراً وَخِيسَةً

وَجَبِيناً ، أ شَخْصاً لَحْت لِي أُم مَخَازِيَا (١)

فكل الصفات السابقة ترشح المعنى الذي يقبع في مؤخرة البيت ، وكأن البنية اللغوية من شأنها أن تطيل نفس

الصعود في البيت الشعري فلا يبلغ مداه إلا والبيت يكاد ينتهي إلى تمامه فيقع تنازل فجئي هو بمثابة السقوط

الحر فتقع عندئذ النبرة الشعرية على مؤخرة البيت " (٢)

وقد يكون التكيف متوازياً مع معطيات البيت بحيث يتقابل الصدر والعجز تقابلاً متوازياً ، " إيجاباً وسلباً لتحدث

الصدمة المتغايرة ، كما في الشكوى وهي " رثاء " للذات الحاضرة (٣) عند المتنبي ، يقول :

قَلِيلٌ عَانِدِي سَقَمِ فُوَادِي

كثِيرٌ حَاسِدِي صَعْبِ مَرَامِي (٤)

فلدينا تقابل منظم على النحو التالي :

قَلِيلٌ / كَثِيرٌ .

عَانِدِي / حَاسِدِي .

سَقَمٌ / صَعْبٌ .

فُوَادِي / مَرَامِي .

هكذا نجد أن شعر الشكوى عند المتنبي قد تفاعل مع اللغة تفاعلاً حياً ، واستطاع أن يعبر من خلالها عن آلامه

وأحزانه ، واستجاب لواقع السياق ، ومعطيات اللغة نحويًا ودلاليًا وأبنيّةً ، مسخرًا ذلك كله للتنفيس عن شكواه

وعتبه في مواجهة الإنسان والعالم والزمان .

١-م "ديوان المتنبي" ص-٤٣٢/٤ .

٢-م "قراءات مع الشابي والمتبي والجاحظ وابن خلدون ، د/عبد السلام المسدي ص-٨٧ .

٣-م "قراءات مع الشابي والمتبي والجاحظ وابن خلدون ، د/عبد السلام المسدي ص-٩١ .

٤-م "ديوان المتنبي" ص-٢٧٦/٤ .

## ب- الصورة الفنية :

تتضافر عناصر القول الشعري بشكل تعاضدي لإخراج المعطى الشعري ، بحيث ينال

الرضى من لدن القائل والملقي .

من هنا جاءت أهمية الصورة الفنية كطريقة من طرق التعبير، أو شكل من أشكال الدلالة، لما تحدثه من معنى وتأثير.

والصورة الفنية في السياق الشعري ، بمعناها العام " تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة ، يقف العالم المحسوس في مقدمتها " (١)

ويستخدم الشاعر الصورة في إيضاح قوله ، كوسيلة للتعبير عن تجربته ، والتخفيف عن إحساسه ، وفي " نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه " (٢)

وتأخذ الصورة مكاناً متميزاً في سياق العمل الشعري ، " لما في الصورة من دفق شعوري فياض " (٣)

وتبرز مكانتها ، " لأنها أصلية في العمل الشعري وليست مجرد تأكيد له " (٤) وإعتماد الشاعر على الصورة ينبع من إحساسه لتجسيد أفكاره ، لا التصريح بها " لأن الصورة الفنية تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من إنتمائها إلى عالم الواقع " (٥) .

ومن هنا يجعل دلالة تعبيره قادرة على التحول من مادة لفظية إلى مادة تصويرية ، متى تمكن الشاعر - بفضل الأفق الواسع ، والرؤية الفنية - على توظيف هذا المجال الإبداعي ، في سياقه الشعري .

وتنطلق الصورة الشعرية من ذات المبدع ، وبما يقبض عليه من خيال و تصور ، يضيف على شعوره وتجربته ، إحساساً نافذاً ، يفضي به إلى الوصول إلى معان إنسانية وجمالية ، يصبها في قالب مؤثر لتحرك العواطف وتهز الوجدان ، لذا يعمد الشاعر إلى الصورة التي تلائم حالته " فأول خطوة في خلق الصورة هو أن يقرن الشاعر

نفسه إلى الأشياء التي تستهوي حواسه " (٦)

١-م " الصورة في الشعر العربي " د/علي البطل ص- ٣٠ .

٢-م " أصول النقد الأدبي " أحمد الشايب ص- ٢٤٢ .

٣-م " تشریح النص " د/ عبد الله الغدامي ص- ١٠٥ .

٤-م " المتبي قراءة " د/ محمد فترح ص- ٧٣ .

٥-م " التفسير النفسي للأدب " د/عز الدين إسماعيل ص- ٦٦ .

٦-م " الصورة الشعرية " تأليف سي دي لويس ص- ٦٧ .



والصورة الشعرية عند المتنبي في شعر الشكوى كانت تسير في سياقها المعنوي بحيث تخدم الغرض الأساسي لصياغة الشعر . وكأنها تفرض علينا نوعاً من الوقوف أمام المعنى ، والتأثر به .  
لذا كانت الصورة عند المتنبي أساسية ، لأنها " ميدان العمل الذي تظهر فيه مقدرة الشاعر ، ويبرز تمكنه من الصنعة " (١)

ولم تكن جدية الشكوى مانعة المتنبي من إخراج صورة المخرج الذي يرتضيه هو لها، بل التأكيد على ذلك، من خلال وحدة الإطار التي تدفع - أساساً - من وحدة المجال الذي تتناوله عناصر الصورة ، كقوله :

أعزمني طال هذا الليلُ ، فانظر  
أمنك الصبح .. يفرق أن يؤبوا  
كأن الفجر حيباً مستزاًزاً  
يُراعي من دُجنته رقيباً  
كأن نجومه حطى عليه  
وقد حُديت قوائمه الحيوباً  
كأنّ الجو قاسى ما أقاسى  
فصار سواده فيه شحوباً  
كأنّ دُجَاهَ يجذبها سُهادي  
فليس تغيب إلا أن يغيباً  
أقلب فيه أجفاني .. ، كأني  
أعد به على الدهر الذنوباً (٢)

وتتضافر العناصر التصويرية ، التي تصب في دائرة الغرض الأصلي ، فالفجر والنجوم والجو والدجى و غير ذلك من التدفقات التشبيهية ، وكأنها " تعطي نوعاً " من التراكم الذي تترادف عناصره على توكيد الفكرة الواحدة " (٣)  
وعناصر العمل الشعري يكملان بعضهما فتنهض الصورة مع بقية العناصر الأخرى ، من شكلية ولفظية ، بل أن المضمون بجوار الصورة .

" وكأنّ الناحيتين تكملان بعضهما البعض ، بل إن عناصر الشكل كلها مرتبطة و متشابكة ، تتعاون جميعاً في تصوير مادة الشعر وإعطائها لونها الحقيقي الجذاب " (٤)

١- م " الأسس الجمالية في النقد العربي " د/عز الدين إسماعيل ص ٢١٦ .

٢- م " ديوان المتنبي " ص ١ / ٢٦٦ / ٢٦٧ .

٣- م " شعر المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فوح / ص ٧٥ .

٤- م " اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري " د/مصطفى هدارة ص ٥٦٨ .

ومن مرتكزات الصورة ، التشبيه كقيمة فنية تساعد الشاعر على إيضاح الصور ، ورسم الفكرة لذا " يصبح التشبيه وسيلة ضرورية ، يتوسل بها الشاعر ليبين لنفسه حقيقة التجربة التي يعانها ، ويفضّح الجوانب الخفية منها " (١)

ومن هنا لا تكون الصورة بعيدة عن الموقف النفسي ، وكأنها رافدة من روافد تجسيد الهم ، وتصوير حدوده .  
يقول المتنبي :

أهمُّ بشيءٍ ، والليالي كأنها  
تطاردني عن كونه وأطارد  
وحيد من الخلان في كل بلدةٍ  
إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد (٢)

وكان التشبيه هنا مع طرفه الآخر ، الليالي ، رمزاً للإستمرار والفاعلية ، والديمومة ، التي تصطبغ بها معاناة الشاعر ، رسمها من خلال الطرد والسفر الدائم ، والرحيل المتواصل، وندرة الرفيق ، لذا جاءت الصورة مثمرة في إتجاهين ، أولهما : متاعب التَّنقل والسفر والغربة ، وثانيهما : الإحباط وخيبة المسعى .  
وعنصر التشبيه في شعر المتنبي الشاكي وفير ، ومن أبلغ صورته في التشبيهات أنه يصل لصورة تشي بالتلاشي والغياب ، وكأنه غير موجود ، يقول :

كفى بجسمي تحولاً ، أنني رجلٌ  
لولا مخاطبتي إياك لم ترني (٣)

ويقول في صورة أخرى :

رمانى الدهر بالأرزاء، حتى  
فؤادي في غشاء من نبال  
فصرت إذا أصابني سهامٌ  
تكسرت النصال على النصال (٤)

لذا فهو يسخر الصور في خدمة هدفه الأساس ، وأظهر مقدرة في إيصال الشكوى إلى المتلقي مما جعل مثل هذه الصور حاضرة في أذهان الأجيال ، من لدن عصره حتى يوم الناس هذا .

١-م " الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب " د/جابر عصفور ص-٣٤٢ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص-٣٩٣ / ٣٩٢ / ١ .

٣-م " ديوان المتنبي " ص-٣١٩ / ٤ .

٤-م " ديوان المتنبي " ص-١٤١ / ٣ .

وتأتي صور المتنبي حاملة الحركة و الحياة في الإطار الشعري ، الذي تصب فيه ، وتمثل في إنتزاع الصور الأبهى تعبيراً ، والأشدّ مشابهة لواقع الشاعر وحياته ، لذا يقول عنه أحد الباحثين إنه " أكثر شعراء العربية تعبيراً عن عواطفه ومشاعر نفسه ، ومن ثم كان في فنه أعظم الشعراء تعبيراً عن تجربته وحياته " (١)

وطريقة الصورة عند شعر المتنبي الشاكي لا تمثل سبيلاً واحداً ، من هنا جاءت ناذة عن التنظير و التعقيد ، لذا لا يمكن أن تكون المبالغة هي الإطار الذي تندثر به صور المتنبي ومع هذا هي مبالغة مقبولة ، ومعتدلة ، يقول في إحدى غزلياته ، مشكياً :

أسرُّ بتجديد الهوى ذكرَ ما مضى  
وإن كان لا يبقى له الحجر الصلْدُ  
سُهادُ أتانا منك في العين عندنا  
رُقاد ، وقلام رعى سربكم وردُ  
ممتلئة حتى كأن لم تفارقني  
وحتى كأن اليأس من وصلك الوعدُ  
وحتى تكاد تمسحين مدامعي  
ويعبق في ثوبيّ من ريحك الندُ (٢)

صور متلاحقة ، وتشبيهات متتابعة ، ومع ذلك لا تكاد تحس بأدنى أثر سلبي لمثل تلك المبالغة ، " لأن بنية الصورة تدرجت بنا فيما يشبه حلم اليقظة " (٣)

وصور المتنبي في شعره في هذا الإتجاه تجنح إلى الإغراق في الخيال ، معتمدة على الألفاظ الموحية ، وكأنها تجر القارئ للتركيز عليها ، يقول :

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا  
من بعدما أنشبن في مخالبا  
أوجدنني ، ووجدتُ حزناً واحداً  
متناهايا ، فجعلننه لي صاحبا  
ونصبنني غرض الرماة تصيبني  
محن أخذُ من السيوف مضاربا  
أظمتني الدنيا ، فلما جنثها  
مستسقياً ، مطرتُ على مصائبها (٤)

١- م " لغة الحب في شعر المتنبي " د/عبد الفتاح صالح نافع ص ٣٤٥ .

٢- م " الديوان " ص ٢ / ١٠٣ / ١٠٤ ، والقلام : نبات خيخث الرائحة .

٣- م " المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فوح ص ٨٢ .

٤- م " ديوان المتنبي " ص ٢٥٢ / ٢٥١ / ١ .

بعد قراءة هذه الأبيات نجد أنفسنا أمام صورة خالية مليئة بالإيحاءات النفسية ، والمعاناة الحزينة ، إستعار فيها للخطوب مخالبا ، توغلت في جسده ، والمحن في نفاذها أحد من السيف ، والظما وكأنه يحثه على التغيير، صورة توحى بتأزم حالته ، وضيق موقفه ، وحراجه وضعه ، حتى ترى الصور المتلاحقة تؤكد الشكوى ، وتعطي خلفية واضحة لمكوناتها الداخلي .

ومن براعة الصورة عند المتنبي في شعره الشاكي الإستعارة ، إنه يمنح الدهر جسداً له مذاق ، وأفعال ، فمن أفعاله أنه يعجب ، يقول :

الدهر يعجب من حملي نوائبه

وصبر جسمي على أحداثه الحطم (١)

وهو يهرم ، يقول :

أتى الزمان بنوه في شبيبه

فسرهم ، وأتيناها على الكبر (٢)

وهو في نسج صورة ذوقية في شكوى الزمان ، مستعيراً له الفعل " أذاق " كاشفاً عن خلجاته النفسية ، يقول :

أذاقني زمني بلوى شرقت بها

لو ذاقها لبكى من عاش وانتحبا (٣)

غير أن ظاهرة شكوى الزمان قد تفاقمت في عصر المتنبي إلى حدٍ أضحت معه لازمة لأي شاعر ، مما حدا بأحد

الباحثين أن يقول " إن هذا القول لو وقع على ظهر جبل لقصمه " (٤)

وتعدد الشكوى عند المتنبي أفرزت صوراً شتى من التشبيهات والإستعارات ، وكان الشكوى تلون القالب الشعري

بلونها ، لذا يكون التساؤل - بالإضافة لما سبق - من طريقة التعبير ، أو كناية عن خلجاته النفسية ، وسعيه

الدؤوب الذي يلزم اليأس في كل طريق يسلكها ،

١- م " ديوان المتنبي " ص ٢٩٥/٤ .

٢- م " ديوان المتنبي " ص ٢٩٦ /٤ .

٣- م " ديوان المتنبي " ص ٢٤٨ /١ .

٤- م " المجمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري " لعبد اللطيف الراوي ص ٢٥٣ .

يقول :

أين فضلي إذا قنعت من  
"م"  
الدهر يعيش معجَل التنكيد  
ضاق صدري وطال في طلب الرزق  
"م"  
قيامي وقلّ عنه قعودي (١)

ويحمل التساؤل هنا طابع الإحباط والحيرة والضعف والضيق ، وأوجز ذلك بقوله " ضاق صدري " .  
وتتبلور الصورة بأشكال أخرى ، كقوله في بيان فقره :

فسرت نحوك - لا ألوي على أحد -  
أحسُّ راحلتي الفقر والأدبا

حين يجعل من الفقر والأدب راحلتين يمتطيهما لمواصلة الإستجداء، و إكتساب المال .

ويلجأ المنتبى في بعض صورهِ إلى التخفيف والإقناع ، لتسليّة نفسه ، وتطبيب أوجاعها ،فهو حين ذكر الشكوى،  
يعقبها بحكمة تسلي نفسه ، وتخفف حالته النفسية ، يقول في شكوى الفراق :

وقفنا ، ومما زاد بثاً ووقفنا  
فريقي هوىّ منّا مشوقّ وشائق  
وقد صارت الأجفان قرحى من البكا  
وصار بهاراً في الخدود الشقائق (٢)

ثم يلجأ بعد ذلك مباشرة إلى الحكمة والتبصر والتسليّة ، قائلاً :

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة  
وميتٌ ومولودٌ وقال وواقمٌ (٣)

فكأنه هنا يغري نفسه بأنه الفراق من سنن الكون .

والميزة اللفظية جاءت عفو الخاطر في سياقات الشكوى ، وهي تخدم التناقضات بين المعاني ، لذا وجد الطباق  
مجالاً للظهور ،

١-م \* ديوان المتبي \* ص-٢ / ٤٤ .

٢-م \* ديوان المتبي \* ص-٣ / ٨٢ .

٣-م \* ديوان المتبي \* ص-٣ / ٨٣ .

يقول المتنبي :

قليل عاندي ، سقم فؤادي

كثير حاسدي صعب مرامي (١)

فقد طابق بين " قليل " ، و " كثير " ، وتستمر الصورة في التناقض ، حين يلمّ المتنبي ببعض الطباقات ، وكأنها صورة لمحتواه الداخلي ، ومعاناته بين ما يرى ، وما تريد ، يقول :

أغالب فيك الشوق ، والشوق أغلب

و أعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب

أما تغلظ الأيام فيّ بأن أرى

بغيضاً تنائي ، أو حبيباً تقرب (٢)

فشكوى الأيام التي أولعت بإبعاد من يحب ، وتقريب من يكره ، ليست فيها ثوب الطباق بين " الوصل " ، و "الهجر" في البيت الأول وبين " النأي " و " القرب ، والحبيب " و " البغيض "

في البيت الثاني :

ومن ألوان الصنعة التي أصطبغ بها شعر الشكوى عند المتنبي " التقسيم ، وهو " أن يذكر قسمة

ذات جزئين أو أكثر ثم يضيف إلى كل واحد من الأقسام ما يليق به " (٣)

أو بعبارة أخرى هو " تجزئة الوزن إلى مواقف " (٤) ، فأضاف هذا اللون مسحة جمالية ساعدت على إيضاح

الصورة وشرح المعنى ، عن طريق الشكل الملائم ، والجمالي الإيقاعي ، وخاصة إذا جاء عفو خاطر ، مثل

قوله :

الحزن يقلق ، والتجمل يردع

والدمع بينهما عصي طبع (٥)

١-م " ديوان المتنبي " ص٤ / ٢٦٧ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص١ / ٣٠١ .

٣-م " التكرار بين المثير والتأثير " د/ عز الدين علي السيد / دار الطباعة المحمدية / القاهرة / الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

٤-م " المرشد لفهم أشعار العرب " ص٧٠٢ / ٢ / د/ عبدالله الطيب المنجد .

٥-م " ديوان المتنبي " ص٣ / ١٢ .

ثم يوزع المعنى بشكل آخر بعد ذلك مباشرة ، يقول :

يتنازعان دموع عين مسهد  
هذا يجئ بها وهذا يرجع (١)

ومثال قوله :

أرق على أرق ، ومثلي يارق  
وجوى يزيد ، وعبرة تترقرق  
جهد الصباية أن تكون كما أرى  
عين مسهدة ، وقلب يخفق (٢)

ولقد كثر هذا النوع في شعر المتنبي الشاكي في مثل قوله :

وحيد من الخلان في كل بلدة  
إذا عظم المطلوب قلّ المساعد (٣)

ومثل قوله :

فالموت أعذر لي ، والصبر أجملُ بي  
والبرُّ أوسع لي ، والدنيا لمن غلبا (٤)

ومثل قوله :

قليل عاندي ، سقم فؤادي  
كثير حاسدي ، صعب مرامي  
عليل الجسم ممتنع القيام  
شديد السكر من غير المدام (٥)

وهذا الأخير يمثل التقسيم المتساوي ، والذي يتخذ من الشكل المتوازي ثوباً له .

وأخيراً من خلال الصور والشواهد الماضية ، تظهر أهمية الصورة في شرح الهم ، وإبراز الشكوى ، وصيغ

المعنى بقوة الدلالة ، وذلك لما تختزله الصورة من جمال بلاغي مشرق .

هذا إضافة لما يتمتع به المتنبي من خيال خصب ، وتعبير براق ، ليسمو بالصورة والتجربة التي أتى بها إلى

مدارج الجودة ، والتي أبرزت خفقاته الحزينة ، وحمولاته الشاكية ، فعكسَ إلى حد كبير أشجانه وشجونه .

١- ديوان المتنبي " ص ٣ / ١٢ .

٢- المصدر نفسه ص ٣ / ٧٣ .

٣- نفسه ص ١ / ٣٩٣ .

٤- نفسه ص ١ / ٢٤٩ .

٥- نفسه ص ٤ / ٢٧٦ .

### ٣- الوحدة الموضوعية :

امتزج شعر الشكوى عند المتنبي بإنكسار أحلامه ، وغياب أمه ، وكثرة إحباطه ، بل تجاوز

ذلك إلى اختلاط مدح الآخرين بشجونه و أحرانه .

وعلى هذا يمكن أن أقول إن قصيدتين عند المتنبي في هذا النوع من الشعر ، قد تحققت فيهما الوحدة الموضوعية

بشكل متكامل ، وهما قصيدته التي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم بأمر فيك تجديد (١)

وقصيدته الأخرى التي يقول في بدايتها :

صحب الناس قبلنا ذا الزمان

وعناهم من شأنه ما عانا (٢)

هتان القصيدتان لا تخرجان عن الشكوى إلا للحكمة التي تؤيد الشكوى ، وتؤكد عليها ، أو للهجاء الذي يبرر

الشكوى ، ويساند حضورها .

أما إذا نظرنا إلى شعر المتنبي الشاكي في ألوانه المختلفة ، نجد أنه لم يكن ذا نسق متناسق .

بحيث نجد الأبيات مبثوثة في ثنايا القصيدة الواحدة هنا وهناك ، تشير إلى الشكوى وتضم معها أغراضاً أخرى .

ويكثر أن تكون الشكوى في مطلع القصيدة ، مثل قوله :

الحزن يقلق والتجمل يردع

والدمع بينهما عصي طبع (٣)

أو قوله :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن (٤)

١- م " ديوان المتنبي " ص ١٣٩/٢ .

٢- المصدر نفسه ص ٣٧٠ / ٤ .

٣- نفسه ص ١٢ / ٣ .

٤- نفسه ص ٣٤١ / ٤ .



## الفصل الثالث

الخصائص الفنية لشعر الشكوى

أو قوله :

أودُّ من الأيام ، لا توده

(١) وأشكو إليها بيننا ، وهي جنده

أو قوله :

لا خيل عندك تهديها ، ولا مال

(٢) فليسعد النطق ، أن لم تسعد الحالُ

أو قوله :

نرى عظماً بالبين والصد أعظم

(٣) ونتهم الواشين والدمع منهم

أو قوله :

كُفِّي أرني وبكِ لومكِ ألوما

(٤) همُّ أقام على فؤاد أنجما

أو قوله :

أرقُّ على أرق ، مثلي يارق

(٥) وجوى يزيد ، عبرة تترقرق

أو قوله :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا

(٦) فلم أدري أيّ الظاعنين أشيعُ

أو قوله :

أحيا ، وأيسر ما قاسيت ما قتلا

(٧) والبين جار على ضعفي وما عدلا

أو قوله :

عزيز أسى من داؤه الحدق النجل

(٨) عياءً به مات المحبون من قبلُ

أو قوله :

أبلى الهوى - أسفاً - يوم النوى بدني

(٩) وفرق الهجر بين الجفن والوسن

١-م " ديوان المتبي " ص-٢ / ١١٩ .

٢- المصدر نفسه ص-٣ / ٣٩٤ .

٣- نفسه ص-٤ / ٢٠٢ .

٤- نفسه ص-٤ / ١٤٣ .

٥- نفسه ص-٣ / ٧٣ .

٦- نفسه ص-٢ / ٣٤٤ .

٧- نفسه ص-٣ / ٢٨٢ .

٨- نفسه ص-٣ / ٢٩٦ .

٩- نفسه ص-٤ / ٣١٧ .

- أو قوله :
- الحب ما منع الكلام الألسنا  
 وألذُّ شكوى عاشق ما أعلننا (١)
- أو قوله :
- قد علم البينُ منا البينُ أجفانا  
 تدمي ، وألف في ذا القلب أحزاننا (٢)
- أو قوله :
- إثلت فإنا أيها الطلل  
 نبكي وترزم تحتنا الإبلُ (٣)
- أو قوله :
- ذكر الصبى ، ومراتع الأرام  
 جلبت حمامي قبل وقت حمامي (٤)
- أو قوله :
- بم التعلل ، لا أهل ولا سكن  
 ولا نديم ولا كأس ولا وطن (٥)
- أو قوله :
- ضيفَ ألم برأسي غير محتشم  
 والسيف أحسن فعلاً منه باللمم (٦)
- أو قوله :
- كفى بك داعٍ أن ترى الموت شافيا  
 وحسب المنايا أن يكن أماتيا (٧)
- أو قوله :
- أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا  
 وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا (٨)
- أو قوله :
- ملامي النوى في ظلمها غاية الظلم  
 لعلّ بها مثل الذي من السقم (٩)
- أو قوله :
- واصر قلباه ممن قلبه شيم  
 ومن بجسمي وحالي عنده سقم (١٠)

١-م " ديوان المتنبي " ص ٣٢٧ / ٤ .

٢- المصدر نفسه ص ٣٥١ / ٤ .

٣- نفسه ص ١٥ / ٤ .

٤- نفسه ص ١١٩ / ٤ .

٥- نفسه ص ٣٦٣ / ٤ .

٦- نفسه ص ١٥٠ / ٤ .

٧- نفسه ص ٤١٧ / ٤ .

٨- نفسه ص ٤٣٢ / ٤ .

٩- نفسه ص ١٦٥ / ٤ .

١٠- نفسه ص ٨٠ / ٤ .

ولو ذهبت أستقرئ المطالع التي تصطبغ بلون الشكوى ، لطال الإستقراء ويكفي هذا القدر .

وقد قصدت من خلال هذا التكتيف للشواهد ، إبراز مكانة الشكوى عند المتنبي ، وأنها في مقدمة قصائده ، بحيث تكون من الأهمية سابقة الأغراض الأخرى .

والحديث عن الوحدة الموضوعية عند المتنبي في شعر الشكوى، لا يحدده جانب واحد، لأن قصائد المتنبي لا تنتظم في وحدة موضوعية واحدة . (١)

وهذا يفقد القصيدة عنصراً أساسياً في سياق الحديث عن الوحدة الموضوعية . والتي هي " وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع . وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور و الأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء ووظيفته فيها . ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر " (٢)

والملاحظ أن الوحدة الموضوعية وفق هذا المنظور سوف تتبعثر في كل القصائد (٣) ، وتبدو أطراف الصورة مبتورة الأوصال ، لأنها افتقدت عنصر الترابط والتداعي والانسحاب ، إذ قد ينتقل - وهو في غمرة انفعاله وشكواه - إلى مدح أو غزل .

ويمكن أن تكون الوحدة النفسية معادلاً موضوعياً - في قصائد شكوى المتنبي - للوحدة الموضوعية ، ولكن تبقى الفكرة العامة التي تجعل الشكوى بنية فكرية مترابطة مفقودة في هذا الصدد .

وهنا تعطي القصيدة بكاملها حالة وجدانية ونفسية - بشكل أكبر - من إعطائها وحدة موضوعية .

والشاعر هنا " لم يكن ينظم قصائده وفقاً لتقاليد فنية يطيعها وحدها ، وإنما كان يصدر عن دوافع وحالات نفسية تملئ عليه أن يأخذ بهذا المنهج أو ذاك " (٤)

١١ - عدا قصيدتين سبق ذكرهما .

٢ - " النقد الأدبي الحديث " د/ محمد غنيمي هلال ص- ٣٧٣ .

٣ - ما عدا القصيدتين اللتين ذكرتهما في بداية الفقرة .

٤ - " وحدة القصيدة في الشعر العربي " حياة جاسم ص- ١٦٢ .

وبهذا يصبح الخيط الذي ينتظم أغراض القصيدة ، بشكل كامل هو " عاطفة واحدة تظهر في شكلها الإيجابي متمثلة في عاطفة الحب ، وتظهر في شكلها السلبي متمثلة في عاطفة البغض " (١) لذا تلعب العاطفة والظروف النفسية دورها في تحديد الجو العام للقصيدة ، وتشكيل سياقها الموضوعي والشعوري . من هنا " نستطيع أن نتخذ من التوتر عند الشاعر أساساً دينامياً لوحدة القصيدة ، فهو يساهم بنصيب كبير في تحديد الهدف والطريق إليه " (٢)

وشعر المتنبي بعامة تنتظمه الهموم وأعباء الطموح ، وتعب الحياة ، ومصارعة الأيام ، من هنا تصبح وحدة الموضوع ، تضم الشكوى وغيرها من الأغراض ، التي يحييها صدق المشاعر ، وإخلاص الشاعر لفنه ، وبراعته التعبيرية عن دواخل نفسه ، وخلجات وجدانه ، وبهذا تحقق وحدة موضوعية من نوع آخر ، قوامها الأحاسيس المتشابهة ، والتجربة الشعورية ، ولحظة الإبداع ، ومن هنا تصبح الشكوى متجاوزة إلى الأغراض الأخرى ، " مادامت هناك عاطفة واحدة تشد الأغراض إلى بعضها " (٣)

ف نجد في قصيدته التي يقول في مطلعها :

ليالي بعض الظاعنين شكول  
طوال ، وليل العاشقين طويل (٤)

وهي من مدح سيف الدولة ، ولكن بعض الأبيات يعود إلى الحزن والهم ، ليدخل مشاكله مع الآخرين في سياق النص ، قائلًا :

وما لكلام الناس فيما يُرييني  
أصول ، ولا للقائله أصول  
أعادى على ما يُوجب الحب للفتى  
وأهدأ ، والأفكار فيّ تجول  
سوى وجع الحساد داء ، فإنه  
إذا حلّ في قلب ، فليس يحول  
وإنا لنلقى الحادثان بأنفس  
كثير الرزايا ، عندهن قليل  
يهون علينا أن تُصابَ جُسمنا  
وتسلم أعراضنا لنا وعقول (٥)

١- م " وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي " حياة جاسم ص ٢٥٨ .

٢- م " الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة " د/ مصطفى سويف ص ٣٠٦ .

٣- م " لغة الحب في شعر المتنبي " د/ عبد الفتاح صالح نافع ص ٣٤٥ .

٤- م " ديوان المتنبي " ص ٢١٧ / ٣ .

٥- م " ديوان المتنبي " ص ٢٣٠ / ٣ .

وكان الوحدة النفسية تجمع ما بين كافة الأغراض .

وقد توفر للمتنبى من الوحدة النفسية ما جعله يعبر عن تجربته بشكل متميز ، فقد كان في شعره " أعظم الشعراء

تعبيراً عن تجربته وحياته ، وبقدر ما كانت عاطفته معبرة عن هذه التجربة بقدر ما كان يوفر لقصائده الوحدة

الشعرية الحقّة" (١)

لذا تحقق في شكواه تدفق الوحدة الشعورية ، وضمت الشكوى ، والأمين والتعب ، إضافة إلى العواطف و المشاعر

المتألّمة ، يقول :

عيد بأية حال عدت يا عيد  
بما مضى ، أم لأمر فيك تجديد ؟!  
أما الأحبة فالبيداء دونهم  
فليت دونك يبدأ و دونها يبدأ

وتسير القصيدة على هذا النحو ، حتى يقول :

لم يترك الدهر من قلبي ، ولا كبدي  
شييناً تُتيمه عينٌ ولا جيد  
يا ساقِي أحمرٍ في كُنوسكما  
أم في كنوسكما همٌ وتسهيذُ  
أ صخرة أنا مالي لا تُحركني  
هذي المدام ، ولا هذي الأغاريد  
إذا أردت كميث اللون صافية  
وجدتها " جبيت القلب مفقود  
ماذا لقيت من الدنيا ، و أعجبه  
أني بما أنا بأك منه محسود(٢)

وتستمر القصيدة بجو نفسي واحد ، ووحدة شعورية حادة ، لأن العيد بعثر شعور المتنبى مما أعطى مجالاً خصباً

لتعميق الدلالة على واقعه المرير و نفسيته المحطمة .

١- م " لغة الحب في شعر المتنبى " د/ عبد الفتاح صالح ص ٣٤٥ .

٢- م " ديوان المتنبى " ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢ / .

حتى وإن ضم في قصيدته بعض الهجاء ، فهو لا يخرج عن إطار الشكوى ، لأن دافع الهجاء ينبثق من حقل الشكوى .

وكانت فرحة العيد طافحة بذكرات الأحب والأهل ، زاد على ذلك ما كان يشعر به من غربة في إقامته عند كافور وما لقيه من أتعاب في زمانه ، فجاءت هذه القصيدة كوثيقة على حزنه وألمه ، فلا الخمر تسلية ، ولا النساء تعزية .

وبهذا تأتي مقدمة القصيدة كمدخل لجو نفسي كئيب ، يمتد حتى آخر بيت في القصيدة . يتضح ذلك من خلال مدخل القصيدة ، والشكوى من الإخفاق ، وذم كافور ، وقدم العيد ، الذي فجر المعاناة ، وصورها بوحدة شعورية مترابطة تفصح عن سقوط الشاعر ، وانهيار نفسيته ، تحت وطأة اليأس ، ومصارعة الواقع ، مما حدا بالدكتور/عبد بدوي أن يقول عن هذه القصيدة أنها "إنهيار جانب من نفسية المتنبي" (١) ، بل يجزم أنها "تجسيد مأساته" (٢)

وبهذا تكون الوحدة النفسية والشعورية هي الخيط الذي ينتظم القصيدة .

بقي نوع ثالث من وحدة الموضوع ، ويتمثل في قصائد كتبت في غرض واحد ، مثل الشكوى من السجن ، أو الشكوى من الحمى ، فقد كانت هذه تتراوح بين القصر والطول ، يقول في مقطوعته في السجن :

أهون بطول الثواء والتلف  
والسجن والقيد يا أبا دُلف (٣)  
غير اختيار قبلتُ برك بي  
والجوع يرضي الأسود بالجيف  
كن أيها السجن كيف شئت فقد  
وطئت للموت نفس معترف  
لو كان سكناي فيك منقصة  
لم يكن الدر ساكن الصدف (٤)

نجد الوحدة الموضوعية متحققة لأنها جاءت في سياق غرض واحد ، وهو السجن والجوع والإنكسار اللذان أحس بهما المتنبي فيه . (٥)

١-م "دراسات في النص الشعري" العصر العباسي "د/عبد بدوي ص١٩٢ .

٢-المرجع السابق ص١٨٨ .

٣-أبو دلف "سجان الوالي" راجع الديوان ص٢٣/ ٢٣ .

٤-م "ديوان المتنبي" ص٢٣/ ٢٣/ ٢٤ .

٥-مثل هذه المقطوعة يمكن أن تدخل قصيدة الحمى راجع "ديوان المتنبي" ص٢٧٢/٤ .

#### ٤- المعجم الإيقاعي :

يشكل الإيقاع الشعري بأوزانه وقوافيه علامة من عناصر البناء الشعري ، فهي " تميز الشعر

عن النثر " (١) كما يتمتع الإيقاع بخصيصة من خصائص اللغة ، تجعل التأثير على المتلقي يرتبط بالشعر عن طريق الأذن ، بالإضافة إلى العوامل الأخرى المؤثرة في إنشاء الشعر .

وهذه الخصيصة تعطي في بعدها الآخر جانباً من عواطف وأحاسيس الشاعر ، التي تنعكس على الموقف النفسي وعالم الشعر الخارجي . لما للإيقاع من دور بارز في إخراج الصورة الشعرية بإطار خارجي أنيق ، يتمثل في الموسيقى .

وتتميل دراسة الإيقاع إلى إبراز سمات هذا الصوت ، ومقدار هذا الإطار ، لما يمثله من أنغام ، تعين على الكشف عن حالة الشاعر ، وتجربته الشعرية ، ومدى وضوح التوتر النفسي في سياق تعابيره الإيقاعية .

فالآلم الذي يعبر عنه بالصوت ، يؤثر فينا على وجه العموم ، تأثيراً روحياً أبلغ من تأثير الألم الذي يعبر عنه بقسمات الوجه وحتى الحركات " (٢) فمقدار النبوة ، وقوة الحرف ، ونوعية الصوت تمنح الإيقاع درجة عالية النهوض بأحاسيس الإنسان ، والتعبير عن إنفعالاته ونبض فؤاده .

ولعل البحث في الإيقاع وعلاقته بالشكوى بحث يعتمد على الوحدة الموضوعية بشكل كبير ، لأنه ليست هناك قصائد منفردة في غرض واحد ، بل تأتي القصيدة تضم أشتاتاً من الأغراض بحيث " يقترن النسب فيها بالوصف وقد يفضي هذان إلى مديح، وقد يجتمع إلى هذا كله شكوى الدهر أو التبصير في عبر الأيام ،ومن ثم يظل الإحتكام إلى مبدأ تصنيف الأغراض الشعرية - في قياس مدى الموائمة بينها وبين إيقاعات بذاتها - دائرة في إطار الافتراض المحض " (٣)

لذا تبقى نتائج دراسة البحور وعلاقتها بالغرض الشعري ، تعطي إنطباعاً وصفيّاً لا بعداً معيارياً .

١-م " موسيقى الشعر " د/ إبراهيم أنيس ص٢٧ .

٢-م " الشعراء وإنشاد الشعر " علي الجندي ص٩٢ .

٣-م " المتبي قراءة أخرى " د/ محمد فوح ص١٣٤ .



وتصبح ظاهرة دوران الشعر في بحر " ما " ، وضموره في بحور أخرى " نتائج مشروعة ، أما القفز من هذه المؤشرات الإحصائية إلى تقنين علاقة الإيقاع بنوع العاطفة أو الموضوع أو الغرض ، فأمر لا يخلص تماماً من الذاتية ، والتقنين القاطع فيه غير وارد، فضلاً عن أن المحاولات التي بذلت بصدده لم تلق نجاحاً يذكر، وظلت - على العموم - رهينة إجتهد أصحابها "

وأول ما يمكن الحديث عنه في صدد المعجم الإيقاعي هو الأوزان ، والتي تحمل حمولات الشعر بعد أن يمر على الصور والتراكيب والألفاظ والمعاني ، فتخرج في إطار إيقاعي يلائم التجربة الشعرية المبتوثة في ثنايا القصيدة . والمتنبى في شعره الشاكي الذي اندس بين قصائده ، يحمل نفس السمات العامة لمعجمه الإيقاعي ، بحيث أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء ، إلا في أمور قد تظهر من خلال ملاحظة هذا المعجم . ومن خلال جدول سوف نعرف البحور المستخدمة ، والبحور المهجورة ، والبحور النادرة ، والسمتوسطة في حضورها في معجم المتنبى الإيقاعي .

التسلسل	البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية	ملاحظات
١	الطويل	١٦٨٤	٣٠,٣%	
٢	الكامل	٩٢٧	١٦,٧%	
٣	البسيط	٨٠٧	١٤,٥%	
٤	الوافر	٧٦٣	١٣,٧%	
٥	الخفيف	٤٦٥	٨,٤%	
٦	المنسرح	٣٥٥	٦,٤%	
٧	المتقارب	٢٧٨	٥,٠%	
٨	السريع	١١٨	٢,١%	
٩	الرجز	١٠٩	٢,٠%	
١٠	المجثث	٣٦	٠,٦٥%	
١١	الرمل	١٤	٠,٢٥%	(٢)
		٥٥٥٦	المجموع	

١-م " المتنبى قراءة أخرى " د/ محمد فتوح ص-١٣٤ .

٢-يراجع في ذلك ديوان المتنبى بشرح المكبري ، ويضاف إلى ذلك استفادة من دراسة في كتاب " المتنبى قراءة أخرى " د/محمد فتوح ص-١٣٨ .

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى الحكم التسرعى أطلقه الدكتور / عبد الله الطيب عندما قال : "وقد كان أبو الطيب المتنبى من رجال التأمل والحكم والوثبات العقلية العميقة ، وقد أدرك بفطرته الصادقة أن البحر الكامل لم يخلقه الله له فتحاماه ، في الكثير الغالب ، على أنه قد تعاطاه في بعض قصائده " (١)

ومن خلال الرصد السابق يدل واقع أبي الطيب الشعري بأن المتنبى لم يتحام بحر الكامل ، بل إن له الأولوية في شعره بحيث استعمل هذا البحر في حوالي عشرين مقطوعة ، وأكثر من خمس وعشرين قصيده تجاوزت في محصلتها النهائية ما يصل إلى ألف بيت تقريباً من ديوان الشاعر ، بل يأتي هذا البحر بالمرتبة الثانية بعد البحر الطويل فكيف يكون المتنبى " أدرك بفطرته الصادقة أن البحر الكامل لم يخلقه الله له فتحاماه "

وإذا استبعدنا علاقة البحر بالغرض ، بل إنه ليس هناك - برأينا - أدنى إتصال بينهما ، ولا يمكن أن نخرج

قاعدة مطردة ، إنما هي إجتهدات تصح في موضع ، وتخالف الصواب في موضع آخر (٢)

وتختلف القدرة الشعرية من شاعر لآخر في كل غرض ، لذا يمكن أن نقول إن الأحاسيس والحالة النفسية والإضطرابات الإنفعالية تتفاوت ، وتتراوح تبعاً لهذه القدرة .

كما يمكن القول ، إن الموسيقى ، تأتي استجابة تلقائية ، حين تكون التجربة الشعرية في فورة عنفوانها . فيتداخل - في هذه الحالة - البحر ، ويصبح كل قالب إيقاعي ، وكل وزن صالح لإحتواء التجربة الشعرية أياً كان غرضها ومن هنا جاء إهتمام الشعراء بفضل المعجم الإيقاعي الذي يستوعب إنفعالاته وعواطفهم حتى تظهر التجربة الشعرية في أبها مظاهرها .

" ومن الجلي أن أبا الطيب في معجمه الإيقاعي لا يتحرك في كل المسافة الموسيقية التي استوعبها العروض

العربي من الناحية النظرية " (٣) ،

١-م " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " د/عبد الله الطيب /ص١-٢٦٥ .

٢-م مثلاً إلى " لغة الحب في شعر المتنبى " د/عبد الفتاح صالح ص٢٩٥ .

وانظر " موسيقى الشعر " د/إبراهيم أنيس ص١٩٦ . وانظر مثلاً " منهج البلغاء وسراج الأدباء " وشرح ذلك في ما بين ٢٦٥ / ٢٧٠ .

وانظر مثلاً " دراسات في العصر العباسي " د/عبد بدوي /حين يقول ص١٨٠

" العقيدة من البحر الطويل ، وهو يتفق وحالات الحزن الرفيع ، والإنكسار المتعالي "

٣-م " المتنبى قراءة أخرى " د/محمد فروح .

لذا كان التفاوت متبايناً بين استعمال بحر وآخر إذا يمكن القول إن بحر الطويل والكامل والبسيط والوافر ، قد استوعب نصف شعره تقريباً ، مما يدل على أنه يركز على البحور التي سبق ذكرها .

" بل إن من بين هذه الأنماط المستعملة خمسة لا يتجاوز ما نظم في مجموعها نسبة ٢٤% من جملة شعره ، وهي نسبة لا تصل إلى النسبة التي بلغها وزن الطويل وحده " (١)

لذا يمكن القول إن إمتداد الوزن ، ورحابة مقاطعه ، وطول حملته ، تمنح الشاعر فرصة للتحرك في ثنايا المساحة الإيقاعية المقننة للقالب الشعري .

ومن هنا جاء دور المتنبي حول البحر الطويل ، الذي يمنح سعة المسافة ، وإفساح النغم ، وإمتداد المقطع ، أو كتعبير بعضهم ، أن له " أبهة وجلالة " (٢) لذا يقول د/ علي شلق " راعى المتنبي جوّ الحالة الشعرية ، التي كانت تطيف بكيانه وتطوف في فضاء ذاته ، وأختار لها بوعي قاصد ، وبلا شعور الوزن الذي يلائمها ، واستجابت له القافية المناسبة ، والرويّ المتمم لذلك التناغم بين الحالة والتعبير " (٣)

ونلاحظ أن هذا الاختيار يضم " غرض الشكوى " كأحد الأغراض القوية في شعر المتنبي، فإذا كان بصدده راعت تجربته الشعرية ذلك ، واستجاب له الوزن ولو قرأنا قصيدة " الحمى " لرأينا الانسجام قائماً بين الحالة الشعرية والوزن المناسب أنظر مثلاً - تشكيه - من الحمى ، قائلاً :

أقمتُ بأرض مصر فلا ورائي  
تخبُّ بي المطيُّ ، ولا أمامي  
وملني الفراشُ ، وكان جنبي  
يملُّ لقاءه في كل عام  
قليل عائدي ، سقمٌ فؤادي  
كثير حاسدي ، صعبٌ مرامي  
عليل الجسم ممتنعُ القيام  
شديد السكر من غير المدام  
وزائرتي كأن بها حياءَ  
فليس تزور ، إلا في الظلام

١- م " المتنبي قراءة أخرى " د/ محمد فروح ص-١٣٩ .

٢- م " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " د/ عبد الله الطيب ص-٣٩٢ .

٣- م " المتنبي شاعر ألفاظه تروج فرساناً فأسر الزمان " د/علي شلق ص-٢٢٧ .

بذلت لها المطارف والحشايا  
فعاقتها ونامت في عظامي  
يضيق الصدر عن نفسي وعنهما  
فتوسعه ، بأنواع السقام  
إذا فارقتنني غسلتني  
كأنا عاكفان على حرام (١)

فالاتسجام والتوازن واضحان في الأبيات السابقة وحيث تلامت معاناة الشاعر المرضية مع الوزن الذي جاء به ، وهو بحر " الوافر " ، مما يتميز به من وحدات إيقاعية ينم بمقاطعها وتنوعها ونبرتها الحزينة عن المخبأ من أحاسيس أليمة ، ومعاناة شديدة .

مقاطع الأبيات السابقة مليئة بحمل مثل قليل عاندي ، سقم فؤادي ، كثير حاسدي ، صعب مرامي ، عليل الجسم ، ممتنع القيام ، شديد السكر ، بذلت لها المطارف ، باتت في عظامي ، يضيق الجلد عنها ، إذا ما فارقتنني غسلتني ، كأنا عاكفان على حرام " جمل القصيدة تراعي الحالة الصحية التي لا تجعله يسترسل في الجمل الطويلة ، ومن هنا تأتي أهمية المقاطع النغمية والمسافة الصوتية ، وكأن الحالة التي هو فيها من " المشاعر تطلبت بحراً قصيراً يتلائم وسرعة التنفس ، وازدياد ضربات القلب " (٢) ولعله لا يغيب عن الذهن ، ما وجد في هذه القصيدة من " تصريح " آخر ، يتمثل في قول المتنبي :

عليل الجسم ممتنع القيام  
شديد السكر، من غير المدام (٣)

وكان القصيدة كتبت في وقتين متفاوتين .

١- م " ديوان المتنبي " ص٤/٢٧٦ .

٢- م " المتنبي قراءة أخرى " د/ محمد فتوح ص١٣٥ .

٣- م " ديوان المتنبي " ص٤/٢٧٦ .

وتستجيب الحالة الشعورية لحالته النفسية ، في سياقات المتنبي الشعرية ، نظراً لمراعاة المتنبي للجو العام الذي يعيش فيه ، ويفضحه التعبير الداخلي المتمثل في المفردة ، والمعجم الإيقاعي المتمثل في الوزن ، كما في قوله :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا  
وحسبُ المنايا أن يكن أمانيا  
تمنيتها لما ، تمنيت أن ترى  
صديقاً فأعيا ، أوعدوا مداجيا

إلى أن يقول :

حبيبك قلبي قبل حبك من نأى  
وقد كان عذراً ، فكن أنت وافيا  
وأعلم أن البين يشكيك بعده  
فلست فؤادي ، إن رأيتك شاكيا  
فإن دموع العين غدرٌ برّبها  
إذا كان إثر الغادرين جواريا  
أقلّ اشتياقاً أيها القلب ، ربما  
رأيتك تصفى الودّ ، من ليس صافيا (١)

نلمس في هذه الأبيات حجم الرقعة الإيقاعية ، التي استطاعت أن تنقلنا إلى الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر ، من خلال هذه المحادثة الثنائية بينه وبين نفسه ، وقد جاء الإيقاع مستوعباً للشحنات الداخلية ، " ومشاعر اليأس والجزع تقتدي - عادة - وزناً طويلاً كثير المقاطع " (٢)

ومن ثم يمكن أن نقول إن أبا الطيب حقق لشعره إيقاعاً خاصاً ومتفرداً يتكون من الاشراق المزدوج المؤلف من إيقاع الوزن الشعري ومن أنبل شكل اللغة العادية " (٣) .

ويدخل بعض شعر المتنبي الشاكي ، في المقاطع الموسقة ، مثل قوله :

فالموت أعذر لي ، والصبر أجمل بي  
والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا (٤)

١-م ديوان المتنبي " ص-٤١٧/٤ وما بعدها .

٢-م " المتنبي قراءة أخرى " د/محمد فتح ص-١٣٥ .

٣-م " المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين " د/حسن الإمراي ص-٣٠٢ .

٤-م " ديوان المتنبي " ص-٢٤٩/١ .

ومثل قوله ذلك التوازن الإيقاعي مثل قوله :

وقد أراني الشباب الروح في بدني  
وقد أراني المشيب الروح في بدلي (١)

وطالما أن " الإيقاع منطلق رياضي ، موسيقي ، معماري ، غايته الجمالية .. .. اندغام ، وتناغم ، مع السيرورة الكونية ، حيث الوجود كله وحدة نغمية كبرى " (٢) ، سوف يقودنا هذا إلى التعرض للقافية بصفتها شريكه الوزن في الاختصاص بالشعر " (٣)

وتتمثل أهمية القافية على صعيدين هما ، ما تشكله من قيمة زخرفية ، وعلامة جمالية للنواحي الإيقاعية كخاتمة للبيت الشعري، وعلى صعيد آخر أن " للقافية دورها في تأكيد المعنى باعتبارها النهاية البارزة للوزن في البيت" (٤) بحيث يصبح الصوت النغمي متوافقاً مع الألفاظ المبتوثة في بقية البيت لتنهض بغاية متفردة تتوج بإدخال القارئ إلى صميم التجربة الشعرية .

أما من حيث القافية فإن حروف الباء ، والذال ، والميم ، والراء ، واللام أكثر الحروف وروداً في قوافيه ، لما فيها من ملائمة للصخب ، والضجيج ، والشدة ، وذلك من مزاج الشاعر " (٥)

ومن إستخداماته في قافية الدال قوله :

عيداً بأية حال ، عدتُ يا عيد  
بما مضى أم لأمر فيك تجديد  
أما الأحبة فالبيداء دونهم  
فليت دونك بيداً و دونها بيدُ (٦)

ومثل هذه القصيدة بكاملها تضم " الغضب والسكون و الإستسلام والانفجار ، ولهذا جاءت قصيدته تعبيراً عن هذه الحالة، من خلال تشكيلها اللغوي، فحرف " الدال " المضمومة يتكرر ثلاثين مرة، وهو مقطع قصير يتردد في سرعة

١-م "ديوان المتنبي" ص-٣ / ٢٠٢ .

٢-م " المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرساناً تأثر الزمان " د/علي شلق ص-٢٢٣ .

٣-م " العمدة " لابن رشيق ١ / ١٥١ .

٤-م " مفهوم الشعر " د/ جابر عصفور ص-٤٠٧ .

٥-م " المتنبي شاعراً ألفاظه تتوهج فرساناً تأسر الزمان " د/علي شلق ص-٢٢٨ .

٦-م "ديوان المتنبي" ص-٢ / ١٣٩ / ١٤٠ .

لاهتة ، والبدال حرف صامت مجهور سني إنفجاري ، والضمة من الأصوات الأساسية في اللغة العربية . فتأمل جيداً إشعاعات هذا الحرف الصامت المنفجر في نفس الوقت من خلال الضمة التي عليه ، إذ تردد ثلاثين مرة عبر ثلاثين بيتاً هي عدد أبيات القصيدة .

أليس هذا التشكيل اللغوي معادلاً فنياً وجمالياً لحالته المعنوية والفكرية " (١)

كما استخدم المتنبي في شعر الشكوى بعض القوافي النادرة مثل " الهاء حين وجدها تعكس دواخله النفسية ، وحزنه الممض ، في تشكيه الهجر ، يقول :

أُوهِ بَدَلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا  
لَمَنْ نَأَتْ ، وَالبَيْدِيلُ ذَكَرَاهَا  
أُوهِ لَمَنْ لَا أَرَى مُحَاسِنَهَا  
وَأَصْلُ وَاهَا وَأُوهِ مَرَاهَا (٢)

فحرف الهاء قافية، إذا كانت قافية فهي تمتاز بأنها " عسرة للغاية وثقيلة للغاية " ، وقد استطاعت بحق أن تعكس بهذه العسرة ، وهذا الحمل الثقيل ، إحساس المتنبي بالوجع والأسى والحزن ، وقد مازج حرف الهاء ، الألف فأعطى للقافية إمتداد حزين ، وكأنه يكرس لمعطى التأوه والندبة ، المصاحب للوجع والألم ، فساعد خروج القافية بهذا الشكل على خروج الحزن المدفون في شكوى الفراق .

ومن الظواهر الصوتية في شعر الشكوى عند المتنبي ، والذي يرتبط بعلاقة قوية بالأوزان والقوافي ، يظهر لنا " الإعادة "، أو " التكرار " ، وهي إضافة على أنها قيمة إيقاعية قيمة ، تأتي كدلالة من دلائل التشكيل الإيقاعي ، الذي ساهم في تركيز الذهن ، ولفت الإنتباه إلى المعنى الأول في سياق البيت الشعري ، فيكون التكرار في صورته الداخلية " إلحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها " إن القيم الصوتية لجرس الحروف أو الكلمات عند التكرار لا تفارق القيمة الفكرية والشعورية المعبر عنها ، ومثير هذا التطريب لتكرار الحرف أو الكلمة - غالباً - هو حب إمتلاك الكلام بإيقاعه قلب السامع " (٣)

١-م " عالم المتنبي " د/ عبد العزيز الدسوقي ص- ١١٠ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص- ٤٠٤ / ٤٠٥ .

٣-م " التكرار بين المثير والتأثير " د/ عز الدين علي السيد ص- ٨٥ / ٨٦ .

فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن إهتمام المتكلم بها ، فالتكرار بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة " (١)

وتنبثق هذه الدلالة من جراء إعادة معطى نغمي يهيئه الشاعر في بيته الشعري ، فتنكشف الأهمية من خلال ذلك التكرار ، لذا فهو يرتبط ارتباطاً متيناً بالحالة الداخلية للشاعر ، بما يحمله من فكرة وتسلط يساعدان على حقيقة الكلمة وبعدها النفسي في ذات الشاعر .

ويتضح ذلك من خلال تكرار المتنبي بحذر كلمة " قلقل " في مختلف دلالاته الواردة في البيت يقول :

قلقلت بالهم الذي قلقل الحشا  
قلقل عيسى ، كئهن قلقل (٢)

وإرتباط القلق بالهم والحزن ، أدى قيمة دلالية تزيد من إيضاح دواخل المتنبي وآلامه .

أما في هذه الدنيا كريم  
تزول به عن القلب الهموم  
أما في هذه الدنيا مكان  
يسرُ بأهله الجار المقيم (٣)

فتكرار " هذه الدنيا " تعطي دلالة بأن المتنبي يلح عن أن الأيام ، لم تعطه ما يستحق من حق ومستحق ، وقد ساعد هذا التكرار على تنوع الأهم من الهموم مرة ، ومن الناس مرة أخرى .

ومن الأمثلة أيضاً قوله :

وقد أراني الشباب الروح في بدني  
وقد أراني المشيب الروح في بدلي (٤)

ومن الأمثلة قوله أيضاً :

لا خيل عندك تهديها ، ولا مال  
فليسعد النطق ، إن لم تسعد الحال (٥)

١-م " قضايا الشعر المعاصر " لنازك الملائكة ص ٢٤٢ .

٢-م " ديوان المتنبي " ص ٢٩٣ / ٢

٣- المصدر نفسه " ص ٢٨٢ / ٤ .

٤- نفسه ص ٢٠٢ / ٣ .

٥- نفسه ص ٣٩٤ / ٤ .



فالحيل جزء من المال ، وكل ذلك داخل في قوله " الحال " ، ولكن التكرار هنا جاء بذكر العام ، وقبله الخاص ،  
للتشكوى من العام ، والتركيز على الخاص .

ومن الأمثلة أيضاً ، قوله :

ماذا الوداع ، وداع الوامق الكمد

هذا الوداع وداع الرّوح للجسد (١)

فتكرار الوداع تعطي قيمة دلالية ، تنبع من نفسية المتنبي المتعبة من الوداع ، حيث انصراف إلى إعادة لفظه " الوداع " ، وما تثيره هذه العبارة من دلالة داخلية توّجت بإيقاع موسيقي متسق ، وحالة المتنبي الحزينة ، التي بعثها حرقة الوداع ولهيب الفراق .

ومن مظاهر التكرار ، التي تؤكد ، أن شعر المتنبي " متين الحبكة ، مختار الألفاظ ، قليل الغريب " (٢) استخدامه التكرار على شكل يثير الدهشة ، لما يمنحه هذا التكرار من كثافة في المعجم الإيقاعي ، الذي يختاره المتنبي بأهمية جلية ، حين يعطي لكل مظاهر الثياب التي تليق به ، فألفاظه مصطفاه ، والمفردة تتناغم والسياق الإيقاعي فتبعث فيها ، وتبعث فيه ما يمنح الشعر العاطفة والإحساس الكافيين لإظهار الحالة النفسية ، ومتى يتضح هذا الحشد النفسي والشعري نضرب مثلاً بقوله :

ضاق ذرعاً بأن أضيق به ذر

" م "

عا زمني ، واستكرمتني الكرام

واقفاً تحت أخمصي قدر نفسي

واقفاً تحت أخمصي الأنام (٣)

فقد كرر الشاعر " ضاق " ، و ذرعاً " ، وتحت ، و " أخمصي " ، و " واقفاً " ، وكأنه يقرع الأذان بالتأكيد ويؤدي رسالته الشعرية ، من خلال عكس الإحباط الملازم له ، وخاصة دلالة كلمتي " ضاق ، ذرعاً " ، لما لهما من إحياءات تشي بالحسرة والتعب والإحباط .

١- م "ديوان المتنبي" ص ١١٦ / ٢ .

٢- م " المتنبي شاعر ألفاظه تتوجه فرساناً تأسر الزمان د / علي شلق ص ٢٢٨ .

٣- م "ديوان المتنبي" ص ٢١٧ / ٤ .

من خلال ما سبق ننتهي إلى أن المعجم الإيقاعي بمحتوياته من وزن وقافية وتصريع وتكرار ، أضفى ظلالاً على شعر الشكوى عند المتنبي ، وساهم في إيصال التجربة الشعرية بشكل يلامس المتلقي ، ويجعله يعيش نفس الحالة ، وما كان ذلك ليتم لولا قدرة الشاعر على فرجة بين الموقف النفسي والمعطى الشعري ، المتمثل في واحد من أهم عناصره وهو " المعجم الإيقاعي " لذا يكون " الوزن والقافية وموسيقى الشعر ، هي أهم مظاهر التعبير الشعري لأنها تهيء الجو النفسي للألفاظ ، وهي التي تكسب الكلام ظلالاً خاصة لا تنهياً لكلام المنثور " (١)

---

١-م " تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع " د/محمد زغلول سلام ص ٤١ .

## أهم النتائج

إن العمل الأدبي صورة صادقة لحالة مبدعه فرحاً وترحاً ، حباً وكرهاً ، لما يحمله من شحنات نفسية ، وحمولات دلالية ، تعطي الصورة الواضحة لخفايا حالت الإنسان الشعورية ، التي يحاول أحياناً سترها بصور أخرى ، لا تزيدها الأيام إلا زوالاً !!

لذا كانت دراسة الشكوى عند المتنبي من الأمور ، التي شغلت ذهني منذ زمن ، والسبب يرجع إلى ما تنادى به المتذوقون لشعر المتنبي من أن الرجل مثلاً للفخر ، والقوة والشجاعة ، حين لم يستقر في أذهانهم إلا قوله :

الخيال والليل والبيداء تعرفني  
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وأخذ هذا (التنادي) يستقر في الأذهان ، وينتشر بين طلاب الأدب ، فضلاً عن المتخصصين فيه .

غير أن الدارس لشعر المتنبي يقف على إتجاهات كثيرة ، تصب في ميدان الشكوى !! وهنا نعرف مقدار الخلل الذي وقع فيه متذوقو شعر المتنبي والشكوى في الشعر العربي غرض قائم بذاته ، وفن مهم من فنون الشعر العربي قديماً وحديثاً ، لأنه يرتبط بالنفس البشرية ، يعكس انكساراتها وانحناءاتها على مر العصور ، وزيادة على ذلك هو " هم " إنساني مستقر في داخل كل مستخلف في الأرض .

لذا لم يكن هذا الفن الأصيل ، والهم الثقيل غريباً على شاعر بحجم إحساس

المتنبي ، وشعوره وشفافيته .

لعل هذه الدراسة وقفت على جوانب مخفية وزوايا منزوية ، في حياة المتنبي حين نعتبر أن الشكوى أوضح صورة لحياة الإنسان بما يكتنفها من مكابدة ومصارعة .

وقد خرج البحث بمجموعة نتائج ، لعل من أبرزها .

\* بروز الشكوى بشكل جلي ، يلمسه كل من يقرأ ديوان المتنبي وقد أدرك المتنبي ذلك حتى أنه تمنى على نفسه أن ينجز قصيدة خالية من هذا (الغرض) حين صرخ :

ألا ليت شعري ، هل أقول قصيدة  
فلا أشتكى فيها ، ولا أتعب !!

\* أن الشاعر يكشف في شعره عن شخصية يملؤها الاعتزاز بالذات وهذا ما توحى به قصائد المتنبي ، ولكن الشكوى و ما تعبر عنه من شعور بالضعف والإتكسار تتناقض مع ذلك ، وهذه إحدى مفارقات البحث التي تدعو للتوقف أمامها !!

\* إن الشكوى لم تكن موضوعاً مستقلاً ، بحيث تأتي من خلال قصيدة كاملة ، ولكن إذ تجاوزنا قصيدة أو قصيدتين فإن الشكوى منتشرة هنا وهناك بشكل يشي بسيطرتها على عطاءات الشاعر ، وتوغلها في نفسه ، مما يؤكد تفاعل الشكوى مع كل أغراض الشعر عند المتنبي .

\* تفاعل المتنبي مع قصائد العصر ، وأحوال الزمان ، فكان في شكواه ملحاحاً على إبراز الهم العام ، والهم الخاص ، من خلال حالات الشكوى التي رصدها

البحث .

\*ومن خلال مطالع القصائد التي كتبها المتنبي ، أخذت الشكوى والصراخ حيزاً

كبيراً من مطالع القصائد ، وقد رصد البحث كثيراً من هذه المطالع !!

\*التداخل الكبير بين الشكوى والرفض للواقع ، على أن الشكوى تكون في أحد

مظاهرها ، سياقاً خفياً للرفض والذم والهجاء !!

\*إلحاح المتنبي على ذم الزمان ، والوقت كناية عن التذمر من الحال والناس

والواقع المحيط ، لأنه يعرف أن الزمان مجرد إناء للحياة وأن الزمان ليس له

علاقة بتصرفات أهل الزمان .

\*استغل المتنبي الشعر لتمير أمانيه ، وعكس فيه تطلعاته ، وحمّله صراخه ،

وجعله سفيراً له في الندب عن فقره وسوء معيشته .

\*ظهور الشكوى والبكاء عند المتنبي ، لحد أنها استغرقت مساحات هائلة من

شعره ، ومع ذلك لم يلتفت إليها أحد من الباحثين ولم يعرفوا عن المتنبي إلا

التطاول والفخر والشجاعة ، والاعتزاز بالذات .

\*رغم أنه كان شاكياً باكياً ، متسولاً ، منكسراً ، وحتى تكون هذه النظرية حقيقة

علمية ، قام البحث بإحصاء ألفاظ الخضوع والشكوى والبكاء والحزن وما يؤدي

إليها من ألفاظ ، وما يساويها في المعنى ، فتجاوزت هذه الألفاظ ألفين وخمسمائة

لفظة ، وعلى إعتبار أن مجموع أشعار المتنبي نحو خمسة آلاف بيتاً يظهر أن

نصف أشعار الرجل ، تدخل في الشكوى ، والجدول التالي يبين هذه الكلمات

وعددها في الجدول التالي:

العدد	الكلمة	العدد	الكلمة	العدد	الكلمة	العدد	الكلمة
٧	الحنين	١٤	الثقل	٢٨	الضياع	٢٧٩	الموت
٦	الأرق	١٤	العزاء	٢٨	الهجر	١٤٧	العداوة
٦	الوحشة	١٤	الصروف	٢٨	اللؤم	١٠٧	الخوف
٦	الندم	١٤	الغم	٢٥	الضعف	٩٠	الفراق
٦	الكآبة	١٣	البين	٢٥	الوداع	٧٨	الطعن
٥	السفر	١٣	الحرمان	٢٥	الذنب	٦٧	الحسد
٥	النكبة	١٣	السجن	٢٤	الشدة	٦٦	الدمع
٥	السهر	١٣	الألم	٢٤	الهم	٥٩	البكاء
٥	الحسرة	١٣	الملل	٢٣	الوحدة	٥٥	البعد
٥	الغربة	١٢	الصعب	٢٢	الظلام	٥٠	الحيل
٥	الخبث	١١	الأسى	٢١	الحيرة	٥٠	المرض
٥	السخط	١١	الشقاء	٢١	الضر	٥٠	العذل
٥	الخدلان	١١	الخيبة	٢٠	السهاد	٤٦	اللوم
٤	القسوة	١١	القلق	٢٠	النحول	٤٦	الشكوى
٤	الطغيان	١٠	البغض	١٩	العتاب	٤٢	الذل
٤	النكد	١٠	الكيد	١٨	الجرح	٤١	الدم
٤	الجوع	١٠	الصد	١٨	الصبابة	٣٩	المصائب
٤	الأسف	١٠	الظمأ	١٨	الغدر	٣٩	الصير
٣	المشقة	١٠	الكرب	١٧	الداء	٣٩	الضييق
٣	السفاهة	١٠	الخيانة	١٧	النوى	٣٧	البخل
٢	البطش	٩	الخطوب	١٦	التعب	٣٣	السقم
١	الشحوب	٩	العذاب	١٦	الأذى	٣٢	الرجاء
١	العطب	٨	النوائب	١٦	الغضب	٣١	الظلم
١	الضجر	٨	الوشاة	١٥	الأرزاء	٣١	البلاء
١	السأم	٧	القيد	١٥	الفقر	٣١	العجز
		٧	الجحود	١٥	الردى	٣٠	الحزن

١٠٣	مجموع الكلمات
٢٥٢٦	مجموع الأعداد

## الخاتمة

إن العمل الأدبي بشطريه الشعري والنثري ، هو محاولة للوصول إلى إضاءات تنير الطريق أمام الباحث ، وقد حاولت فيما مضى أن أعترض لحياة واحد من أبرز الأسماء الشعرية في أدبنا العربي ، وهو الشاعر أبو الطيب المتنبي .

وقد حرصت أن ألامس جانباً مختلفاً من جوانب هذه الشخصية الكبيرة ، فما كان إلا أن وفقتي الله إلى موضوع ( شعر الشكوى عند المتنبي ) .

وقد جاء البحث مكون من ثلاثة فصول تسبقهم مقدمة وتمهيد .

وقد ضم التمهيد ، الشكوى بمفهومها اللغوي والاصطلاحي ، وتنامي الشكوى من خلال الزمان ، وقد أشار إلى ذلك تتبع البحث بلمحة عجلت إلى الشكوى في العصر الجاهلي ، والعصر الأموي والعصر العباسي ، ثم تناول البحث بشكل أكثر تفصيلاً الشكوى في القرن الرابع الهجري ( عصر المتنبي ) .

ثم تناول التمهيد في طرفه الأخير حياة الشاعر ، اسماً ، ومولداً ، وحياة ، وشخصية وفقراً ، وثقافة حتى وفاته ، وتبدو أهمية هذه الإمامة لما لها من صلة قوية ورابطة متينة بشعر الشكوى .

ودخل البحث في رصد حالات الشكوى مستفتحاً بحالات الشكوى العامة ، فتناول شكوى الزمان والفقير والناس والشعراء والأصدقاء ، من خلال فصل البحث الأول .

وجاء الفصل الثاني ، راصداً لحالات الشكوى الخاصة من خلال الشكوى من الموت والمرض والليل ، والهجر والشيب والغربة والسجن ، وانتهى بما يُوحى

بالشكوى من خلال أبيات ومقطوعات تناثرت في أرجاء الديوان .

وجاء الفصل الثالث كدراسة تطبيقية لما تمّ جمعه في البحث من خلال فصوله السابقة ، فتناول الشكوى وبناء القصيدة ، عبر بوابة اللغة الشعرية حيث جاء لغة الشكوى لغة في مجملها يسيرة سهلة لتأثر الشاعر بعمق الشكوى ، وجاءت دراسة التراكيب والأسلوب والمعجم شاهداً على هذا الاتجاه .

أما الشق الثاني من الفصل الثالث فامتد ليصل الصورة الفنية ، التي اصطبغت بلون الحزن ، وتدثرت بلباس الألم ، كما كانت الإيقاعات الشعرية متنوعة وثرّة بثرء الشكوى واتجاهاتها .

أما الوحدة الموضوعية فلم تكن بارزة بروز الوحدة النفسية حيث لم تنفرد الشكوى بقصائد خاصة بها بل جاءت متوغلة في أغلب قصائد الديوان .

وقد اعتمد البحث في رصده لقصائد الشاعر على شرح البرقوقي ، نظراً لما يتمتع به هذا الديوان من شمول لقصائد المتنبي ومن ضبط كامل الشعر، وقد ذكر البحث ، الأبيات التي لم يتعرض لها البرقوقي استيفاءً للحقيقة واشتمالاً للعلم .

وفي النهاية ، ليس من حق الإنسان أن يدعي ما ليس له ، فأنا في هذا البحث

أقدم جهداً متواضعاً ، حين أضع هذا الجهد كإضافة بسيطة في طريق ثقافتنا الأدبية ، إضافة تنتظر من يكملها ، وليصل بها إلى المكان الأفضل .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالدعاء إلى أئلك الذين أناروا طريقي من خلال كتبهم

وبحوثهم سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً ، جزاهم الله عني خير الجزاء ...

.... والله ولي التوفيق



"المصادر و المراجع"

## " المصادر والمراجع "

- القرآن الكريم .
- أبو الطيب المتنبي — حياته وخلقه وشعره — محمد كمال حلمي، مطبعة الشباب،  
القاهرة ١٩٢١م.
- أبو الطيب المتنبي — نشيد الصحراء لخالده، محمد يوسف فران — الطبعة الأولى،  
دار الكتب العلمية — بيروت، ١٤١١هـ.
- أبو الطيب المتنبي وظواهر التمرد في شعره، زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب،  
الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ — بيروت.
- أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين، مصطفى الشكعة، دار عالم الكتب، بيروت،  
الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، نبيل أو حاتم، دار الثقافة —  
الدوحة، ١٩٨٥م.
- اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة،  
١٩٦٣م.
- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قحطان رشيد التميمي، دار المسيرة —  
بيروت (بدون تاريخ).
- الاختيارين، الأخفش الأصغر، تحقيق فخر الدين قبادة، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.
- الأدب في ظل بني بوية، محمود الزهيري، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٣٦٨هـ.

- الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين إسماعيل، الطبعة الثالثة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م.
- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، مصطفى سويف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
- الإسلام والشعر، سامي مكي العاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.
- الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي، محي الدين محاسب، الطبعة الأولى، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤١٨هـ.
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، الطبعة الثامنة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الأعلام، خير الزركلي، الطبعة الثالثة (بدون تاريخ).
- الأغاني، أبو فراج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) تحقيق إبراهيم البياري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.
- الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الشؤون الثقافية - بغداد، ١٤٠٧هـ.
- البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، رجاء عيد، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣) تحقيق مرسى الخولي، دار الكتب العلمية - بيروت، (بدون تاريخ).
- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، الطبعة الخامسة، دار المعارف - القاهرة، ١٩٧٣م.
- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٦٨م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٣م.
- تاريخ الشعر العربي من دخول بني بوية بغداد إلى نهاية العصر العباسي، محمد عبد العزيز الكفراوي، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٧م.
- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، محمد زغول سلام، دار المعارف - القاهرة، (بدون تاريخ).
- تاريخ بغداد، أبو بكر البغدادي (ت ٤٦٣)، دار الكتاب العربي - بيروت، (بدون تاريخ).
- التبيان في شرح الديوان، أبو البقاء العكبري، تصحيح مصطفى السقا، دار المعرفة - بيروت، ١٩٧٨م.

- تشريح النص، عبد الله الغزالي، الطبعة الأولى، دار الطليعة - بيروت،  
١٩٨٧م.
- التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة - بيروت،  
(بدون تاريخ).
- التكرار بين المثير والتأثير، عز الدين السيد، الطبعة الأولى، دار الطباعة  
المحمدية - القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- توضيح الصرف، عبد العزيز فاخر، مطبعة حسان - القاهرة، ١٩٨٥ ان.
- الجانب الخلفي في الشعر الجاهلي، زهدي صبري الخوارج، الطبعة الأولى، دار  
الناصر - الرياض، ١٩٨٤م.
- حركية الإبداع، خالدة سعيد، الطبعة الأولى، دار العودة - بيروت، ١٩٧٩م.
- حصاد السجن، أحمد الصافي النجفي، مكتبة المعارف - بيروت، ١٩٨٣م.
- حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني، الطبعة الخامسة، المطبعة العصرية  
- القاهرة، ١٩٥٧م.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، نقله إلى العربية محمد  
عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي -  
بيروت، ١٩٦٧م.
- الحماسة الشجرية، هبة الله ابن الشجري (ت ٥٤٢)، تحقيق عبد المعين  
الملوحي، أسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة - دمشق،  
١٩٧٠م.

- حول الأديب والواقع، عبد المحسن طه بدر، الطبعة الثانية، دار المعارف - القاهرة، (بدون تاريخ).
- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، يوسف خليف، دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٩٦٨م.
- خلاصة المتنبي، عبد المجيد دياب، الطبعة الأولى، دار سعاد الصباح - الكويت، ١٩٩٢م.
- دراسات في علم الجمال، عدنان رشيد، الطبعة الأولى، دار النهضة الغربية - بيروت، ١٩٨٥م.
- دراسات في النص الشعري - العصر العباسي -، عبده بدوي، الطبعة الثانية، دار الرفاعي - الرياض، ١٩٨٤م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر، الطبعة الثالثة، دار المدني - جدة، ١٩٩٢م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ١٩٥٨م.
- ديوان جميل بثينة، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧م.
- ديوان دعلب الخزاعي، جمع وتحقيق محمد يوسف نجم، دار الثقافة - بيروت، ١٩٨١م.

- ديوان السرى الرفاء، تحقيق حبيب حسين الحسني، دار الرشيد - بغداد  
١٩٨١م.
- ديوان الشريف الرضي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٦١م.
- ديوان الصوري، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، دار الرشيد -  
بغداد، ١٩٨٠م.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق سيف الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة - بيروت،  
(بدون تاريخ).
- ديوان عنتر بن شداد، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي، الطبعة  
الأولى، دار الشرق العربي - بيروت، ١٩٩٢م.
- ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي - بيروت،  
١٩٨٦م.
- ذكرى أبو الطيب المتنبي بعد ألف عام، عبد الوهاب عزام، الطبعة الثانية، دار  
المعارف - القاهرة، ١٩٥٦م.
- رثاء النفس في الشعر العربي، عبد الله أحمد باقازي، المكتبة الفيصلية - مكة  
المكرمة، ١٩٨٧م.
- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، مصطفى الشكعة، دار عالم الكتب -  
بيروت، ١٩٧٩م.
- الزمن عند الشعراء قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، وزارة الثقافة والإعلام،  
مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م.

- سأخون وطني، محمد الماغوط، الطبعة الأولى، دار رياض الرئيس - بيروت،  
١٩٨٧م.
- شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، الطبعة الثامنة عشرة - القاهرة،  
١٩٧١م.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق محمد  
محي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة عشرة، دار الفكر -  
بيروت، (بدون تاريخ).
- شعراء من العصر العباسي الثاني بين الظل والتأثر، عبد الله أحمد باقازي،  
مطابع الصفا - مكة المكرمة، ١٩٨٨م.
- شعراء وإنشاد الشعر، علي الجندي، دار المعارف - القاهرة، ١٩٦٩م.
- شعر أبي فراس الحمداني، ماجدولين بسيسو، الطبعة الأولى، مكتبة أسفار -  
الرياض، ١٩٨٨م.
- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، دار القومية -  
القاهرة، (بدون تاريخ).
- شعر الراعي النميري، تحقيق نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، مطبعة  
المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠م.
- لشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، علي جواد  
الطاهر، مطبعة العاني - بغداد، ١٩٦١م.



- شعر الوزير المهلبي، جابر عبد الحميد الخاقاني، مجلة المورد، المجلد الثالث - بغداد، ١٩٧٤م.
- الشكوى في الشعر الجاهلي، قحطان رشيد التميمي، مجلة كلية الآداب، العدد ١٣، - بغداد، ١٩٧٠م.
- الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، عبد الله بن توفان، الطبعة الأولى، مكتبة التوبة - الرياض، ١٩٩٦م.
- صورة في الشعر العربي، علي البطل، الطبعة الأولى، دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٨١م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي - بيروت، ١٩٩٢م.
- الصورة الشعرية، سي دي لويس، ترجمة أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد - بغداد، ١٩٨٢م.
- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨١م.
- علم اللغة العام - الأصوات -، كمال محمد بشر، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٦م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٢م.

- عنصر اللون في شعر المتنبي، عبد الله أحمد باقازي، الطبعة الأولى، نادي القصيم الأدبي - بريدة، ١٩٩٣م.
- فن الشعر، أرسطو، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، دار الثقافة - بيروت، ١٩٧٣م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥م.
- في عالم المتنبي، عبد العزيز الدسوقي، الطبعة الأولى، دار الشروق - بيروت، ١٩٨٤م.
- قراءات مع الشبابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، عبد السلام المسدي، الطبعة الرابعة، دار سعاد الصباح - الكويت، ١٩٩٣م.
- قصة المتنبي، أحمد الجندي، دار طلاس - دمشق (بدون تاريخ).
- قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، أيمن محمد زكي العشماوي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٨٣م.
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة - بغداد، ١٩٦٥م.
- اللزوميات، أبو العلاء المعري، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٣٤٢هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت، ١٩٩٠م.

- لغة الحب في شعر المتنبي، عبدالفتاح صالح نافع، الطبعة الأولى، دار الفكر – عمان، ١٩٨٣م.
- المتنبي، خليل شرف الدين، دار هلال – بيروت، ١٩٨٧م.
- المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، عبد الرحمن شعيب، دار المعارف – القاهرة، ١٩٦٤م.
- المتنبي دراسة عامة، جورج غريب، دار الثقافة – بيروت، ١٩٦٧م.
- المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، دار المدني – جدة، ١٩٨٧م.
- المتنبي شاعر أفاظه تتوهج فرساناً تأسر الزمان، علي شلق، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت، ١٩٨٢م.
- المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، حسن الإمراني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٩٤م.
- المتنبي قراءة أخرى، محمد فتوح أحمد، الطبعة الثانية، دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٨م.
- المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس، محمد التونجي، الطبعة الثانية، دار عالم الكتب، ١٩٩٢م.
- المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري، عبد اللطيف الراوي، مكتبة النهضة – بغداد (بدون تاريخ).

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم حسين محمد الراغب الأصبهاني، مكتبة الحياة - بيروت، (بدون تاريخ).
- المحصول الفكري للمتنبى، سهيل عثمان ومنير كنعان، الطبعة الأولى، دار الإرشاد - بيروت، ١٩٦٩م.
- مداخل فكرية ونفسية إلى المتنبى، عبد الله التطاوين مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ١٩٩١م.
- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري عياد، الطبعة الأولى، دار العلوم - الرياض، ١٩٨٢م.
- المرشد لفهم شعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت، ١٩٧٠م.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، الطبعة الأولى دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٧٩م.
- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٨٢م.
- مع المتنبى، طه حسين، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٠م.
- مفهوم الشعر، جابر عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢م.
- مقالات نقدية، محمود الربيعي، مكتبة الشباب - القاهرة، (بدون تاريخ).
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥م.

- من أساليب اللغة العربية، إبراهيم درديري، الطبعة الأولى، دار البلاد - جدة، ١٩٨٣م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، (ت ٦٨٤)، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الطبعة الأولى، دار الكتب الشرقية - تونس، ١٩٦٦م.
- موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري، زهدي صبري الخواجا، الطبعة الأولى، دار الأصالة - الرياض، ١٩٨٢م.
- موجز ديوان المتنبي، شرح اليازجي، اختصره سليمان العيسى، دار طلاس - دمشق، (بدون تاريخ).
- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، دار القلم - بيروت، (بدون تاريخ).
- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٥م.
- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الفكر العربي، (بدون تاريخ)
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر - القاهرة، ١٩٧٩م.
- نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية، عبد المنعم إسماعيل، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح - الكويت، ١٤٠١هـ.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣)، دار الكتب المصرية - القاهرة، (بدون تاريخ).
- وحدة القصيدة في الشعر العربي، حياة جاسم، دار الحرية - بغداد، ١٩٧٢م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق هاشم الشاذلي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٨٥م.
- وفيات الأعيان، أبو العباس ابن خلكان، (ت ٦٨١)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، (بدون تاريخ).
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩)، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٣م.

# الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	أ
التمهيد.....	١
أ- الشكوى في الشعر العربي	
١- مفهوم الشكوى.....	٤
٢- الشكوى قبل القرن الرابع الهجري.....	٧
١- العصر الجاهلي.....	٧
٢- العصر الأموي.....	١٠
٣- العصر العباسي.....	١٥
ب- الشكوى قبل القرن الرابع (عصر المتنبى)	
د- المتنبى شاعراً	
أولاً : اسمه ومولده.....	١٨
ثانياً : شخصيته.....	١٩
ثالثاً : فقره.....	٢٣
رابعاً : ثقافته.....	٢٦
خامساً: شاعريته.....	٣٠
سادساً : وفاته.....	٣٣

## الفصل الأول حالات الشكوى العامة

١- شكوى الزمان.....	٤٠
٢- شكوى الفقر وقلة ذات اليد.....	٤٧
٣- الشكوى من الناس.....	٥٢
٤- الشكوى من الشعراء.....	٥٦
٥- الشكوى من الأصدقاء.....	٦٠

## الفصل الثاني حالات الشكوى الخاصة

٦٥	١- الشكوى من الموت .....
٦٩	٢- الشكوى من المرض .....
٧٤	٣- الشكوى من الليل .....
٧٩	٤- الشكوى من الهجر .....
٨٤	٥- الشكوى من الشيب والكبر .....
٨٩	٦- الشكوى من المكان والغربة .....
٩٥	٧- شكوى السجن .....
١٠٠	٨- ما يوحى بالشكوى .....

## الفصل الثالث الخصائص الفنية لشعر الشكوى

١٠٦	١- اللغة الشعرية .....
١١١	أ- المعجم .....
١١٨	ب- التراكيب .....
١٢٧	ج- الأسلوب .....
١٣٥	٢- الصورة الفنية .....
١٤٣	٣- الوحدة الموضوعية .....
١٥٠	٤- المعجم الإيقاعي .....
١٦١	أهم النتائج .....
١٦٥	الخاتمة .....
١٦٧	المصادر والمراجع .....
١٨٠	الفهرس .....